الترجمة الكاملة
(٥)

وصف مصر

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية



دار الشايب للنشر

٥
وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الحياة الاقتصادية فى مصر
فى القرن الثامن عشر
النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية

الجزء الثانى



تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
[illegible]ير الشايب

دار الشايب للنشر
١٠ ش سليمان الحلبى – التوفيقية
ت : ٥٧٤١٣٧١ – ٥٧٢٦٨٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا هو المجلد الخامس من الترجمة العربية الكاملة لكتاب وصف مصر ، وهو فى الوقت نفسه الجزء الثانى مما أسميته « الحياة الاقتصادية مى مصر فى القرن الثامن عشر » ، وهذا التبويب أو التصنيف الجديد لموسوعة وصف مصر هو اجتهاد خاص بالترجمة العربية ارجو أن أكون قد وفقت فيه ، مع العلم بأننى قد وجدت ذلك ضروريا للغاية ، ولأسباب عديدة ، على نحو ما أوضحته فى مقدمات المجلدات الأربعة السابقة .

ويضم المجلد الذى بين أيدينا ابوابا ثلاثة ، آثرت أن اطلق على كل منها اسم كتاب تيسيرا على القارىء من جهة ، ولكى اسهل على نفسى من جهة اخرى تقديمه فى ترتيب واضح ، وحرصا منى على عدم تداخل مدلولات الفاظ فى التبويب مستقرة ، وإن كنت أرجو الا أكون بسعيى وراء ذلك قد فعلت فى سبيل تحقيقه ، عكس ماكنت أبغى .

أما الكتاب الأول من هذا المجلد فيضم دراسة عن نظام الضرائب على الأطيان الزراعية التى كانت الأرض ، أوبمعنى أدق كان الفلاح ملزما بسدادها كل عام . ومؤلف هذه الدراسة هو لانكريه المولود فى عام ١٧٧٤ والمتوفى فى عام ١٨٠٧ ، وهو كما يذكر المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الأول من موسوعته « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » من علماء الرياضيات ، ومن مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الآثار ، وله أبحاث مستفيضة عن آثار الوجه القبلى نشرت فى وصف مصر ، كما أن له بحثا جغرافيا عن الفرع الكانوبى من فروع النيل القديمة ، وقد تولى العمل فى اللجنة المكونة لنشر وصف مصر فى عام ١٨٠٥ .

ويضم الكتاب الثانى دراسة هامة عن موارد الخزينة المصرية وإنفاقها ، ولتغطية ذلك كله قامت الدراسة بمسح شامل للنظام الإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، وهذه الدراسة من وضع الكونت استيف مدير خزانة الحملة فى البداية ثم مدير الشئون المالية لمصر فى أواخر هذه الحملة الفرنسية ، ويمكن القول بأنها وضعت على أساس ما جاء بسجلاته واوراقه ، بمعنى أنه ليس كاتبها كما نلمس ذلك من مقدمة فوربيه التى نشرناها فى المجلد الأول فى طبعته الثانية .

ويحوى الكتاب الثالث ثلاث دراسات قصيرة عن بعض الصناعات المصرية التى اكتفى المسيو جيرار فى دراسته عن الزراعة والصناعات والحرف والتجارة فى مصر بأن يشير إليها أشارة عابرة أو بأن يقدم موجزا مركزا عنها محيلا الى الدراسات الثلاث التى نشرتها هنا ، وكنت ازمع ان أنشرها ملاحق لدراسة جيرار (وهى المجلد الرابع من الطبعة العربية) لكننى خشيت ان يزيد حجم المجلد الرابع اكثر مما ينبغى، ولذلك فإننى اقدمها هنا مشيرا فى الوقت نفسه الى موضعها فى دراسة جيرار استكمالا للفائدة . أما هذه الدراسات الثلاث فهى : دراسة عن معامل التفريخ وهى تنقسم بدورها الى قسمين ، قسم كتبه روزيير ، وهو مهندس مناجم له ابحاث مستفيضة عن أحجار مصر ومعادنها وجيولوجيتها ، كما قام برسم احجارها وصخورها ومعادنها ، ونشر ذلك كله فى وصف مصر ، أما القسم الثانى فكتبه الكيميائى الصيدلى روييه ، ثم دراسة عن طريقة صنع ملح النوشادر، وهى من تأليف ديكوتيل، وهو كيميائى عين بعد انتهاء الحملة كبيرا لمهندسى المناجم فى فرنسا وكان عضوا بالمجمع العلمى المصرى شعبة الطبيعيات ، أما الدراسة الثالثة فهى من وضع بوديه كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع العلمى المصرى (طبقا لما جاء بوصف مصر) والحائز على وسام الشرف .

وسوف يلاحظ القارىء بعض التكرار فى « الكتابين » الأول والثانى ولكنه تكرار تقتضيه طبيعة المعالجة لموضوع واحد ، وإن كانت وجهة كل من الدراستين مختلفة كما أن منهاجيهما يختلفان .

ويبقى علينا بعد ذلك لكى تكتمل ما أسميته موسوعة « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » أن أقدم دراستين أخريين

همـــا دراسه عن الموازين العربية فى مصر ، ودراسة اخرى عن النقود العربيـــة فى مصر وكلناهما من تاليف صـــامويل برنار ، وهما معا تكونان المجلد السادس من هذه الترجمـــة العربيـــة ، وكنت اود ان الحق بهمـــا دراســـة جيرار عن المقـــاييس فى مصر القـــديمة ، وهى دراسة تقع فى مجلدات وصف مصر عن العصور القديمة (لمصر) ، باعتبـــار ان هـــذه المقاييس كما ذكر جيرار نفسه فى المجـــلد الرابع (من الترجمة العربية) تكاد تكون هى المقاييس نفسها التى كانت لاتزال تستخدم فى مصر عند مجىء الحملة الفرنسية ، لولا اننى اخشى الا يكون الجمع بين دراسات تتنـــاول الدولة أو الحالة الحديثة فى مصر وتلك التى تتناول عصور مصر القـــديمة امرا موفقا ، أو أنه قد يصيب ببعض البلبلة لدى القارىء .

ولقد واجهت صعوبات عدة فى تحقيق أسماء بعض الأماكن والوظائف التى جاءت فى دراسة السكونت استيف عن النظام المـــالى والإدارى لمصر، كما لابد أن اشـــير كذلك لصـــعوبة تحقيق اســـماء بعض القرى والقبائل، بل واحيـــانا بعض الجهـــــات (او أجـــزاء القـــرى أو الأحـــواض) وكذلك بعض اســـماء الافـــراد المستفيدين من المخصصات او الصدقات أو نحو ذلك ـــ وقـــد يكون ذلك امرا جانبيـــا او ثانويا لا يؤثر مطلقـــا فى ســـياق الدراسة ، لـــكن له أهميتـــه القصوى فى نظرى ، وبخاصة كلما تبينت انه قـــد يكون على جانب اكبر من الأهميـــة لبعض دارســـين سيتناولون هذه الأمور نفسها ولـــكن فى مجال مختلف ، ولذلك فقد انفقت فيهـــا وقتـــا طويلا ومشقة اكبر وارجو ان اكون قـــد ابتعدت كثيرا عن مواطن الخطأ .

كما استميح القارىء عذرا لاننى ادخلت بعض تعديلات وجدتهاضرورية فى تنسيق الجداول الـكثيرة فى دراسة استيف لتصـــبح اكثر وضـــوحا ـــ هكذا تصورت ـــ عند قراءتها .

ومع أننى واحد ممن يعاون التكرار الا أننى لا أمل مطلقامن اســـداء الشكر لـكل من آذروا هـــذا العمل وأخذوا بيـــده منذ كان مجرد فـــكرة وحتى الآن بعد ان قطع هـــذا الشوط وفى مقـــدمة هؤلاء الأخ الدكتـــور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة الثقافة الذى لا يفتـــأ يقـــدم من الخدمات لهذا العمل مايؤكد صحة قولى حين اعتبره ـــ ومجلة الثقافة ـــ

شريكين حقيقيين فى انجاز هـذا العمل ، ولابد كذلك أن اوجه شكرى لكل الاقـلام الجـادة والمسئولة التى رحبت بالعمل ، وفى احيـان كثيرة دون صلة شخصية تربطنى بهم من أى نوع ، وهو الأمر الذى شرفنى بحق وزاد من إيمـانى وثقتى بأن كل الاقـلام وكل النفوس الشريفـة — أيا كانت مشاربها — تنبض بحب مصر ، التى لا اجد سواها وسـوى إخوتى فى الوطن ، المصريين ، لاتوجه بعملى هذا .

ولابد من توجيه شكر خاص للمؤرخ الـكبير الدكتور عبـد الرحمن زكى ، وللأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، وللاستاذ رينيه خورى ، وللسيدة زوجتى التى ساندتنى بكل ماتستطيع ، فى الظروف العصيبة التى كدت ان انفصـل فيها من عملى بسبب إصرارى على إتمام ترجمـة هـذا السفر الـكبير .

كما لابد لى ان اظل اذكر بالخير كل من عاون بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد أو حتى بكلمة طيبـة ، وكل من عاون فى إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود بدءا ممن اتاحوا لى فرصـة الحصول على الأصل الفرنسى إلى عمال الطبـاعة إلى مكتبة الخانجى التى اسهمت فى الإنفـاق على هـذا العمل الى الموزع الذى اتاح وصـول هذا العمل إلى يد القارىء الكريم. كما لابد أن أوجه شكرا خاصـا للجنة التفرغ بوزارة الثقافة التى تحملت مشكورة عبء تفرغى لاتمام هذا العمل الـكبير ، ولابد من توجيـه شكر واجب للجنة المختصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب التى قررت منحى جائزة الدولة التشجيعية عن ترجمة المجلدات الأربعة السابقـة وأوصت مشكورة وبعبارات طيبة للغاية بضرورة تشجيع هذا الجهد .

والله سبحانه وتعالى اسأل التوفيق والعون والسداد .

زهير الشايب

القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩

فهـــرس

صفحة

صفحة

السكتاب الثالث :

الكتاب الأول

الريف المصري في عصر المماليك العثمانيين

تأليف : لانكريه

العنوان الأصلي للدراسة :

« دراسة فى نظام الضرائب على الأطيان ، وفى الإدارة الإقليمية فى مصر ، فى السنوات الأخيرة من حكم المماليك »

تشكل حكومة المماليك(١) فى التاريخ المصرى فصلا شاذا لدرجة يبدو معها أن من المفيد أن نجمع كل ملامحه وأن نحفظها بعناية فى ذاكرتنا ، كما يحتفظ علماء الطبيعة من بين كل معطيات الطبيعة الجميلة بغرائب المخلوقات وشواذها .

وليس ثمة واحد من الرحالة الذين سبقونا قد أولى عنايته بدراسة نظام الملكية والادارة فى الريف ، ومع ذلك فان هذه الأمور التى كان من العسير عليهم أن يدرسوها ابان زياراتهم للبلاد ، تشكل فى كل الدول جزءا أساسيا من نظام الحكم ، يستحق الدراسة .

ولقد كان الجنرال كافاريللى قد جمع حول هذا الموضوع عددا كبيرا من المعلومات ، فلقد كان يحب هذا النوع من الاهتمامات ، ولم يكن ثمة من يستطيع أكثر منه الالمام بسهولة بتفاصيل التشريع ، وبالخيط الذى يربط بينها جميعا ، لكنه رحل عنا واختفت معه معظم المعلومات التى جمعها ، وكم تجعلنا الملاحظات التى أمكننا العثور عليها فى أوراقه والتى تمس هذا الموضوع نشعر بالأسف لأنه لم يتم عمله . اننى أبعد ما أكون عن القدرة على أن أحل محله ، لكننى سوف أحاول على الأقل أن أقدم بعض المعلومات المفيدة لمن يرغبون أن يأخذوا على عاتقهم مثل هذه الدراسات .

وقبل الدخول فى الموضوع ، سوف أقدم بعض الأفكار العامة عن صعوبة الرجوع الى أصل غالبية العادات السائدة فى مصر .

ليس ثمة سوى قليل من البلدان التى خضعت على الدوام لحكم الغير يمكن القول بأنها قد خضعت لهذا العدد من السادة الأجانب الذى خضعت له مصر ، وفى مقابل ذلك فليس ثمة بلد استطاع بفضل سطوة طباعه وتقاليده أن يسجل مثل هذه الانتصارات الكثيرة على غزاته وأن يقوم

---

(١) قرىء هذا البحث فى المعهد العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) .

[illegible] وتقاليدها التي كانت [illegible] ولهذا السبب [illegible] حتى ايامنا هذه، برغم القرون [illegible] زاه الذين تتابعوا ، [illegible]

[illegible] حول عبادة [illegible] ان البعض قد انكرها كلية(١) . وفى [illegible] الذين تحدثوا عنها قد أخطأوا [illegible] الابتهالات التى تصاحب حصاده، [illegible] بمثابة عبادة للعنب والقمح تلك [illegible] جنى العنب وحصاد [illegible]

[illegible] فيها البصل [illegible] . وقد شاهدت عيدا كهذا فى [illegible] فى كل ولاية البحيرة بل والاقاليم [illegible] ، ويتمتع بصل [illegible] فى صحة يدعون أن البصل الذى [illegible] . ويقوم الفلاحون بحصاد المحصول فى [illegible] أيام ولمدة خمسة ايام عيد ، فيأتى [illegible] الى مكان العمل باعداد كبيرة، وبعضهم [illegible] ابيسها وبخاصة الحلوى والبلح [illegible] . ولست اعلم ما ان كان حصاد [illegible] فى بقية انحاء مصر . وعلى كل فانه [illegible] هذه العادة الى عيد مماثل [illegible] الرجالة [illegible] الى المالوف ، [illegible]

وبالاضافة لذلك ، فإنا هي [illegible] عادات [illegible] وأن [illegible] ذلك اقل غموضا ، [illegible] عادة [illegible] ان يمزقن ملابسهن [illegible] عند [illegible] حزنهن(١) ، ومن جهة أخرى ، [illegible] عند العبريين ، الذين [illegible] الدلالة على الحزن الشديد .

واخيرا فان [illegible] Eilethyia (*) [illegible] الموجودة في كهوف [illegible] تدرك ذلك [illegible] الذى يقوم بين بعض الآنية والأدوات وبعض فنون [illegible] القديمة ، وبين مثيلاتها عند شعوب مصر الحديثة : [illegible] من الطين الاحمر [illegible] ذى [illegible] اليوم بنفس الشكل الذى كان عليه [illegible] .

وتبدو هذه التشابهات التى [illegible] كى تجعلنى اعتقد أن اصل [illegible] من العادات والتقاليد الحالية تعود الى عصور بالغة القدم وأنها [illegible] سوف تبقى [illegible] العادات والتقاليد الى مستقبل غير مرئى .

ومع ذلك [illegible] (أى تشابهات في صنع اصل [illegible] هذه التقاليد والعادات ، [illegible] السلطان [illegible] الأول . وفى الواقع فانه [illegible] ان [illegible] التى حاول الكثيرون ان يقوموا بها حول اصل [illegible] من التقاليد [illegible] على وجه التقريب — لابد من [illegible] السلطان [illegible] إليه احاديث العامة كل القوانين التى يعمل بها حاليا في [illegible] ذلك [illegible] الاستاذ فوربيه Fourier ان [illegible] هذه القوانين بل انه لم يكن ليستطيع ان يفعل ذلك ، كما اثبت [illegible] الأدلة التى [illegible] انها من وضع سليم ليست إلا من وضع خلفه [illegible] الأول والباشوات الذين حكموا مصر نيابة عنه ، كما [illegible] الذى تقوم عليه احاديث العامة حين بين ان سليمان كان يتصرف على الدوام باسم والده سليم

---

(١) رايت ومعى كثيرون من اعضاء لجنة العلوم والفنون هذه المشاهد فى الاقصر .

(*) الكاب حاليا .

وهو الرجل الذى حفرت انتصاراته الكبيرة ذكريات عميقة فى عقل الشعب المصرى .

ولقد قدم لنا المسيو فوربيه — بينما هو يواصل قراءاته عن الثورات التى قامت بها مصر وعن تقاليد مختلف طبقات سكانها — كل ما أمكنه جمعه، ماسا بنظام ادارة الإراضى التى تعود فى معظم تفاصيلها الى مثابرة الاقباط . كما قدم لنا المسيو فوربيه لمحة عامة عن ظروف الفلاحين وعن نظام الملكية (*) .

إن الغاية التى اضعها على عاتقى هنا هى ان آخذ هذا الجزء من اللوحة التى رسمها وأن انميها بكل العناية التى تقتضيها ، وبذلك اصل الى عرض لنظام ادارة الأرض الزراعية .

وسوف لا اعتبر المماليك فى البداية الا كمجرد ملاك للارض، وسوف نرى بعد ذلك مقدار الضرائب التى كانوا يحصلونها كحكام(١) .

١ — الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض
انواع الملكية : الضرائب الرئيسية

يوجد فى مصر ثلاث طبقات من ملاك الأراضى الزراعية : الفلاحون (فلاح) ، الملتزمون (ملتزم) أو السادة ، وأخيرا المساجد أو ملاك الأراضى الموقوفة .

ان معظم الفلاحين فى أية قرية هم ملاك أراضيها ، أى ملاكها الحقيقيون، بمعنى انهم يستطيعون أن يهبوها أو يبيعوها الى فلاحين آخرين(٢)

(*) انظر مقدمة المسيو فوربيه سكرتير المجمع العلمى المصرى للوحات وصف مصر التى نشرت مقدمة للطبعة الثانية من المؤلف الضخم والتى نشرناها نحن ملحقة بالمجلد الأول من الترجمة العربية فى طبعته الثانية تحت عنوان مصر والحملة الفرنسية . (المترجم)

(١) ينبغى ان اوضح اننى سأفترض فيما يلى أن مختلف القوانين والعادات ماتزال سارية بأكملها، ذلك لأن هدفى هو أن أبين حالة الأمور كما كانت قبل مجىء الفرنسيين الى مصر .

(٢) نادرا ما يبيع الفلاحون أرضهم لأن الأراضى عادة بخسة القيمة ، واذا ما أصبح فلاح ما حائزا على وسائل الزراعة فانه يحصل على الأرض دون شرائها . وفى نفس الوقت فانه من المؤكد ان الفلاحين كان حق بيعها، ولن نعدم أمثلة على ذلك .

ومهما كانت التغييرات التى تصيبها ، تبق على الدوام مقيدة بضريبة ، ويحمل الشخص الذى تؤدى اليه هذه الضريبة اسم : ملتزم أو سيد . وهو فى الواقع سيد هذه الأراضى اذ هو يستطيع أن يزيد أو ينقص من قدر الضريبة التىيحصلها من هذه الاراضى(١) ، كما انه يستطيع أن يعطيها أو يبيعها لملتزم آخر ، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه، ثم انه فى النهاية يضمها الى ملكه الخاص اذا ما مات الفلاح المالك دون وريث،وهو الأمر الذى لايحدث بخصوص انواع الملكيات الأخرى التى يمتلكها الفلاح حيث إن منزل الفلاح وأثاثاته وقطعانه تؤول فى حالة موته الى بيت المال وليس إلى الملتزم .

وعندما يموت الملتزم ، ينبغى على أولاده ، حتى يحصلوا على حق ارث أملاكه ، أن يحوزوا موافقة الباشا ، وكانوا يحصلون على هذه الموافقة بأن يدفعوا له ضريبة محددة ، كان الاتراك ينظرون اليها — أى الى هذه الضريبة — باعتبارها شكلا من اعادة الشراء للارض وبدون ذلك تعود الأرض لتصبح من حق بيت المال . واذا ما مات مالك دون أن يخلف ابناء أو يكتب وصية فان ممتلكاته تؤول الى بيت المال ، ولكن اذا ما كتبت وصية فان تنفيذها يقع علىعاتق من كتبت لصالحهم أيا كانوا،وبذا يكون عليهم أن يدفعوا الضريبة الى الباشا .

ولست أود هنا وأنا أتحدث بشأن المواريث أن أحاول التعريف بها لايضاح كيفية اكتساب الناس حق ملكيتها ، فسوف تواتينا الفرصة للعودة الى هذا الموضوع نفسه عند الحديث عن وظائف الأفندية (أفندى) .

وعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا لحد لا يستطيع معهأن يزرع كل اراضيه فانه يقوم برهن جزء منهانظير مبلغ معين يستغله فى زراعة الجزء من الأرض الذى احتفظ به،وعندما يستطيع أن يرد المبلغ الذى حصل عليه فان الرهن يتوقف وتعود الأرض التى رهنها الى حوزته : ويسمى هذا النوع من الرهن : الغروقة .

ولا يستطيع الملتزم أن ينزع من الفلاح الأرض التى يزرعها مادام —

---

(١) ربما لم تكن هذه الزيادات سوى انتهابات ، لكن هذه الانتهابات ظلت تمارس لوقت طويل لدرجة أن حق فرضها لم يعد يلقى مجرد الممانعة أو الاستنكار .

على الأقل — لم يلمس أن الفـلاح غير قادر على زراعتهـا — فى الحالة المخالفة — وما دام الفلاح نتيجة لذلك يقوم بدفع الضرائب المقررة ، لكن الفـلاح يحتفظ بحق العودة الى ارضه اذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة الى الملتزم(١) ، وبمعنى آخر فان الفلاحين يتمتعون بكل الحرية فى اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها فى أراضيهم فهم يستطيعون ان يبذروها بالقمح او الأرز او الذرة حسـبما يتراءى لهم بشرط ان يدفعـوا الضريبة للملتزم وليس للاخـير أن يرغمهم على شيء .

والضريبة التى ينبغى على الفلاح أن يدفعها عن أرضه للملتزم هى ما يطلق عليه اسم المال الحر ، وهى على الدوام أكبر من ضريبة المـال الميرى ، وتسدد من ضريبة المال الحر هذه الضريبة المقررة للسـلطان (الميرى) وما يتبقى بعد تسديد هذا الميرى يكون من حق الملتزم ويحمل اسم الفايض (الفايظ) .

وقد تقررت ضريبة الميرى على يد السلطان سليم أو بالأحرى على يد خليفته حسب الملحوظة التى سبق أن قدمناها . ويبدو أن الأتراك بعـد غزوهم لمصر قد وجدوا — عندما أرادوا أن يفرضوا ضريبـة على الأراضى لصالح سلاطين القسطنطينية — أن سجلات الضرائب كانت قد أحرقت ، واستوجب الأمر عندئذ ان يلجئوا الى المعلومات التى كانت لـدى أوجاق الجاويشية حول هذا الموضوع،وتبعا لذلك فقد قرروا الميرى لبـس بحسب فدان الأرض ولكن بالنسبة للقرية وحدة واحدة،ثم اقتسم الملتزمون فيما بينهم هذه المهمة بحسب مساحة ممتلكاتهم . وهذا التقسيم المبدئى للميرى بحسب القرى هو الذى أستمر العمل به حتى اليوم . وقد كان الأمر بالغ الحيف حتى أن نسبة من المـال الحـر تبلغ ٥٠ مدينى كان يخصـص منها من للميرى ما يتراوح فقط بين ٢ الى ٢٠ مدينى .

وقد قرر سليمان — كذلك — فى بلاد الصعيد نظام دفع المـيرى عينا اى بمواد غذائية حتى يتسنى تأمين طعام جنود فرق الأوجاقلو ، التى أعاد تنظيمها . وما تزال لدى بعض التفصيلات حول جمع واستخدام الميرى سوف اعرضها عليكم عندما يحين وقت الحديث عن الادارة المختصة بانفـاق المـيرى .

---

(١) يتوقف هذا كثيرا على ارادة الملتزم الخاصة .

ولقد استقر نظام المال الحر حسب عادة قديمة من عادات البلاد والتى اتاح لها السلاطين العثمانيون أن تستمر بعد أن اقروها بدورهم . ويبدو للوهلة الأولى ان هذه الضريبة كانت الضريبة الوحيده التى كان يحق للملتزمين تحصيلها بشكل قانونى ، لكنهم بعد ذلك وبالتدريج اخذوا يرغمون الفلاحين تحت ادعاءات مختلفة على زيادة نسبة هذه الضريبة ثم فرضوا عليهم ضريبتين جديدتين : الأولى ، ويبدو انها لم تقرر الا منذ حوالى مائة عام وتسمى المضاف ، والثانية، وهى لم تكن فى البداية الا نوعا من الهدايا التى كان يقدمها الفلاحون الى الملتزم،لكنها تأكدت بالتدريج وزادت حتى أصبحت فى بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض (الفايظ) ، ولكنها لم تتقرر بشكل منتظم الا منذ حوالى خمسين عاما،وكانت تعرف باسم : «البرانى» اى الضريبة غير الاعتيادية .

وفى النهاية ، فان هاتين الضريبتين — حيث إنهما يعودان لنفس الأصل-كانتا تختلطان عادة بحيث أصبحتا ضريبة واحدة تحمل تبعا لاختلاف البلاد ولكن بدون اختلاف فى المعنى-اسم : المضاف أو البرانى .

وقد استقرت هاتان الضريبتان الجديدتان على وجه الخصوص فى عهد على بك . إذ استولى هذا المملوك — بعد أن قضى قضاء شبه تام على فرقة الأوجاقلو ، والتى كان معظم افرادها من كبار الملاك — استولى على القرى التى كانوا يمتلكونها ووزعها على أتباعه ، وزاد كثيرا من أعباء الفلاح وسار على نهجه فى ذلك كل الملتزمين الذين كانوا يدينون له ببعض الديون وذلك بأن فرضوا ضرائب جديدة وجائرة . وبعد عهده هذا ، جاء نظام محمد بك ، وبخاصة فى عهد ابراهيم بك ، ليتيح زيادات جديدة فى دخول الملتزمين ، ومع ذلك فقد بقى نفر قليل للغاية من هؤلاء الملتزمين ، من أولئك الذين كانوا يرون أن هذه الضرائب الجديدة ظالمة أو أولئك الذين لم يكن بمقدورهم تحصيلها — يكتفون بتحصيل المال الحر . وبهذا ، ومع استبعاد هذه الاستثناءات — وصل جشع الملتزمين ، وبخاصة المماليك منهم ، الى مداه .

انتهيت الآن من شرح الطريقة التى كان الفلاحون يتملكون بها الأرض وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين الملتزمين ، وسأتحدث الآن عن جزء آخر من الملكية كان فى حوزة هؤلاء الملتزمين،وهو يشتمل على الأراضى التى تتبعهم كلية والتى لم تكن تدفع من ضرائب الا ضريبة الميرى . وهذه الأراضى التى

كانت تعتبر ملكية خاصة للملتزمين كانت تسمى ارض الوسية أو ارض الملاك . ولم يكن هذا النوع من الملكية موجودا فى الصعيد بعد المنيا ، ولكن يمكن القول عامة أن أراضى الوسية فى مصر السفلى ، كانت تبلغ حوالى ١٠/١ من أراضى الفلاحين (*) .

وقد حاول الأتراك دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى اصل نظام الملكية تفسير ذلك بأيسر السبل ، فظن الكثيرون أن الملتزمين هم مجرد فلاحين عند المالك الأكبر (السلطان) ، وأن ايجار الأرض هو ما يدفع تحت اسم الميرى وأن فائدة هؤلاء الملتزمين تتكون من : ١ — الفايظ ٢ — اجمالى دخل أراضى الوسية . وعلى هذا النحو كذلك فسروا ضرورة قيام الملتزمين بدفع ضريبة الارث الى المالك الكبير (الوالى — السلطان) . لكن هذا التفسير ليس صحيحا . واليكم ما يمكن أن نستنتجه من فحص السجلات القبطية وما يعرفه كذلك الشيوخ المتعلمون وهو ما سوف نقدمه كملخص لكل ما قلته للتو .

تقدر الضريبة المسماة : المال الحر على مجموع أراضى القرية . ويحوز الفلاحون جزءا من هذه الاراضى يسددون عنه للملتزم المال الحر . أما الجزء الثانى فيزرعه الملتزم بنفسه أو يؤجره ويعود اليه كل ناتج هذا الجزء . ومن المال الناتج عن هذين الجزئين يدفع الملتزم الميرى المقرر على قريته من قبل الحاكم ، أما البرانى فهو ضريبة مستحدثة اضافها الملتزمون .

نتحدث الآن عن النوع الثالث من الملاك،وهم كما سبق أن بينت ملاك الأوقاف وملكيات المساجد .

كل ملكيات المساجد قد وهبت اليها فى فترات مختلفة ، وقد تمت معظم هذه الهبات قبل مجىء سليم بوقت طويل ، بل ومنذ الأوقات الأولى لاستقرار الاسلام فى مصر . وعندما تقررت ضريبة الميرى لم تخضع ملكيات المساجد

(*) يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى كتاب الريف المصرى فى القرن الثامن عشر أن هذه النسبة لم تكن ثابتة كما انها كانت اكبر من ذلك عادة فكانت تبلغ النصف أو الثلث أو الربع واحيانا كانت تتجاوز النصف كما حدث فى قرية ميت بشار . (المترجم)

لهذه الضريبة مطلقا ، وظلت حرة تماما من اية ضريبة كما كانت من قبل وكما ظلت حتى اليوم .

وتحمل المخصصات الدينية بالغلة العربية عادة اسم الأوقاف،ومعناه ما ينبغى أن يترك وما ينبغى أن يظل هكذا الى الأبد . ولعطاءات الأراضى اسم خاص هو الرزقة أو الاحسان ، لكن هذا العطاء لا يمكن أن يتم قبل الحصول على موافقة الباشا،وهى موافقة قلما كانت ترفض ، لأن هذه العطاءات ، وكل الأوقاف على وجه العموم ، كانت لها على الدوام اغراض دينية او خيرية ، كما كان بعضها يخصص لصالح المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) ، او للمستشفيات والمدارس .. الخ.كما كان يخصص بعضها لصالح بعض العبيد او لبعض العائلات واحيانا لعائلة مؤسس الوقف نفسه .

وقد بدأ تأسيس هذا النوع الأخير من الأوقاف ليتفادى الناس على وجه الخصوص اغتصاب المماليك ، فعندما كان يريد مالك ما أن يؤمن لخلفه جزءا من ثروته ، فقد كان يجعل منها وقفا لصالحهم ، وبهذه الطريقة كان خلفاؤه يحصلون على فائدة اخرى وهى اعفائهم من دفع ضريبة الوراثة للمالك الكبير ، ولهذا السبب فنحن ندهش من ان كثيرا من الملاك لم يجعلوا من ممتلكاتهم أوقافا . ومع ذلك فقد كان ثمة ما يمنعهم من ذلك وهو أن الاوقاف ليست قابلة للبيع والشراء ، فهم بوقفها ينزعون عن أنفسهم ، وكذلك عن خلفهم ، الى الابد،حق بيع هذه الثروات حتى فى حالة ما اذا احتاجوا لذلك ، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن الحكومة — عندما سمحت بانشاء بعض الاوقاف — لم تشأ ان تحول كل الملكيات على هذا النحو ، لذا فقد كان على الملتزمين عندما كانوا يريدون انشاء مثل هذا النوع من العطاءات ، وحتى يحصلوا على موافقة المختصين ان يخصصوا جزءا من هذه العطاءات لمنشآت دينية على أن يؤول ما يتبقى من هذا العطاء الى المنشآت الدينية كذلك فى حالة انقراض ذريتهم .

وفى العادة ، عندما كان ينشىء ملتزم ما رزقه ، فإنه كان يأخذ الأراضى التى خصصها لذلك من اراضى الوسية ونادرا ما كان يأخذها من أراضى الفلاحين الذين يدفعون له الضريبة ، ومع ذلك ، فقد كان فى كلتا الحالتين يتنازل عن كل الضرائب التى كان يحصلها منها بل وكان يعفيها أيضا من ضريبة الميرى وذلك بأن يتكفل هو بأن يسدد ما عليها من ضريبة من بقية دخله . وعلى الرغم من ذلك — وهذا فى الحقيقة أمر نادر الحدوث — فانه

اذا ما قام أحد الملتزمين بايقاف جزء كبير من ممتلكاته على مسجد ما او اوقف عليه قرية بأكملها فان المسجد فى هذه الحالة يصبح ملتزما ويكون مكلفا بدفع الميرى المفروض على اراضى هذه القرية ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى تكون فيها الأراضى المملوكة للمساجد خاضعة لهذه الضريبة المستحقة للمالك الكبير ، اذن فبمكننا ان نقول على وجه العموم أن الممتلكات العقارية الخاصة بالمساجد و المنشآت الدينية الأخرى كانت معفاة من كل انواع الضرائب ، وكان كثير من ملاك هذه المنشآت حتى يحصلوا على حماية الباشا فى عملية جمع دخولهم يدفعون له ضريبة صغيرة تسمى : مال حماية .

وكما قلت فانه لا المساجد ولا ملاك الأوقاف الآخرون كان لهم حق بيع هذه الأراضى ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يهيئوا لها نوعا من التنازل يسمى : المدة الطويلة — وكانت هذه المدة تستمر فى العادة تسعين سنة . وكان هؤلاء الملاك يحصلون من هذا البيع المؤقت على مبلغ معين يدفع دفعة واحدة ثم على ايجار سنوى يسمى : اجر وهو يستخدم على نحو ما كحفظ لحق الملكية فى هذه الاراضى او العقارات . واذا ما حدث بعد مضى هذه التسعين عاما أن ظلت الأراضى أو المنازل التى بيعت بهذه الطريقة على نفس الحالة التى كانت عليها من قبل فانه يكون من حق المالك ان يستعيدها . اما اذا كانت الأرض قد زرعت بالأشجار ، أو اذا كانت قد ادخلت تحسينات على المنزل ، فان العقار يظل فى حوزة الشخص الذى أدخل هذه التحسينات بشرط أن يظل يدفع على الدوام الايجار السنوى الى المالك الأصلى، واذا ما نشأت منازعات بين الطرفين فان القاضى يقوم بالفصل فيها .

ولم تكن المساجد تستغل عائد مثل هذا البيع الا لكى تشترى عقارات اخرى ، كما ان هذا التحويل لم يكن يسمح به الا للممتلكات التى تكون فى حالة سيئة . ومع ذلك فيمكن لنا أن نستنتج أن كثيرا من ملاك الأوقاف كانوا يبيعون فى معظم الأحيان بهذه الطريقة عقارات ذات قيمة عالية ، ولا يمكن تصور ذلك الا على انه وسيلة للافلات من القانون، حيث إن مثل هذا البيع لم يصبح امرا معتادا الا بالنسبة للاوقاف التى لم تكن بحكم اسمها ونظامها لبسمح بالتصرف فيها .

كان لكل وقف ناظر او مدير ، وهو فى العادة واحد من نسل مؤسس الوقف ، وكان هذا الناظر يقوم عادة بجمع ريع الوقف ويقوم كذلك بتوزيعه حسب ارادة مؤسسه كما سجلها فى حجة الوقف .

وكانت كل الرزق تسجل بمعرفة افندى مكلف خصيصا بهذا الامر ولم يكن هذا الافندى عضوا فى هيئة افندية الميرى الذين سأتناولهم بالحديث فيما بعد . ولكن قبل أن انتقل الى فقرة اخرى سأتوقف قليلا كى اقــدم ملاحظة تبدو لى ذات فائدة جمة .

نستطيع أن نستنتج ان مختلف الملاك ، فى ظل نظام قمع كهذا الذى كان موجودا فى مصر منذ وقتطويل لم يكونوا ليستشاروا فى وضـــع الضرائب — برغم ان كل واحد منهم كان سيدا فى دائرته — بحيث تكون الضرائب متماثلة والعادات (*) موحدة فى كل أنحاء الدولة . لذا فقد كانت هناك اختلافات كثيرة بهذا الخصوص من منطقة لأخرى . ومع ذلك فقد كانت معظم العادات الخاصة بكل قرية مدونة فى سجلات بالغة القدم يســيرون حسب ما جاء بها أو يبتعدون عنها قليلا أو كثيرا بحسب الظروف .

ومن بين معظم المعلومات التى جمعتها ، اخترت اكثرها عمومية وهى التى تشكل نظام الملكية والضرائب ، وسوف أواصل على هذا النحو فى كل ما سيلى ذلك دون ان اهمل الأمور الخارجة عن المألوف اذا ما كانت هامة ويعمل بها فى أماكن كثيرة ، وحيث إن الكثير من هذه الأمور غير المــألوفة كان يعمل بها فى صعيد مصر فسوف اخصص لها فقرة خاصة .

٢ — ادارة الأراضى

كانت أراضى الفلاحين وكذلك أراضى الوسية فى كل قرية مقســمة كل منها الى ٢٤ جزءا . وكانت هذه الـــ ٢٤ جزءا تعود الى ملتزم واحد أو الى عدة ملتزمين . وكان يبلغ نصيب قرية فى بعض الاحيان عشرين ملتزما . ويتملك الملتزم على الدوام من قراريط وأجزاء من قيراط من أراضى الوسية بقــدر عدد القراريط أو اجزاء القيراط التى يمتلكها من أراضى الفلاحين . وقد استقرت هذه العادة لحد ان الملتزم لم يكن يستطيع مطلقا أن يبيع جزءا من اراضى الفلاحين دون أن يبيع جزءا مساويا من القراريط من ارض الوســية .

ومن السهل ان نعثر على سبب هذه العادة وأن ندرك كيف كانت هذه

(*) نوع من الاتاوات وكان يحصلها الملتزمون وفئات أخرى من رجال السلطة كما سيتضح فيما بعد . المترجم .

العـــادة مفيدة لكل من الفلاحين والملتزمين على حد سوء . واليكم كيف امكننى استنتاج ذلك .

حيث إن عائد اراضى الوسية هو نسبيا الأهم والأكبر بالنسبة للملتزم بينما زراعتها تشكل عبئا باهظا على الفلاحين فى بعض الاحيان حيث هم فى بعض المناطق يرغمون على زراعتها بطريق السخره . وحيث إن أراضى الفلاحين فى مقابل ذلك هى الأكثر نفعا لهؤلاء ، فنحن من هنا نستطيع أن نرى كيف يهم الملتزمون ان يتملكوا بقدر الامكان ما يستطيعون من اراضى الوسية ، وكيف يهم الفلاحون فى نفـــس الوقت وبنفس القـــدر الا يدعوا الملتزمين يتملكون الا اقل ما يستطيعون من هذه الأراضى . وهكذا ينشـــأ توازن يحفظ حقوق الطرفين . لكن هذا التوازن سوف يزول اذا لم يرغب الملتزمون انفسهم فى الاحتفاظ بهذا الحق فى العقـــود التى يبرمونها فيما بينهم . وفى واقع الأمر ، فاذا كان البائع لا يريد ان يبيع ســـوى أراضى الفلاحين ، فان المشترى فى المقابل لا يريد ان يشترى الا أراضى الوسية . ومن اختلاف المصالح هذا ينتج بالطبع الحل الوسط وهو الذى يقضى بأن يلحق دائما بعدد معين من قراريط ارض الوســـية عددا مساويا من قراريط ارض الفلاحين .

من هذا الشرح نستطيع ان نرى أن الملتزم لا ينبغى أن يتملك أراضى الوسية فقط . ولسنا نعدم أمثلة لتاكيد ذلك وان كنا نجد من جهة اخرى أن اراضى بعض القرى لاتشتمل على اراضى وسية .

أعود الآن الى ادارة الاراضى وسوف اتحدث على التوالى عن أراضى الفلاحين ، وأراضى الوسية ، وأراضى المساجد .

يختار كل ملتزم من بين الفلاحين الذين يمتلكون الاراضى التى يدفـــع منها حصته فى الضرائب ، مزارعا رئيسيا ليصبح رئيسا للاخرين ويحمل اسم شيخ البلد . ويحدث ايضا أن تكون ممتلكات الملتزم فى قرية واحدة بالغة الاتساع ، وعندئذ يقوم هو بتقسيمها حسبما يتراءى له الى اجزاء عديدة ويعطى رياستها لعدد مساو من المشايخ المختلفين، مما يؤدى إلى أن يوجد فى بعض القرى-سواء كانت اراضيها تتبع ملتزما واحدا او عدة ملتزمين-عدد كبير من مشايخ البلد يبلغ فى العادة من ٨ــ١٠ مشايخ ، وليس من النادر أن نرى هذا العدد يرتفع ليصل الى ما فوق العشرين .

ويمارس شيخ البلد مهمة الادارة (البوليس) على الفـــلاحين الذين

يزرعون جزء الاراضى الذى يشرفون عليه ، ومنه وحده يطلب الملتـزم عائد الضريبة حيث قد ترك له مهمة جمعها من أيدى الفلاحين . ونتيجـة لذلك فللشيخ الحق فى أن يأمر بضربهم بالعصى او بحبسهم فى منـزل أرض الوسية(١) حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب ، ومن جهة أخرى فان الشيوخ بدورهم أكثر حرصا على الا يهملوا اية وسيلة تؤدى بالفلاحين أن يدفعـوا ما عليهم،ذلك ان الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم اذا ما احس منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب .

وعندما يموت احد مشايخ البلد فان الملتزم يختار عادة خلفا له واحدا من أبنائه يخلع عليه « شال وبنيش » ، ويقدم له الشيخ الجديد بدوره كى يشكره هدية تسمى : تقدمه،وهى عبارة عن حبوب ونقود فضية بل وتقدم احياناً فى شكل حصان ، وزيادة على ذلك فثمة قرى يلزم مشـايخها بأن يعطوا للملتزمين عددا معينا من البوطاقات(٢) ، وفى قرى أخرى لا تقدم مثل هذه العطاءات الا مرة كل ثلاثة أو أربعة اعوام ، وفى بعض القـرى لا تسرى مثل هذه العـادة .

وبخلاف ذلك فلكل من المشايخ وكبار الملتزمين-مثل البكوات وكبـار المماليك-مباشر أو وكيل يختارونه كما يتراءى لهم من بين الأقباط ، وكانت وظيفة المباشر الأساسية أن يشرف على الصرافين فى دائرته وأن يمسك بدفاتر لتسجيل الدخول بمجرد تسديدها وكانت تودع لديه سجلات الميرى وواحد من كل من سجلات المال الحر(٣) والبرانى الخاصة بكل قرية ، وبالاضافة الى ذلك فهناك سجلان لهاتين الضريبتين الأخيرتين : واحد فى يد الصراف ويودع الآخر وهو الخاص بالفلاحين لدى الشاهد(*) .

وفى العادة لم يكن لكل قرية سوى صراف واحد يختاره المبـاشر القبطى ، والصراف هو الآخر وعلى الدوام قبطى ، وكانت مهمته تحصـيل الدخول والتأكد من قطع النقد وهو مسئول عن قيمتها ، وكان الصراف فى ضمانة المباشر،فهو مسئول عن تسديد ما قد يتبين من خطأ أو نقص فى الايراد . ويعمل تحت رياسة المباشر القبطى كذلك عدد من الكتبة بحسب حجم مسئولياته .

---

(١) حيث يقيم حكام القرية من المماليك

(٢) تساوى البوطاقة ٩٠ مدينى — وكل ٨٠ مدينى = فرنك واحد .

(*) ستوضح فيما بعد وظيفة الشاهد — المترجم .

(٣) لم يكن هناك سجل عام للمال الحر فى مصر .

وعنـــدما لا يكون للملتزم مبـــاشر فانه يقـــوم بنفســـه بتعيين صرافيـــه .

والشاهد على الدوام واحد من فلاحى القرية ، ويشترط فيه أن يعرف الكتابة والحساب ، وهو على نحو ما رجل الفلاحين فهو الذى يســـير مصالحهم ، وهو يمسك كشفا بالأموال التى دفعها الفلاحون على مـــدار العـــام لكى تخصم عند تحصـــيل الضريبة ، وليس للقرية الا شاهد واحد ويختار من قبل الفلاحين . وينبغى أن يحوز قبول الملتزمين أو اكبر هـــؤلاء الملتزمين نفـــوذا .

واذا حدث أن بعض قطع الأرض لم تصلها مياه الرى فان الملتـــزم يأمر بقياسها حتى لا يكلف الفلاحون الا بدفع الضريبة التى تتناسب مـــع مساحة الأرض التى يمكن لهم زراعتها ، وفى بعض الأحيان يرســـل لهذا الغرض مساحا قبطيا ، ولكن هناك فى معظم الأحيان واحدا من أهالى القرية، مكلفا بادارة زراعة أراضى الملتزم ويسمى : الخولى ، وهو الذى يقـــوم بمساحة الأرض وقياسها بينما الصراف يدون ويحسب . ويشهد هذه العملية شيخ البلد الذى تتبعه هذه القطعة من الأرض ،.ويشهد هذه العملية أيضا القائمقام فى حالة كون قطعة الأرض التى لم ترو كبيرة المساحة .

وفى القرية التى يكون بها عدد من الملتزمين وبالتالى عديد من الخولة فان الخولى الأكثر نعلبما والأكثر نفوذا يكلف بالتمييز بين الملكيات الخاصـــة للزراع .فى حالة ما إذا كانت سببا فى تفاقم النزاعات بينهم ، والخولى فى معظم الأحيان لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ويحتفظ بمعلوماته فى ذاكرته وحدها ، لذلك كان المعتاد أن يخلف الابن أباه فى وظيفة المســـاحة ، وفى نفس الوقت ، فانه اذا حدث أن ارتكب الخولى بعض الأخطاء فى قيـــاسه فان شيوخ البلد يبلغون أمره الى اقوى الملتزمين نفوذا ويرشحون له فى نفس الوقت رجلا قادرا على أن يحل محله ، عندئذ يعزل الملتزم الخولى المخطىء ويعين الرجل الذى رشحه الشيوخ خوليا بدلا منه .

وتدفع الأراضى المنزرعة نخيلا فى بعض البلاد بحسب مساحة الزرع وفى بلاد اخرى تحدد الضريبة على هذه الأراضى بعدد النخلات .

وتخضع العادات التى كانت متبعة فى ادارة أراضى الوسية لعدد كبير

من الاختلافات،اذ هى لا تختلف فقط من قرية لأخرى وانما تتنوع أيضا بحسب اهواء الملتزمين . وبرغم ذلك فاليكم ما كان يحدث فى العادة :

كان الملتزم اما ان يؤجر أرضه واما أن يزرعها بطريق السخرة . وفى الحالة الأولى يؤجر المالك ارض وسيته الى شيخ البلد الذى يدير فى نفس القرية زراعة اراضيه الأخرى . وثمن الايجار على الدوام أكبر من مجموع المال الحر والبرانى الذى تغله أراضى الفلاحين فى هذه القرية . وتتراوح هذه الزيادة من ١ — ٤ بوطاقات للفدان الواحد حسب جودة الاراضى وحسب اقترابها أو بعدها من المدن ، لذلك كانت الأراضى المجاورة لبولاق تؤجر بسعر اكبر ارتفاعا .

وفى الحالة الثانية يكون للملتزم فى كل قرية من القرى التى تتبعه بصفة اساسية رجلان مكلفان بزراعة وحصد اراضيه (الوسية) ويسمى الأول : الخولى أو المشرف،ويسمى الثانى الوكيل أو المحصل .

ويقوم الخولى بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين حسب حاجاتهم أو طلباتهم ، وهو — او اى رجل آخر يوثق به — هو الشخص الذى تودع لديه الأموال اللازمة لدفع نفقات الفلاحين .

ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عندما يحين وقت الحصاد ، فيمسك سجلا بكميات الحبوب المحصودة ويودعها فى بينه ويحضر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون من ٤٥ الى ٦٠ مدينى عن زراعة الفدان الواحد . اما عن الحصاد فانهم يحصلون على مكيال من القمح أو الشعير يساوى على اكثر تقدير ١/٢٦ من الأردب ، وذلك عن اليوم الواحد .

وفى الحالة الثالثة (*) ، وهى الحالة التى يتم فيها العمل فى أرض الوسية بطريق السخرة فان الخولى يظـــل على الدوام موزعا للاراضى ومشرفا على الزراعة،كما تبقى اختصاصات الوكيل بنفس الشكل الذى سبق ان أوضحناه .

وفى كل الحالات التى لا تؤجر فيها الأرض يقدم الملتزم كل الحيوانات

(*) من الواضح انه كانت هناك ثلاثة طرق لاستغلال أرض الوسية :
١ — الايجار ، ٢ — الاستزراع بالاجر ٣—الزراعة عن طريق السخرة .
(المترجم)

اللازمة للرى وكذلك البذور اللازمة ، ويعهد برعايه الحيوانات الى حارس يسمى : كلاف . وفى القرى التى تزرع فيها اراضى الوسية بالسخرة يحصل الناس الذين يعملون فى الأرض بالمحاريث على اجر ، ويعيش على هذا العمل بالدرجة الأولى اشد طبقات الفلاحين بؤسا .

والفلاحون مجبرون على تطهير القنوات والترع الخاصة لكن ينبغى على الملتزم ان يدفع لهم بحسب الأجر الذى اقرته العادة . والخولى كذلك هو الذى يقوم بالاشراف على العمل .

وكما تدار اراضى الوسية تدار أيضا الأراضى المملوكة للمساجد وكل الأراضى التى تسمى رزقة،اى ان الناظر يقوم بتأجيرها او يعمل على زراعتها عن طريق خولى أو وكيل،وقد قيل لى أن الأراضى المملوكة للمساجد لا تزرع مطلقا عن طريق السخرة .

ولا استطيع أن انهى الحديث عن ادارة الأراضى دون أن اتناول بالحديث مختلف طبقات السكان وكذلك الطريقة التى تمارس بها حراسة الأمن بينهم .

هناك فى القرى بخلاف الفلاحين التابعين للمشايخ ، فلاحون لا يمتلكون ارضا ويستخدمون كأجراء عند أولئك الذين يتملكون الأراضى . وكثيرا ما يحدث أن يصبح هؤلاء الملاك انفسهم اجراء فى السنوات التى لا تصل الى اراضيهم فيها مياه الرى ، فهم عندئذ يتوجهون الى القرى التى يمكن أن تقدم لهم فيها فرص العمل . وليست هناك قرية مهما كانت صغيرة لا يوجد بها تجار للاقمشة الشعبية والمأكولات وكذلك بعض صناع الفخار (القلل والجرار) ، وبعض العمال بالاضافة لبعض البنائين والنجار ...الخ .

ويوجد فى كل قرية شيخ بلد أو يمكن القول بانه مأمور التصفية أو وكيل الدائنين (السنديك) فى البلدة،فهو الذى يقوم على وجه الخصوص بوظائف قاضى المصالحات كما انه يفصل فى الخلافات التى لها بعض الاهمية، وتمتد سلطته ليس فقط الى كل الفلاحين المزارعين وانما الى سكان القرية . ومنصبه هذا ليس مجرد منصب شرفى فهو يحصل عن طريقه على بعض الفوائد . فعلى سبيل المثال ، اذا جاء المماليك ليطلبوا مبلغا من المال أو كمية من الأغذية فان شيخ البلد الأول يعمل على جمعها دون أن يدفع هو من ثرواته ولا ينازعه أحد فى حقه هذا . واذا كان من الصحيح أن المماليك

كانوا يهتمون بأن يحولوا دون أن يصبح مشايخ البلد الأول شديدى الثراء وذلك بأن يقرروا عليهم وحدهم من وقت لأخر بعض المغارم ، فقد ظل مع هذا — منصب الشيخ الأول على الدوام فى أيدى اكثر اهل القرى ثراء . وكان هذا المنصب ينتقل فى العادة من الأب الى الابن لكن ثمة امثلة على خروج المنصب من اطار عائلة ما ليذهب الى أخرى اكثر ثراء واكثر نفوذا .

ومع ذلك فقد كانت توزان سلطة شيخ البلد ، واحيانا سلطة الشيخ الأول ، سلطة واحد من المزارعين يكون اكثر ثراء من الآخرين ، يعرف كيف يجمع حول نفسه تجمعا . ويرفض هذا المزارع احيانا ان يدفع الضرائب المقدرة عليه ويرغم الصراف على الهروب من البلدة ويلجأ هذا الأخير الى الملتزم التابع هو له ، فيتخذ الملتزم حينئذ الوسائل اللازمة لتحصيل عوائده .

ويحمل الخادم الأول عند شيخ البلد اسم : المشد ، وهو على نحو ما بمثابة بواب أو حارس للقرية ، فهو يعرف ويدل الغرباء الذين يصلون الى القرية على مسكن كل واحد من أهلها ، ويتعهد بارشادهم الى الأمور التى يمكن أن يكونوا هم فى حاجة لمعرفتها : كالطعام ودواب النقل .. الخ ، واجره المنظور عبارة عن بضع مئات من المدينى ، يدفعها له الملتزمون لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التى يحصل عليها مقابل الخدمات التى يؤديها .

واليكم الآن قائمة بالاجور المقررة لمختلف الشخصيات العاملة فى ادارة الأراضى التى تعرضنا لها فى هذا الفصل :

صراف القرية : ويدفع له الفلاحون اجره :

١ — فهو يحصل على ٢ مدينى مقابل كل ٩٠ مدينى يحصلها .

٢ — وهو اما أن يحصل على طعامه من الفلاحين ، ويقوم المشايخ بتوزيع هذه التكلفة على الفلاحين او يتلقى بدلا من ذلك فى نهاية العام مبلغا ثابتا تحدده العادة .

٣ — واخيرا فهو لا يعطى ايصالا بالـ ٩٠ مدينى التى حصلها الا اذا كان قد حصل بالفعل ٩٥ مدينى . وتحصل هذه الاتاوة لصالح المباشر القبطى حين يكون للملتزم مشد ، وفى الحالات الأخرى تكون هذه الحصيلة

عادة اقل(١) .

ويحصل **الشيخ** من المالك فى مقابل الخـدمات التى يؤديها له على اعفاء من البرانى عن قطعة الأرض التى يحوزها ، وهى قطعة محددة فى كل قرية ، وزيادة على ذلك فان المالك يقـدم له من ٣٠٠ الى ١٠٠٠ بارة كمنحة ، ويقدم له هذا المبلغ دلالة على الرضا اكثر منه كاجر ويسـمى : مساهمة المشايخ .

ويعفى **الشاهد** أيضا من البرانى عن جزء من اراضيه،ويحصل عـلى أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم،لكن الأمر يختلف كثيرا من قرية لاخرى .

ويحصل **المشد** من الملتزم على ١٠٠ او ٢٠٠ مدينى،ويسمى هذا الأجر: عادة المشـد.

ويدفع الملتزم كذلك الضريبتين الآتيتين :

عادة سقا دار الوسية : وهى تقرر لسقاء منزل المالك اذا كان يقطنـه الملتـزم .

عادة خدامين الوسـية : وهؤلاء الخدم هم : الخولى ، الوكيـل ، الكلاف ، المزارعين .

ويحصل **الخولى** من الملتزم فى مقابل العناية التى يقوم بها نحو زراعة أراضى الوسية والعناية بالترعة على :

١ ــ الاعفاء من البرانى عن بعض أرضه .

٢ ــ ١/٣ المنحة المخصصة للشيخ،كما يعطيه كل واحد من الفلاحين كذلك ١/٢٦ من الأردب من الحبوب باعتباره مساح القرية .

ويدفع اجر **الوكيل** عينا ويصل أجره السـنوى الى ١٠ ارادب من الحبـوب.

وحيث إن **الكلاف** مجرد خادم بسيط فان الملتزم يدفع اجـره حسب الاعتبارات الخاصة التى تقوم بينهما .

---

(١) عدد المسيو جيرار فى دراسة عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر الوسائل التى كان يلجأ اليها الاقباط لكى يحصلوا لأنفسهم جزءا كبيرا من دخول مصر .

واخيرا ففى المناطق من أرض الوسية التى تزرع بالسخرة يخصص الملتزمون — ان لم يكونوا شديدى الجور — كميات صغيرة من الحبوب الى اشد الفلاحين بؤسا .

٣

عن بعض العادات الخاصة فى صعيد مصر

توجد اختلافات شديدة كما قلت بين عادات الصعيد وعادات مصر السفلى . وتعود هذه الاختلافات فى جزء منها الى الصعيد ذاته والى نمط الزراعة التى تقتضيها طبيعة أرضه،ومع ذلك فينبغى ان ننسب هذه الاختلافات اساسا الى بعد الصعيد عن العاصمة والى الاضطرابات المستمرة التى كان الصعيد مسرحا لها،ذلك انه يبدو ان اضطرابا كبيرا كان قد سيطر على ادارة كل انحاء هذه المنطقة منذ غزو عرب الهوارة حتى الوقت الذى اصبح فيه الشيخ همام رئيسا لهم . وفى اثناء الوقت الذى كان فيه الشيخ همام قويا تم ادخال كثير من التحسينات فى الزراعة على يديه وانتظمت الادارة بشكل عادل ، ولكن بعد موته حين أصبحت هذه البلاد مأوى للمماليك اللاجئين عاد الاضطراب الى كل مكان واضيفت تعديلات جديدة الى التعديلات التى سبق ادخالها والتى لا يزال الصعيد يحتفظ بجزء منها .

ومهما كانت هناك من أسباب يمكن لها أن تغير من عادات الصعيد ، فسوف اعرض هنا للاختلافات الرئيسية التى نلاحظها عندما نقارنها بالعادات فى بقية أنحاء مصر .

فى كل الجزء من الصعيد الواقع بين جرجا وشلالات اسنا ، فان الاراضى المتعلقة بكل قرية ليست موزعة على الفلاحين بأجزاء محددة كما فى مصر السفلى ، لكنها على نحو ما ملكية مشاعة للجميع وتوزع على كل حسب امكانياته فى الزراعة . وحيث أن عدد الفلاحين محدود على الدوام تقريبا بالنسبة لمساحة الأراضى القابلة للزراعة ، فانه يمكن لاى فلاح مهما كان المكان الذى ينتمى اليه ان يشارك فى التوزيع اى أن يحصل على جزء من تقسيم الأرض — وكانت هذه الارض تسمى : المساحة .

ولا يتوقف هذا النمط من الملكية فجأة عند جرجا بل هو يمتد الى كل الاقاليم الادنى حيث كان يعرف كذلك نظام الملكيات المحددة وكانت تسمى هذه

الأراضى ، وهى التى أقسامها المحددة كذلك ترتبط بعائلات بعينها ، بأراضى الاثر .

وكان اقليم الفيوم وكذا الجزء الادنى من اقليم اطفيح يقسم ويدار بنفس الطريقة المتبعة فى أقاليم مصر السفلى وتدفع كذلك نفس الضرائب .

وللفلاحين فى مصر السفلى حق بيع أراضيهم فيما بينهم . لكن الفلاحين فى مصر الوسطى لم يكونوا مطلقا ليبيعوا أرض الاثر التى كانت تخصهم . أما تلك التى يتملكونها عن طريق الميراث فاننا نجهل ما ان كان لهم حق بيعها أم لا ولكن ، بما أن مساحة الاراضى كانت أكبر بكثير من عدد الفلاحين فقد كانت عمليات البيع لهذا السبب مستحيلة .

وتنقسم الضريبة فى مصر العليا الى قسمين اساسيين : المال ، وهو الضريبة نقدا ، والخراج وهو الضريبة عينا ، وتدفع هذه وتلك الى الملتزمين: الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير .. الخ . لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده الى ملتزمه بحسب القيمة الثابتة التى لهما فى كل قرية ، وان كانت هذه القيمة تتغير من قرية الى أخرى .

من هذا نرى أن دخول الملتزمين تتغير حسب مساحة الاراضى المروية وكذلك حسب نوع الزراعة السائدة هنا أو هناك لكن الملتزمين ملزمون على الدوام — ومهما كانت كمية ونوع الضرائب التى يحصلونها — بتدبير نفس مبالغ الميرى نقدا كان أو عينا بحيث إنهم ، اذا حدث أن جمعوا أموالا أكثر مما جمعوا من المحاصيل ، يكونون مرغمين على شراء حبوب كى يسددوا بها حصة الميرى .

والملتزمون فى الصعيد ملاك بنفس الطريقة التى يتملك بها الملتزمون الآخرون فى بقية أنحاء مصر وكذلك بنفس الشروط التى شرحتها فى بداية هذه المذكرة(١) .

---

(١) لا يتطابق ما قلته هنا تماما مع المعلومات التى وردت بمقال : عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر « تأليف جيرار » . فقد ظن كاتب المقال المشار اليه أن بيع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقد مؤقت لا يدوم الا الى فترة السداد . ومع ذلك فقد لمسنا أن كل الملتزمين فى كل أنحاء مصر كانوا يقومون فيما بينهم بعمليات بيع مطلقة .

وكانت الاراضى فى كل قرى الصعيد الأعلى وكذلك فى كل قرى مصر السفلى حيث الارض مملوكة لكل السكان على المشاع ــ كانت توزع على الأهالى بمعرفة شيوخ البلد . وكان المساح يقوم بمسحها بمعرفة القصاب أو حامل المقياس (القصبة) ويدون مذكرة بذلك ويخبر كل فلاح مقــدما بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلا . ويحصل المساح وقصابه معا من الفلاحين من ٦ الى ١٠ مدينى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها . والمساح فى العادة قبطى ومع ذلك فبعض منهم مسلمون وليس ثمة شاهد فى القرى التى تقاس فيها الأرض بهذه الطريقة .

وثمة قرى عديدة فى الصعيد ، كل سكانها من الاقباط ، وفى هــذه الحالة تكون مناصب شيخ البلد فى أيدى الأقبــاط ، ولكن فى القرى التى يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا فان هــذه المناصب تــكون فى أيدي المسلمين ؟ .

وقد اغفلت أن أدخل فى تعــداد انواع الملكيات المختلفة فى مصر السفلى تلك الملكيات التى تسمى : المسموحة لأن عــددها هنــاك بالغ الضآلة ، ولكنها اكثر انتشارا نسبيــا فى الصعيد وتسمى : الحطيطة ، وهذه الملكيات فى بعض الأحيان تكون عبارة عن دخــول نقــدية وتكون احيانا دخول عينية عن عقار ما من الأرض ، واحيانا تــكون الحطيطة هى العقار نفسه ، وهى فى كل الحالات لا تــدفع أى نــوع من الضرائب . ويرجع السكان هذا النوع من الملكية الأصــل يبــدو لى طبيعيا لحــد مــا فيقولون أن هذه الحطيطة عبــارة عن سرقات قام بها العــــربان الذين استقروا عنوة فى القرى المختلفة . وأن هذه السرقات قد تنوقلت بفعل الوراثة واكتسبت شرعيتها بمضى الزمن . وهذه الملكيات ــ التى ليست لها اهمية بالغة ــ تستقر فى غالب الأحيان فى يد مشايخ البــلاد .

وفى النهاية ، فان الضرائب فى عدد كبير من قرى الفيوم ، لم تكن تقدر حسب مساحة الأرض ، ولكن كان على القرية فى مجموعها أن تدفع مبلغا محددا . وعندما توجد قطعة من الأرض لا تصلها مطلقا ميــاه الرى يعــقد الفلاحون والملتزمون اتفاقا وديــا ، واذا أحس الأولون أن الاتفــاق مجحف بهم يرفضون الزراعة ويلوذون بالفرار .

وفى مصر السفلى يوجد بعض الأمثلة على قرى بها قطع من الأرض

تدار بهذه الطريقة . ويطلق على هذه الاراضى اسم : شروه(١) .

---

(١) نجد عند هيرودت نصا يتعلق بدخل ملـوك مصر من ضرائب الاراضى عند توزيع هذه الأراضى وعند تخفيض الضرائب فى بعض الحالات وسأذكرها هنا ليس بقصد أن نعرف ما كان يحدث فى الماضى بل لكى نتعرف على ملامح التشابه التى نجدها هنا مع ما سبق ان ذكرته بخصوص نفس النقاط عن الادارة المالية وبالذات فى الصعيد أكثر منه فى الوجه البحرى . يقول هيرودت :

« وقال لى الكهنة أيضا ان الملك سيزوستريس قد أمر بتقسيم الأرض مخصصا لكل واحد قسما متساويا ومربعا يعطى له كيفما اتفق. كل وقسمته، بشرط أن يدفع للملك كل عام على الاقل ضريبة محددة تشكل دخله . واذا حدث أن أغرق النهر جزءا من أرض احدهم فانه يذهب لمقابلة الملك ويعرض عليه ما حدث فيرسل الملك الى أرض الفلاح بمساحين لقياس مانقص من العقار حتى لا يدفع الفلاح من الضريبة الا ما يناسـب ما تبقى منه » . ويضـيف هيرودت :

« وهذا فيما اعتقد هو أصل حساب المثلثات الذى انتقل من هذه البلاد الى اليونان » .

واظن أنه ينبغى أن نربط بين هاتين الجملتين « اغرق النهر جزءا من حصته » و« تركت من حصـته أرض لم تغرقها الميـاه » ذلك انه فى زمن سيزوستريس ، وكما يحدث الآن كان النهر دون شك لا ينزع من الأرض الا جزءا بالغ الضآلة بحيث لا يمكن ان يكون الأمر موضوعا للاحظة كما كان النهر ولابد — كما يحدث الآن أيضا — يترك فى بعض الأحيان مساحات كبيرة من الأرض دون رى .

ويخيل الى كذلك انه لا ينبغى أن نقر بشكل عام فكرة تقسيم الأرض بأجزاء متساوية بين كل الأفراد ذلك أن هيرودت نفسه يقول بأنه كان لكل واحد من المحاربين ١٢ أرورة من الأرض أى حوالى ١٠٠ تواز مربع (تبعا لحساب دانفيل الذى يحسب الذراع المصرى بـ ٢٠ بوصة و٦ شرطات لكن حساب الارورة لا يصل الى ٢٤ تواز والـ ١٢ أرورة لا تساوى مربعا طول ضلعه ٨٣ تواز . وقد خلط دانفيل ومعه كل العلماء بين الذراع العبرى والذراع المصرى وهذا ما سوف أوضحه فى مقالى عن النظام المترى عند قدماء المصريين. ا. جومار) معفاة من الضرائب . ونعرف فضلا عن ذلك عن طريق ديودور الصقلى أن النظام الكنسى كان يمتلك كذلك أراض خاصة به . ومن جهة أخرى فكيف كان يمكن أن يحصل التجار والحرفيون على نصيب ما من هذا التوزيع .

يبدو لى اذن أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يفهم الا على أنه كان يتم بين المزارعين واذا كان مما يلفت النظر الآن أن زراعة الاراضى التى تحيط بقرية ما لا يمكن أن يعهد بها عقلا الا الى سكانها انفسهم فاننا نستنتج من ذلك : ١ — أن القرى كانت تمتلك مساحة معينة من الأرض عن طريق الضريبة التى تدفعها الى الملك . ٢ — أن أراضى القرية الواحدة كانت توزع على كل الافراد من السكان بأقسام متساوية كل عام وكيفما اتفق .

٤ — عن مسال الكشوفية او ضريبة الكاشف

قبل أن نوضح طبيعة هذه الضريبة التى تحصل كلها تقريبا لصالح حكام الولايات فربما يكون من المناسب أن نتحدث قليلا عن هؤلاء الحكام .

لم يكن البكوات يحتفظون بمنصب حاكم ولاية معينة الا لمدة سنة واحدة . وكانت مهامهم الرئيسية حفظ الأمن وفض الخلافات التى يمكن أن تنشب بين قرية واخرى وتقديم الحماية للفلاحين ضد العربان وحماية الملتزمين فى تحصيل دخولهم .

وكان للبك عدد من الكشاف يصل احيانا الى ٢٠ كاشفا ، وهؤلاء هم ملازموه (ملازم) ، الذين يتصرفون حسب أوامره . وكان البك يمر عادة بولايته ثلاث مرات أو أربع ويقيم فى افخم منازلها ومع ذلك فقد كان من الضرورى بالنسبة له الا يتغيب طويلا عن العاصمة خشية أن تطيح به احدى المؤامرات التى فشل فى التنبؤ بها فى الوقت المناسب ، فكان يترك على الدوام بعض كشافه يجوبون الولاية مع مماليكهم . كما كان يوجد فى كثير من الأحيان واحد او اثنان أو ثلاثة قائمقام ، وهذا القائمقام اما مملوكا أو سراجا ويقطن فى بيت يسمى أرض الوسية اى بيت الحاكم ووظيفته فى القرى التى يحكمها (او وظيفتهم فى القرى التى يحكمونها) هى نفس وظيفة ومهام البك فى الولاية التى يحكمها .

وبخلاف الراتب الذى يدفعه لهم البك ، فقد كانوا يرغمون الفلاحين على مدهم بالأطعمة التى يحتاجون اليها .

= اذن فقد كانت القرى تمتلك اراض فى الماضى كما نمتلكها تقريبا قرى الصعيد اليوم . فقط لقد أوقفنا تقسيم أراضى القرى فى الوقت الحالى بين المزارعين بنفس العدالة .

واذا ما قاربنا بين نص هيرودت الذى سبق ذكره والنص الوارد فى سفر التكوين حيث أضاف موسى بعد أن قص الطريقة التى اتبعها يوسف حتى يجعل من فرعون مالكا لكل الأراضى « ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم يدفع الى الملك فى كل أنحاء مصر ١/٥ دخول الاراضى ، ويحدث هذا كما لو كان تاتونا فيما عدا أراضى الكهنة التى ظلت معفاة من هذا العبء » . واذا ما تذكرنا الرأى الذى يراه المصريون المحدثون بخصوص ملكية الأرض فسوف نرى انهم كانوا معتادين منذ وقت طويل أن ينظر الى ملاك الارض فى مصر على انهم مزارعو الملك . ويمكن أن نلاحظ أيضا فى هذا النص من سفر التكوين أن أراضى المنشآت الدينية كانت منذ قرون معفاة من الضرائب .

والخازندار هو واحد من مماليك البك . وكان الأشخاص الذين يشغلون مهام مختلفة تتصل بمالية بيت البك يشغلون فى العادة وفى نفس الوقت المهام المشابهة التى تتصل بمالية الولاية .

ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم،ويفرض الجزء الآخر على الفلاحين .

واليكم اقسام الجزء الذى يحصل من الملتزم :.

مال الجهات : ويخصص عائد هذه الضريبة لمركب الترفيه الذى يسبق كل عام المحمل المسافر الى مكة . ويحصلها حكام الولايات وبعطى ليد شيخ بلد القاهرة الذى يعطيه الى اسلام باشى المكلف بمهمة التصرف فيه . ويدفع الملتزمون مال الجهات بنسبة عدد القراريط التى يمتلكونها وهو نفس ما يحدث مع الضرائب الأخرى الآتية .

خدمة العسكر : وقد تقررت هذه الضريبة فى الأصل كرواتب لجنود الأوجاقلو لكن حكام الولايات منحوها لأنفسهم .

عادة أوراق شتوى وصيفى : وكانت ترسل هذه الرسائل الى مختلف القرى لاخطار الأهالى بأن الوقت قد حان لسداد الضرائب .

واليكم الآن قائمة بالضرائب المكونة لمال الكشوفية المقررة على الفلاحين :

رفع المظالم : وتقررت هذه الضريبة على يد محمد بك ابو الذهب لكى تحل محل المظالم الهمجية . وفى هذا الصدد ثمة ثلاث طبقات من القرى : الأولى وتدفع ٢١٠بوطاقة ، الثانية وتدفع ١٥٠ بوطاقة والثالثة وتدفع ٨٠ . لكن تقرير هذه الضريبة لم يمنع المظالم الهمجية من أن تحدث كما كان الأمر من قبل .

مال التحرير : تقررت على يد ابراهيم بك لنفس الأغراض سالفة الذكر واصبحت مثلها مجرد اعباء جديدة على الفلاح . وقد قسم ابراهيم بك شأنه فى ذلك شأن محمد بك القرى الى ثلاث طبقات : الأولى وتدفع ١٥٠ بوطاقة ، والثانية وتدفع ١٠٠ بوطاقة ، والثالثة وتدفع ٥٠ بوطاقة .

مطالب حاكم الولاية : وهذه المطالب على الدوام عينية مثل الشعير والتبن،.. الخ وقد تكون اطعمة للفرقة التى تصاحب الحاكم عندما يسافر، وعندما تكون هذه الفرقة كبيرة العدد تبلغ كل قرية بالجزء من المصروفات التى عليها أن تدفعها . وهذه الضريبة غير محددة .

مصاريف النياية اللازمة : وهى المصاريف التى يتكفل بها مشايخ القرى عندما يقدمون الكلفة اى الوجبات الى الكشاف والى المماليك الاخرين الذين يمرون بالاقليم . وهذه المصاريف التى لا يمكن كما رأينا أن تكون محددة كان يقسمها المشايخ على الفلاحين .

حق الطريق : وهو أجر القواسين (القواس) وان كان يدفع ايضا لصغار المماليك الذين يقدمون الى القرية حاملين الأوامر . ويحدد هذا الأجر بمعرفة نفس الشخص الذى أرسل الأمر .

وتشكل كل الضرائب السابقة بالاضافة الى المظالم والمغارم الهمجية ما يطلق عليه اسم « مال كشوفية » . ويدون ما هو ثابت من هذه الضرائب عند المباشر القبطى .

لكن عوائد مال الكشوفية لا تذهب كلها لحكام الأقاليم وحدهم ، فهؤلاء ملزمون بدفع الميرى عن مناصبهم وذلك بخلاف تسديدهم مال الجهات المخصص لحمل الحج . ويبلغ الميرى المستحق عن مناصبهم حوالى ٢٠ ، ٣٠ ، ٥٠ كيسا(١) عن الولاية ، حسب درجة ثراء الولاية نفسها . وكان عليهم كذلك فى العادة أن يقدموا مرة فى العام هدايا الى الباشا والى الكخيا والى الخازندار كما عليهم أن يدفعوا مكافاة الى كل الأشخاص المهمين فى بيت الباشا .

ولكى نقدم فكرة عن المظالم والمغارم التى كان يمارسها المماليك تجاه الفلاحين، وهى الابتزازات التى تحرم هؤلاء الفلاحين من أية ميزة كان يمكن أن تعود عليهم لو انهم اقتصروا على دفع الضرائب المنتظمة، فسوف أعرض لاثنتين من هذه المظالم كانتا تتكرران فى معظم الأحيان .

كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء تتعرض لهجمات العربان الذين يأتون للاستيلاء على جزء من أراضيها لزراعتها وذلك بموافقة حكومة الولاية . ويحدث — عندما يحين موعد سداد الضرائب — أن يرفض العربان فى بعض الأحيان دفع هذه الضرائب . واذا لم يصل المماليك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها فان الجزء من الضريبة الذى كان عليهم أن يدفعوه عن الاراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين .

---

(١) الكيس = ٢٥٫٠٠٠ مدينى .

وقد قلت فيما سبق أن الملتزمين كانوا يأمرون بقياس مساحة الأراضى التى لم تصلها مياه الرى حتى يقللوا من الضرائب بنفس النسبة ، لكن اذا ما حـكم المماليك أو مباشروهم بأن بامكان الفلاحين أن يدفعـوا الضريبة كلها ، فانه لا يسمح بأى تخفيض فى الضريبة المقررة .

وأخيرا فان جشع المماليك لم يكن يعرف لنفسه حدا الا عندما يتبين عجز الفلاحين الكامل عن الدفع . ولم يكن هـؤلاء البؤساء يستطيعون ان يلجأوا لأية وسيلة تواجه هذه المظالم الا بالهرب ، فعندما يجـد فلاح مـا نفسه عاجزا عن ارضاء جشع سادته ، فانه يترك حقـوله ومنـزله وتتبعه زوجته وأولاده ويذهب الى قرية أخرى يبـحث لنفسه فيهـا عن أراض يزرعها وعن سادة أقل جشعا .

وبخلاف الانتهابات التى كان يقـوم بهـا المماليك والصيارف ، فقد كان على الفلاحين أن يعانوا كذلك من غارات العربان الذين كانوا يغيرون ليغتصبوا منهم قطعان مواشيهم وكل ما أهمل الأولون أن يأخذوه .

وسأقدم هنا قائمـة بالضرائب التى اضيفت الى المال الحـر والتى فرضت كلها على وجه التقريب لصالح حكام الولايات ، حتى ولو كانت قد فرضت فى الأصل لأغراض مختلفة كما سنرى .

اعوادة جاويش كاشف : والجاويش هو الذى يرشد الكاشف ويقوده الى الأماكن التى يريد الذهاب اليها . فهذه الضريبة اذن مخصصة لجنود الأوجاقلو .

تسويف مقرر: وقد تقررت هذه الضريبة أيضا لصالح الفرق العسكرية.

عادة راس نوبة :

عادة مسوادة :

وهاتان الضريبتان قد خصصتا لبعض الأوجاقلو المسمين : راس نوبة، ومسودة والذين كانت وظيفتهم حماية عملية سداد مال الجهات .

عادة خدام الرملة : وهى اجر الفرقة التى تحمل الزكائب التى تملأ بالتراب الذى يستخدم فى صنع الجسور .

عادة مسلم : والمسلم هو أحد رجال عسكر الأوجاقلو .

عادة اليازجي : اي عادة كاتب الفرقة .

عـــادة تبن السلطانية : اى العـــادة المخصصة لتامين التبن اللازم لفرق السلطان .

عادة حوالة الحوالات : وهى العادة المخصصة للشخص الذى يرسل الى دائرة القرية ليحصل الضرائب .

عادة خفر المال : وهم الحراس اللازمون لنقل ناتج القرية .

عادة جسر السلطانية : وهى مخصصة لجسور التـــرع التى اقيمت على حساب السلطان . ويوزع ناتج هذه العادة على اهم مشايخ البلد المكلفين بادارة العمـــل ، ويحـــدث نفس الشىء بخصـــوص العـــادات الثلاث الآتية :

عادة جرافة السلطانية(١) : وتخصـــص لدفـــع اجـــور اولئك الذين يعملون فى تطهير الترع الـــكبرى بواسطة الجرافة .

عادة شيخ الجرافة : اى عادة رئيس الانفار الذين يشتغلون بواسطة الجـــرافة .

عادة صغار الجرافة : اى الاولاد الذين يعملون بالجرافة ، ولم يكن يدفع هذه العادة الا عدد ضئيل من القرى .

عادة مطمسين الجسور : اى حـــراس الجسور . وتخصص هـــذه العادة للرجال الذين يعملون لاعـــداد الطين للجســـور، والذين يقـــومون بحراستها اثناء الليل .

وتخصص العادات الخمس الاخيرة لأشغال الترع التى تقـــام على نفقة السلطان، ولا يدفعها الا الملتزمون الذين يحتاجون الى هذه الترع لرى

---

(١) الجرافة : اداة تستخدم فى بعض انحـــاء مصر لتطهير التـــرع وهى مثلثة الشكل ومصنوعة من الواح خشبية ويبلغ طول سطحها حوالى ٩٠ سم ويبلغ ارتفاع حوافها حوالى ٢٠ سم على ٢٠ سم من الجـــوانب فقط . وعندما يراد استعمالها ، يبداون بحـــرث قاع الترعة ثـــم يعلقون ثورين من البقر بحبال الجاروفة بحيث يتجه الجـــانب الـــذى لا حواف له ناحية الحيوانين ويركب رجل فوق هـــذه الأداة لاعطائها بعض الثقل ثـــم يساق الحيوانان فتدخل الأتربة فى الجاروفة من الجانب الذى لا حواف له وعندما تمتلىء الجاروفة يتجهون بها خارج الجســـور ليفرغوها .

أراضيهم . وفى نفس الوقت فقد كان من النادر أن تلزم قرية بعينها بأن تدفع خمس ضرائب فى وقت واحد .

عادة تقرير أفندى الولاية : أى قاضى الولاية(١) .

عادة نايب ريبة : أى العادة المخصصة للشخص المكلف بحراسة الفتيات العامات (المومسات)،وقلة من القرى فقط هى التى تدفع هذه الضريبة،وهى من جهة أخرى ضريبة ضئيلة .

وقد تقررت بعض هذه الضرائب الـ ١٧ السابقة منذ وقت طويل لصالح فرق الأوجاقات ، أما بعضها الآخر فزيادات طرأت على يد نفس الفرق العسكرية.وهناك نوع ثالث من هذه الضرائب كتلك التى تقررت لصالح صغار الجرافة،وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد اتاوات تحولت بمرور الزمن الى ضرائب قانونية .

وقد تحولت الآن كل الضرائب التى تقررت من أجل الترع وكذلك التى تقررت لصالح جنود الفرق العسكرية لصالح حكام الولايات ولم يعد هؤلاء يقومون باصلاحات تذكر الا للترع التى تبين أهميتها المطلقة مثل ترعة الاسكندرية .

ولم تكن كل قرية تدفع كافة الضرائب والعادات التى بينتها،فثمة بعض هذه العادات قد توقف فى بعض الجهات أو لم يعرف على الاطلاق فى جهات أخرى .

وكان يتم تحصيل هذه العادات وكذلك تحصيل مال الكشوفية الذى يدفعه الملتزم ــ على فترات مختلفة فى نفس القرية . وكان الشاهد والصراف يدونانها لكى يخصموها من المال الحر عندما يحصل الملتزم هذه الضريبة .

٥ ــ عن الميرى وعن الافندية

عهد بتحصيل واستخدام الميرى الى ادارة مكونة من مسلمين يسمون الافندية ، ويقيمون بالقاهرة . وكان الأفندى الأول يعرف باسم الروزنامجى، وكان يختار من بين الأفندية ويعين لمدى الحياة بواسطة السلطان ويشغل رتبة نصف سنجق أو نصف بك . أما مناصب الافندية فهى وراثية ويمكن

---

(١) كان القاضى يسمى كذلك أفندى .

أن تباع . ولكن يشترط على الدوام أن يكون المشترى متعلما لحـد كاف وأن يحصل على موافقة الروزنامجى .

ووظائف الروزنامجى هى وظائف المدير العام والجابى ، فلم يكن ثمة غيره يحصل الأموال الناتجة عن الميرى . وكانت هذه الأموال توضع مباشرة فى خزينته . ويقتصر عمل الأفندية الآخرين على مسك الدفاتر الخاصـة بأنواع تحويل أو تبديل المـلكيات والوظائف التى تخضع لدفع ضريبة الميرى، وكذلك عمل الحسابات سواء عما ينبغى على كل مالك أن يدفعه أو عن المصروفات التى يجب استقطاعها من عائد هذه الضريبة . وسوف يتضح كل هذا عند ذكرنا لعدد الأفندية وتحديدنا للاعمال التى يشغلها كل واحد منهم.

الروزنامجى : وقد سبق أن حددت اختصاصاته ، ويعمل تحت امرته مباشرة اربعة أفندية يسمون حلفة ويمكن اعتبارهم بمثابة كتبة له ويشار اليهم هكذا : الأول : باش حلفا ، الثانى : ثانى حلفا ، الثالث : ثالث حلفـا الرابع : رابع حلفا . ويكلف الباش حلفا بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل ملتزم يمتلك أراض فى ولاية الجيـزة وتلك التى ينبغى ان يدفعها حاكم هذه الولاية . وهو مكلف فوق ذلك بان يؤدى نفس هذا العمل لحاكم هذه الولاية ولثلاث قرى فقط من ولاية منفلوط وهذه القـرى الثلاث هى : بنى رافع ، بنى حسين الأشراف ، وقرية حيط بلا غيط .

افندى الشرقية : وتتعلق أعماله بولايات الشرقية والمنصورة وقليوب واطفيح والبحيرة ، وهى من نفس نوع الأعمال التى يقوم بها الباش حلفا بخصوص ولاية الجيزة.

افندى الغربية : واعماله هى نفس الأعمال السابقة ولكن فيما يتعلق بولايتى الغربية والمنوفية .

افندى *الشهر* : وتنقسم مهام هذا الافندى الى قسمين : فهو أولا مكلف فيما يتصل بولايات الوجه القبلى بكل الأعمال التى يكلف بها الأفندية الثلاثة السابقون فى دوائرهم . وولايات الوجه القبلى هى : بهنسا ، الفيـوم ، اشمونين ، منفلوط ، جرجا التى تضم كذلك الواحات . وهو ثانيا يقوم بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل التجار الملتزمين (ملتزم) ورجال الجمارك سواء أولئك الذين يعملون بموانىء البحر أو أولئك الذين يعملون بالموانىء الداخلية مثل بولاق ومصر القديمة .

افندى الغلال : وهو مرءوس للافندى السابق ويعهد اليه بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى .

افندى المحاسبة : لا يمكن صرف التكاليف التى تتم على نفقة السلطان مثل كميات القمح التى ترسل كل علم الى المدينتين المقدستين واصلاح الترع الكبرى والكبارى والحصون .. الخ الا بعد أن يقوم هذا الأفندى بتسوية حساباتها .

افندى اليومية : ويعد منصبه احد المناصب الهامة فهو رئيس لعشرة افندية مكلفين بعمل حسابات المصاريف الآتية : واحد للفقراء والعجزة ويسمى كاشدى ، وآخر للأرامل والأيتام ، وثالث لعميان الجامع الأزهر ، وكبار الشيوخ .. الخ ويسمى جوادى ، والسبعة الآخرون لفرق الأوجاقلو السبع .

افندى المقابلة : وهو الذى يقوم بفحص ومراجعة كل الحسابات التى ذكرت آنفا .

الفندى الكوريكجى(١) : وهو يقوم بحساب ما ينبغى على كل ملتزم ان يدفعه لمصاريف نقل الأنقاض من القاهرة الى بوغازى رشيد ودمياط وهذه الضريبة المتضمنة فى مبلغ الميرى تسمى مال كوركجى وهى ضئيلة بحيث لا يبلغ اجماليها فى مصر كلها الا حوالى ٢٨ كيسا .

ولكل من الافندية التسعة الذين سميتهم — مثلهم فى ذلك مثل الروزنامجى — ٤ حلفا فيما عدا أفندى المقابلة فله ٥ حلفا بسبب عمله البالغ الأهمية . ولكل واحد من نفس هؤلاء الأفندية وكذا الروزنامجى وباش حلفاه : واحد كيسه دار أو حامل الحقيبة التى تضم دفاتر الحسابات وهؤلاء الكيسه دار يعتبرون حراسا لهذه الدفاتر وهم يعرفون الكتابة ويدخلون فى عداد الأفندية .

وبرغم هذا ، فليس هؤلاء هم كل أعضاء تلك الادارة الكثيرة العدد : فثمة أربعة كتاب خزنة اثنان منهم تركيان وهما أعلى مرتبة من الآخرين اللذين يختاران من بين اليهود . وفيما مضى كان الكتاب الأربعة جميعهم من

---

(١) كورك كلمة تركية بمعنى مجداف .ويسمى الأفندى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الأنقاض كوركجى لأن هذا النقل كان يتم فى الماضى بواسطة القوارب .

اليهود ويقال ان هذا الوضع لم يتغير الا عندما هجر واحد من الكتاب الأربعة دينه لكى يعتنق الاسلام ، وعندما تبعه فى ذلك اثنان من ابنائه فقد أصبح هذان يعدان من الأتراك .

ويدخل ضمن اعضاء هذه الادارة اثنان من كتاب الباشا ويسميان : تذكرجى وهى كلمة تركية تعنى كاتب الأوامر . ويكتب أحدهما باللغة التركية ويعتبر الكاتب الأول أما الثانى فيكتب باللغة العربية .

واخيرا فهناك ثلاثة صرافين ملحقين بادارة الميرى ، وثلاثتهم من اليهود ويدعى احدهم صراف باشى أو صراف أول ووظيفتهم عد النقود ومراجعة أنواعها .

ويخضع الصيارف وكتاب الخزنة مباشرة لاوامر الروزنامجى ، لكنهم يحصلون على اجورهم — شأنهم فى ذلك شأن بقية افراد الادارة — من قبل الميرى . وبامكان هؤلاء ان يستعينوا بأى عدد يحتاجونه من الكتاب والصيارف ، لكنهم وليس الميرى هم الملزمون فى هذه الحالة بدفع اجور هؤلاء .

وينقسم الميرى الى قسمين رئيسيين : مال شتوى ومال صيفى : وتؤخذ عوائد القسم الاول من محاصيل الفول والشعير والقمح ، وهى أهم المحاصيل وأول ما يحصد منها لذلك فهى تخصص للمصاريف الداخلية ، وهذه على الدوام شديدة الالحاح . أما عوائد المال الصيفى وهى تحصل عن الأرز فتأتى متأخرة وتخصص للانفاقات الخارجية .

وكانت حسابات الأفندية وصرف الميرى تتم أربع مرات فى العام بين كل واحدة والاخرى ثلاثة اشهر . وتتم الأولى فى الفترة التى يكون فيها النيل فى أعلى درجات ارتفاعه . وتؤخذ الثلاث دفعات الأولى من التحصيل من المال الشتوى أما الرابعة فتؤخذ من المال الصيفى . واليكم كيف كان يتم الدفع :

يرسل الافندى الى الملتزم أو الى أى مدين آخر مع واحد من خدم الديوان يسمى نشاعوس مذكرة من الميرى بأن عليه أن يسدد ما عليه . وينتقل الملتزم مع هذا النشاعوس الى الروزنامجى الذى يعطى للملتزم بعد تحصيل المبلغ ايصالا مؤقتا ثم يقوم الافندى بموجب هذا الايصال المؤقت بتحرير الايصال النهائى .

وللافندية طريقة خاصة بهم فى مسك وكتابة حساباتهم والتى يقال انها أيضا مستخدمة من قبل الافندية فى القسطنطينية . وتبدو كتاباتهم التى تسمى خط القرمة ، تبدو للوهلة الأولى مشابهة لدرجة طفيفـــة للكتابة العربية . ومع ذلك فهى لا تختلف عنها الا فى أن حروفها اقل ارتفاعا من حروف الكتابة العربية واكثر منها اتساعا فى الاتجاه الأفقى وتسمح هذه الطريقة فى الكتابة بتضييق السطور فيما بينها . وهذا ما يجده الأفنـــدية بالغ الفائدة ، ليس ثمة سواهم على الدوام يستطيع قراءتها بسهولة .

ويمسك الاقباط حساباتهم بالكتابة العربية المعتادة ويسجلون المبالغ تحت دلالات* وهذا مما يجعل من العسير القيام بعملية الجمـــع لتـــكوين المبالغ الكلية . اما الذين تعلموا طريقة الكتابة فى القســـــطنطينية فانهم يتبعون الطريقة الاوربية ويكتبون المبالغ فى نفس السطر الذى نكتب فيــه الدلالة مع مراعاة وضع كل المبالغ التى ينبغى أن تجمع الى بعضـــــها ، كلا منها تحت الأخرى ، ويبدون بالغى الكفاءة فى استخدام هذه الطريقة . وفى بلد آخر غير مصر سوف يدهش المرء حين يرى الناس لا يتبنون مثل هذه الطريقة بوجه عام وبخاصة من جانب أناس كالأقباط ــ فعملهم الاساسى عبارة عن القيام بالعمليات الحسابية من جمع وطـــرح . ولكن فى مصر ، حيث تتغلب العــــادة ، فان مثـــل هـــذه الأمور لا ينبـــغى أن تكون مثارا للدهشـــــة .

ويقدم الروزنامجى حسابات ادارته الى الباشا والى الدفتردار(١) ، وهو دائما برتبة بك . وكذلك الى شيخ بلد القاهرة . وعندما تعتمد هـــذه الحسابات ترسل الى القسطنطينية مدونة باللغة التركية وبخط القرمة . ويأمر السلطان فى بعض الأحيان بأن تراجع هذه الحســـابات على يد اغا يرســـله لهذا الغرض .

وعندما تخصم كل المصروفات التى ينبغى أن تؤخذ قانونا من الميرى ، فانه يتبقى بعدئذ حوالى ١٢ الف كيس . ويشكل هذا المبلغ ما يســـمى خزنة عائد السلطان ، ويرسل اليه مع احد البكوات . و آخر مرة ارسل فيها هذا العائد كان فى عام ١١٧٣ هـ

---

* . أى انهم يضعون فوق كل رقم الاشارة الدالة على نوعه مثـــل مليم ، مرش ، جنيه ، سهم ، فدان ، قيراط .. الخ ــ المترجم .

(٢) آخر دفتردار هو أيوب بك الصغير وقد قتل فى معركة الاهرام .

ويمكن ان تنقسم المصروفات العامة التى تؤخذ من الميرى الى اربعه اقسام رئيسية :

١ — جامكية المصر : تندرج تحت هذا البند المعاشات والاجــور الممنوحة فى كل انحاء مصر مثــل مرتبات الفرق والافندية ... الــخ وكذلك معاشات الارامل والايتام وعميان الجامع الازهــر ومعاشات كبـــار المشـــايخ .. الــخ .

٢ — مصروفات الحرمين : وهى المصروفات التى تخصص لصـــالح المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

٣— مصروفات امير حجى (امير الحج) : ويفهم من هذا التحديد ليس فقط ما يخصص لأمير الحج ولكن أيضا أجور الفرق التى تحمى المحمـــل وكذلك مختلف الهدايا التى تقدم الى مختلف القبائل العربية الواقعة على طريق المحمل وذلك لالزامها احترامه .

٤ — مصروفات السعرة : اى مصروفات طوارىء مثل السكر والارز التى يطلبها السلطان فى بعض الأحيان وكذلك مصاريف اصلاح التـــرع والحصـــون . ويدخل تحت هذا البند أيضا الهبات التى تقدم لبعـــض المساجد أو بعض الشـــيوخ لكنها مصاريف اختيارية أكثر منها الزامية .

وما يتبقى بعد سداد كل هذه المصروفات يكون كما قلت عائد السلطان، لكن البكوات منذ سنوات عديدة أمكنهم ان ينظموا حساباتهم بطريقة بحيث لا يعود للسلطان اى عائد . وحيث أنهم كانوا يسيرون الباشا على هواهم فقد كانوا يحصلون منه على فرمان بكل مصاريفهم الوهمية أو الحقيقيـــة بحيث يكونون ظاهريا غير خارجين على القانون تجاه السلطان .

هذا ما كان بخصوص استخدام الميرى النقـــدى.ونتحـــدث الآن عن الميرى العينى : تقرر هذا المال من اجل اطعام جنود الأوجاقات السبعة وكان يوزع عليهم جزء منه فقط فى الواقع ، وبعد ذلك أصبح لبعض المنشآت الخيرية وتلاميذ مختلف المدارس وعدد كبير من العائلات مثل عائلة السادات والبكرى .. أصبح لهم حق فى هذا المال كما اصبح يحصل نصيبه منســه كل من الأفندية والباشا وقاضى العسكر .. الخ كما كانت هنـــاك مصروفات اخرى مثل طعام صناع بارود الحكومة وطعام الابقار التى تحرك الماكينات التى تزود القلعة بالمياه وهذه أيضا كانت تؤخذ من الميرى العينى . وفى استطاعتنا أن نقدر عدد الاشخاص الذين يحصلون على نصيبهم من أطعمة الميرى العينى المجموع من الصعيد بأكثر من خمسين الفا .

ويعهد بتوزيع الأطعمة الى واحد من رجالات أوجاق الجاويشية يطلق عليه اسم أمير الشون : أى الخازن الامين وهو مكلف بتسلم المال العينى وتخزينه بالقاهرة وتوزيعه كذلك . وكان البكوات ملزمين بحمايته وقت التحصيل ووقت النقل ، ومن أجل هذا خصوا انفسهم بكمية هائلة من الشعير والقمح .

ولا اعتقد أنه ينبغى على أن أدخل فى تفاصيل أكثر حول طبيعة المصاريف التى كان على عاتق الميرى أن يسددها،ولا أن انشر قائمة بكل الاشخاص والمؤسسات التى كانت صاحبة حق فى المصاريف النقدية أو العطاءات العينية فليس لهذا العمل أدنى فائدة الا اذا اضيف الى كل الاجزاء الأخرى من مالية مصر بقصد تكوين حالة كاملة للدخول والانفاق فى هذا البلد قبل سقوطها فى أيدى الفرنسيين . وبالاضافة الى ذلك فاننى أقل استعدادا للحديث فى هذه المذكره عن الضريبة فى حد ذاتها وكذلك عن النظام الضريبى ، لذا فقد اكتفيت بالحديث عن الضرائب العقارية .

قلت ان الافندية يمسكون سجلات دقيقة لكل التحولات فى الملكيات العقارية حتى يمكنهم القيام بحساب الميرى المقدر كل عام على كل الذين يخضعون له ، لذا فان الأفندية ــ من حيث أن لديهم بهذه الوسيلة معرفة كاملة بكل الملكيات ــ هم أكثر الناس اهلية واستحقاقا للتوظف فى ادارة التسجيل ، لذا فقد عهد بادارة التسجيل اليهم . ويمكن أن تقسم حالات انتقال وتغيير الملكية الى ثلاث حالات :

١ ــ عن طريق الارث ٢ ــ بطريق البيع المطلق أو الوقتى ٣ــ بطريق الهبة .

فعندما يموت ملتزم فان أولاده أو الاشخاص الذين أوصى لصالحهم يتقدمون أعلامهم الى أفندى الولاية التى توجد بها التركة . ويخبر الأفندى الباشا ليقدم الأخير موافقته الى الورثة،وهى الموافقة التى يعطيها لهم على الدوام بعد تحصيل عادة تسمى : حلوان ، يدفعونها له . وهذه العادة ــ وهى على الدوام غير بالغة التحديد ــ لا تتجاوز مطلقا مقدار ما يدعى بالفايض (الفايظ) لمدة ثلاث سنوات وهو يمثل كما رأينا الدخل الصافى والقانونى للملتزم . ويسلم الأفندى بعد ذلك الى الورثة شهادة أعلام أو تسجيل تسمى : تقسيط ، يصبحون بموجبها ملاكا شرعيين . ويحصل الأفندى ١٪ من قيمة ما تدفعه الأرض من مال الميرى .

ويتسلم مبالغ الحلوان صراف الباشا الذى تحدثت عنه فى البداية :

اما فى حالة انتقال الملكية عن طريق البيع أو الهبة فان الأمـــر لا يستدعى الحصول على موافقة الباشا نفسه ولكن يدفع الى كتبته ٢٨ مدينى عن كل قيراط من الأرض المبيعة او الموهوبة كضريبة تثبيت . ويسجل الافندية هذا الانتقال ويحصلون ١٪ من ثمن البيع عن الاشياء المبيعة،و١٪ من اجمالى الميرى عن الأراضى الموهوبة وفى هاتين الحالتين يعطى القاضى حجة اى وثيقة شرعية ويحصل ٢٪ .

وينظر الى عملية ايقاف الأرض لصالح العائلات على انها مجرد هبات، وتخضع هذه لنفس الاجراءات ، أما عملية ايقاف الأرض لصالح المنشآت الدينية أو الخيرية فتتم أمام قاضى العسكر وتسجل بمعرفة الأفندية . أما بيع الاراضى من فلاح لفلاح أو ما يسمى « بالغاروقة » فيقع فى دائرة اختصاص القاضى ، واخيرا فان القضاة هم الذين ينظرون عمليات التركات ومبيعات المنزل والاثاثات ويحصلون عن ذلك رسما يقدرونه بأنفسهم بعدالة وتبعا لثروة المتعاملين .

ويقوم الفلاحون كذلك فيما بينهم بنوع آخر من التبادل ، فهم يؤجرون أراضيهم لعام واحد فقط ويتم هذا التعاقد بالتراضى فيما بينهم وبدون تدخل من القاضى . وعلى العموم ، فطالما كان للملتزمين أو للفلاحين فيما بينهم ثقة متبادلة فانهم ينهون اعمالهم بحضور شهود وبدون اللجوء الى القاضى ، وبمعنى اكثر دقة فانهم لا يطلبون من القاضى اجراء بخصوص تصرفهم فى هذا الجزء الضئيل من الثروة الذى يملكونه وذلك بقصد تقليل المصروفات .

وقد سبق لى القول فى بداية هذا المقال بأن ثروات الذين يموتون بلا ورثة تؤول الى خزانة الدولة ، وأضيف هنا ان خزانة الدولة كانت تعرف باسم بيت المال وأن الثروات التى كانت تئول اليه كانت تخصص فيما مضى وفى جزء كبير منها لصالح الفقراء،وان ابراهيم بك الذى استأجر الأراضى التى آلت الى بيت المال كان يهب جزءا من دخلها — وان كان ضئيلا جدا فى الحقيقة — للقيام بدفن الموتى الذين تكون اسرهم بالغة الفقر لحد لا تستطيع معه توفير نفقات دفنهم .

ويتمتع الأفندية فى مصر بكثير من الاحترام بسبب نزاهتهم وتعليمهم وتبعا لتقاليد هذه البلاد . وكان اغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لغة

بلادهم التى يعرفونها جيدا وكل من هؤلاء يمتلك ثروة تضعه فى عداد الطبقة الميسورة ، اما اولئك الذين يشغلون منهم وظائف أعلى فينظر اليهم باعتبارهم اثرياء ؛ فبخلاف الاتعاب التى يحصلونها عن كل تسجيل ، كان لهم راتب سنوى يؤخذ من مال الميرى ويبلغ ١٥٠ كيسا (الى حوالى ٩٣٫٧٥٠ فرنك) وذلك لكل هيئة الأفندية ويقسم المبلغ فيما بينهم بحسب اهمية وظائف كل منهم .

وكان يظن أن الأتراك قد تركوا ادارة ثرواتهم فى أيدى الأقباط بسبب عدم كفاءة المسلمين لاداء عمل كهذا ، لكن هذا غير صحيح وكفى بادارة الميرى دحضا لهذا الزعم ، لكن السبب على نحو ما هو نفور الاتراك من التجديد ، وكذلك على وجه الخصوص لنفس الدافع الذى حدا بالمماليك أن يتخذوا جباة من اناس لا يحركهم اى دافع فى ادارة جهاز الدولة ، وهذا ما ينبغى أن نفسر به لماذا ظل الاقباط يديرون الملكيات الخاصة .

وانهى مقالى هذا ببعض الملاحظات التى تتعلق بوراثة الوظائف العامة بل ووراثة الحرف كذلك عند المصريين .

ليس ثمة وظيفة فى مصر على الاطلاق ينبغى ان تكون بحكم نظامها وراثية ، ومع ذلك فان الوظائف تكاد كلها ان تكون كذلك . ويعود هذا الى طابع هذه الدولة العجيبة حيث يبدو كل شىء وكأنه يتجه نحو الثبات والتقولب . ولعل طقس مصر ، وهو على الدوام متشابه بتتابع فصوله كل عام فى نفس أوقاتها وبدقة ، كما تحدث فيها كل عام نفس المجموعة من الظواهر الطبيعية ، لعل هذا الطقس هو — وعلينا أن نضع هذا فى اعتبارنا — واحد من أسباب هذا الوضع الذى طبع أهل البلاد بطابع الجمود والتقولب ، فكل ما قصه علينا الرحالة القدماء فيما يتصل بالمزاج الهادىء بل وشبه الخامل للمصريين فى ايامهم ، نجده الان فى مصريى اليوم . ولقد احتفظ المصريون كذلك بقلة الفضول والابتعاد عن الأسفار ؛ فهم لا يرون على الاطلاق يغادرون وطنهم فى الوقت الذى يفد اليهم عدد هائل من الغرباء ، فقد جاء اليهم عدد هائل من السوريين ومن أهالى الشاطىء الشمالى لافريقيا للاقامة هناك(١) .

---

(١) يمكن القول بأن أهل الاسكندرية وحدهم هم اقل المصريين ميلا للقعود والخمول ذلك ان العلاقات التي ربطت بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، وكذلك كثرة عدد الجنسيات التى تقيم بينهم ، وعملهم بالضرورة بالتجارة الخارجية .. كل ذلك قد غير بالضرورة من مزاجهم نوعا ما .

وعلينا أن نضع فى اعتبارنا عند حديثنا عن هدوء طباع المصريين أن كل الثورات التى حدثت فى بلادهم وكل التغيرات التى شعرت حكومتهم بضرورتها تعود الى اجانب ، وذلك منذ اقدم الفترات التى سجلها التاريخ وان الهدوء يسيطر عليهم مادام يحكمهم امراء من بينهم .

وهذا الميل الى التقولب والثبات واضح لدرجة ادت الى نشأة قوانين معينة،فمن الواضح على سبيل المثال أن القانون الذى كا نيقضى بتقسيم المصريين الى سبع طبقات ينبغى فى داخلها ان يرث الابناء آباءهم فيمارسوا نفس مهنتهم انما يعود فى أصله الى هذا الميل . ان الأمور اليوم لم تتغير بدرجة اساسية حول هذا الموضوع ، فمازالت الحرف تشكل فى كل مدينة طوائف معينة ، ولكل طائفة منها شيخ خاص ، ومن النادر ان يخرج الابناء عن طائفة آبائهم ليلتحقوا بحرفة أخرى .

وبسبب هذا الكم الهائل من العادات التى لها سطوتها ، وبسبب هذه الفكرة المسبقة التى تحبذ ترك الأمور فى نفس حالتها فان وظائف : الشيخ، الخولى ، الشاهد .. الـخ والتى قلت بأنها من تعيين الملتزم أو من اختيار الفلاحين انما هى فى غالب الأحيان وراثية ، وقلما يوجد سبب يقضى بخروج هذه الوظائف من العائلات التى استقرت فيها ، ولا يمكن أن يتم ذلك على الاطلاق بطريقة عشوائية .

وتبدو قوة العادة أكثر وضوحا فيما يتصل بمنصب شيخ بلد أول القرية . فهذا المنصب فى العادة يكون في يد الشيخ الأكثر ثراء وهو الذى يكون كذلك اكثراحتراما، ذلك لان من المهم بالنسبة للشيخ — حيث هو يستمد نفوذه من المكانة التى يوحى بها — أن يحيا فى بحبوحة حتى يحتفظ بهذا النفوذ ،لذلك فنادرا ما ترى شيخ بلد يفقد سلطته ، كما أن الفلاحين يفضلون ان تؤول هذا المنصب الى ولد نفس الشيخ الذى كانوا يحترمونه ويهابونه ، فهذا افضل من أن تؤول هذا المنصب الى أيد أخرى حتى ولو كان من المحتمل أن تكون أكثر خبرة .

ومع ذلك فقد كان يحدث ان يلجأ المماليك — وهم على الدوام غرباء عن مصر ، الدولة التى يحكمونها والتى كانوا يلقون بعادلتها التى لا تروق لهم تحت اقدامهم— الى انتزاع وظيفة الشيخ الأول بطريقة استبدادية عن الشخص الذى يشغلها ليعطوها الى أحد صنائعهم أو لواحد من خدمهم يريدون مكافأته .

ويقودنى هذا الى فكرة أخيرة تتضح بشكل طبيعى ، تلك هى عدم التوافق الذى كان موجودا بين حكومات المماليك العنيفة والمدمرة على الدوام وبين ما تتطلبه طباع المصريين .. انه التعارض الدائم الذى كان قائما بين مزاج هذا الشعب كما رسمته وبين مزاج سادته المتوثبين والطموحين .

يا له من فارق غريب فى الواقع بين هؤلاء المصريين المذعنين بل والهيابين ، الذين يسهل اخضاعهم وبين هؤلاء المماليك المتحفزين والمحاربين، المتنافسين على الدوام فيما بينهم والذين لا تجمع بينهم اية رابطة من روابط الدم ، بل والمتنكرين لكل روابط الصداقة ، والذين لا يعملون مطلقا ومباشرة الا لصالحهم ، والذين كانت كل افعالهم استبدادية وعشوائية ، تتحكم فيها ظروف اللحظة(١) .

---

(١) قد يكون من المفيد أن نذكر هنا أن المعلومات التى كتب على اساسها هذا المقال قد استقيتها فى كل جزئياتها من رجال مشهود لهم بأنهم على دراية كبيرة بها ، اننى لم اكتب شيئا قبل أن أحصل على عدد كبير من الاجابات المتشابهة على نفس السؤال المتعلق به . وقد استشرت القضاة والأفندية وشيوخ البلد المتعلمين فى القاهرة وكبار الأقباط وبخاصة أولئك الذين لا يرقى الى نزاهته منهم شك ، وقد سألت كذلك مشايخ البلد والعرافين فى القرى كما لم أهمل سؤال الفلاحين . واضيف هنا (ولهذا بعض الأهمية) اننى قد حصلت على الدوام على مترجمين جيدين . ولقد اتيح لى أن اراجع الاجابات التى حصلت عليها عند اشخاص تشغلهم هذه الأمور وحصلت منهم على كثير من النقاط التى شاءوا أن يمدونى بهما عن طيب خاطر .

ومهما كانت العناية التى راعيتها فى جمع هذه المعلومات، ومهما كانت كثرة المعلومات التى جمعتها فاننى لا أستطيع على الدوام ان اتفاخر باننى كنت مصيبا على طول الخط . لقد تسرب بعض من عدم الدقة الى هذا المقال ولسوف يقودنى الزمن وما ساحصل عليه من معلومات جديدة الى اكتشاف حقيقة الأخطاء التى قد أكون وقعت فيها .

كان كاتب هذا المقال ينتوى مراجعته وادخال بعض الاضافات اليه، ولكن حيث ان العناية الفائقة التى كان يبديها فى ادارة عمله ، والغاية المبتسرة والتى أبهجته أثناء قيامه بهذا العمل قد منعتاه من أن يقوم بنفسه بذلك ، فقد طبعت مقالته بالشكل الذى قراها به فى المجمع العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) ا. ج .

الكتاب الثانى

النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية

تأليف / الكونت استيف

العنوان الأصلى للدراسة : « دراسة موجزة حول مالية مصر منذ فتحها السلطان سليم الأول (١) الى ان فتحها القائد العام بونابرت »، تأليف الكونت استيف الخازن العام للتاج والضابط الحائز على وسام الشرف ، والمدير العام للموارد العامة لمصر » .

(١) ضم سليم الأول مصر الى امبراطوريته فى العام ٩٢٣ من الهجرة، ١٥١٧ من العصر الحديث (الميلادى) .

مقــــــدمة

لابد لنــا ، قبل أن نقدم هــذه الدراسة ، أن نقوم بعرض سريع لنظام الحكم ولنظم المــكية فى مصر ، فقد لا يتيسر لنــا أن نتــابع مسيرة الضرائب هنــاك دون أن نتعــرف مسبقا على تلك المؤسسات والنظم التى تشكل أساسا لهذه الضرائب ، أو التى تكون — هى — مادة لها .

لقد اقام السلطان سليم نظاما للادارة والحكم خاصــا بمصر ، لــكن الموت الذى داهمه بعد وقت قصــير من فنحه لها ، قــد حال بينــه وبين اتمام عمله الهام ، وحيث أن ابنــه وخليفته سليمان هو الذى أتم انجــاز هذا العمل فان من الواضح — فيما يبدو لنــا — أن ننسب الى هذا الحاكم هذا النظام الخاص بمصر ، كما ينبغى أن ننتسب اليه كل مجموعة القوانين واللوائح التى تنظم شــئون مصر ، ومع ذلك ، فان هــذا هو الأثر الذى تحدثه الانتصارات والهزائم ، اذ تظل الشعوب مأخوذة ببريقها بأكثر ممــا تلتفت الى النظم الادارية التى يكون لها الأثر الحاســم على أسلوبها فى الحياة ، وهؤلاء هم مصريو اليوم لا يتذكرون سوى السلطان سليم ، فى حين انهم قلمــا يرد على لســانهم ذكر للواضــع الحقيقى للقــوانين التى يتبعونها .

عن الحكومة

يرأس حكومة مصر باشا يحد من سلطته الديوان الــكبير والديوان الصغير وتتمثل سلطة هذا الباشا فى رئاســته لهــاتين الجمعيتين وفى التصديق على قراراتهما ، وفى اعطاء الأوامر لوضعها موضع التنفيذ (١) . وكان الــكخيا والدفتردار يتلقيان الأوامر منه قبل المــداولات ثم يحيطانه علما بالقرارات التى أعقبت أوامره . وكان البــاشا يقيم بقلعة القــاهرة كما كانت وظائفه تزول بعد نهاية عام من توليته اللهم الا اذا صدر فرمان من السلطان يمد فترة ممارسته للسلطة .

---

(١) كان يحضر اجتماعات الديوانين متخفيا خلف ستارة نافــذة تطل على مقر الديوان .

ويعطى الشرقيون اسم ديوان لكل جمعية تنشغل بشئون الحكومة والادارة . وقد وكل سليمان للديوان الكبير الحق المطلق فى البت فى شئون البلاد العامة والتى لايحتفظ الباب العالى لنفسه بحق ادارتها ، أما الديوان الصغير ، أو الديوان بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد وكل بتسيير الشئون الجارية بحيث تدخل كافة نواحى الادارة فى اختصاصه فيما عدا تلك التى يقتضى الأمر، بحكم أهميتها ، أن تعالج بمعرفة الديوان الكبير ، وكان الديوان الصغير يجتمع كل يوم فى قصر الباشا ، ويحضر جلساته الكخيا والدفتردار والروزنامجى وممثل عن كل أوجاق (فرقة) من أوجاقات الجيش، بالاضافة الى قائدى وكبار ضباط أوجاقى المتفرقة والجاويشية . وكان هؤلاء ، بحكم مناصبهم ، أعضاء كذلك فى الديوان الكبير ، الذى يتكون — بالاضافة اليهم — من أمير الحج ، وقاضى القاهرة ، ومن الشيوخ الهامين المنحدرين من سلالة محمد (الأشراف) ، ومن المفتين العلماء الأربعة (١) وعدد كبير من رجالات الأوجاقلو ، وكانت الأوامر الصادرة من الباب العالى توجه الى الديوان الكبير ، كما لم تكن هناك أوامر توجه لهذا الديوان الا عن طريق الباب العالى الذى يملك وحده حق عقد هذا المجلس .

وكانت الفرق العسكرية المنتصرة التى خلفها سليم بمصر تتوزع بين ستة أوجاقات ، ثم تكون من بينها أوجاق سابع (٢) بالاضافة الى المماليك الذين أفلتوا بعد دمار ملكهم والذين تعهدوا بالولاء للسلطان وطلبوا ان يخدموا فى صفوف جيشه . وقد شكلت هذه العصب التى تتمتع بامتيازات هائلة حامية مصر وطبقتها المتميزة فى نفس الوقت ، وظل هؤلاء يحتفظون بهذه الامتيازات بشكل وراثى بحيث كانت تنتقل الى ذريتهم ، وفى نفس الوقت كانت الخدمة العسكرية الاجبارية تنتقل الى هؤلاء الأحفاد ، اذ كانت هذه الامتيازات تابعة لها . وكان لكل أوجاق أفندى واحد أو عدد من الأفندية موكلين بتحصيل موارده ودفع رواتبه التى يتفاوت قدرها تبعا لسلاح الأوجاق وطبيعة الخدمة التى يؤديها ، كما كان

---

(١) هم رؤساء المذاهب السنية الذين يسيرون على نهج عمر (كذا).

(٢) وكان يشار الى هذه الأوجاقات بالأسماء الآتية : متفرقة ، جاويشية ، جامليان ، تافكجيان ، جراكسة ، مستحفظان او انكشارية ، وأخيرا عزبان .

هؤلاء الأفندية مكلفين بسداد الانفاقات العامة للفرقة . وكانت شئون كل اوجاق نعالج بمعرفة ديوان خاص به يتكون من رجاله القدامى (اختيار ، ومعناها شيخ) وهؤلاء هم ضباط وبعض ضباط الصف من مختلف الرتب . ويتلقى هذا الديوان حسابات الأفندية ، وبتصرف فى المناصب الدنيا ، ويرشح للباشا بعض الأفراد اللازمين لشغل المناصب الأعلى ، وينبغى لهذا الديوان أن يصدق فى الوقت نفسه على هذه الاختيارات اذا تمت من جانب الباشا . وكان على الأوجاقلو (اى رجال الأوجاقات) الذين ينضمون الى الديوان أن يقيموا بالقاهرة ، ولم يكن بمقدور هؤلاء أن يمارسوا اية مهمة يمكن لها ان تبعدهم عن الديوان ، وكانوا ، شأنهم شأن بقية الضباط ، يرتدون بذلة نختلف باختلاف رتبهم، ومن المفترض أن قوة هذه الأوجاقات مجتمعة بمكن لها ان تؤلف جيشا قوامه عشرون الف رجل ، وان كان من النادر ان يكتمل هذا العدد الذى حدده السلطان سليم بنفسه ، اذ برغم أنه ينبغى أن تكون مصر هى مقرهم المعتاد ، فانهم لم يكونوا ليعفوا من تكوين فرق عسكرية تخدم بشكل عابر داخل الجيوش فى اقاليم أخرى من الامبراطورية العثمانية ، وكان اوجاق الانكشارية فى مقدمة من يزحفون الى اى مكان يرى السلطان من المناسب أن يستخدمه فيه ، وكان اغا هذا الأوجاق الذى تعقد له القيادة والذى كان قائدا للجيش اكثر منه مجرد رئيس احدى الفرق العسكرية ، يبسط نفوذه وسلطته على كل العسكر .

وقد أنشأ سليم ٢٤ (رتبة) بك طبلخانه (١) ، أسندت لاثنى عشر منهم مهام خاصة ومحددة ، بينما كان يوكل الى الآخرين القيام بمهام استثنائية أو أن يقوموا بمهام زملائهم الذين تزول وظائفهم بعد عام من ممارستهم لها .

---

(١) طبلخانة اى صاحب حق فى أن تصحبه فرقة موسيقية ، وهذا الحق فى تركيا هو أحد رموز السلطة ، وكان لباشا القاهرة ، شأنه شأن زملائه فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الحق فى أن تتبعه فرقة موسيقية ، فكان هناك موسيقيون ، يقيمون على نفقته الخاصة ، يقدمون له فى أوقات محددة من اليوم حفلات موسيقية تليق بالمكانة التى يشغلها بين الباشوات ، فقد كان الباشوات يتميزون ما ان كانوا يشغلون مرتبة باشا بذيلين أو مرتبة باشا بثلاثة ذيول ، وكان البكوات يعاملون معاملة باشا بذيلين .

أما الاثنا عشر الأول من هؤلاء فهم :

كخيا الباشا .

الضباط البكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس ودمياط والاسكندرية .

الدفتردار .

أمير الحج .

أمير الخزنة .

الحكام الخمسة لولايات : جرجا ، البحيرة ، المنوفية ، الغربية ، الشرقية .

وكان الكخيا والدفتردار وأمير الحج هم وحدهم (من بين هؤلاء) الذين لهم حق دخول الديوان .

وكانت وظيفة الدفتردار تجعل منه ماسكا لسجل الممتلكات ، كما ان عقود الملكية التى يعهد بها باسم السلطان (الى مستحقيها) لاتعد صالحة الا بعد أن يؤشر عليها هذا الموظف بعد تأكده من تسجيلها فى دفتره .

وكان أمير الحج يحمل الى مكة والمدينة الهدايا التى كانت ترسل اليهما سنويا باسم السلطان كما يقوم بحماية قافلة الحج التى تنضم اليه لكى تبلغ الأراضى المقدسة فى سلام .

أما أمير الخزنة فكان يحمل برا الى القسطنطينية ذلك الجزء من موارد مصر والذى ينبغى أن يدفع لخزائن السلطان .

أما ولايات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم فكان يحكمها كشاف (كاشف) كان لسلطتهم نفس الزمن والمدى اللذين كانا لسلطة البكوات ، ومن جهة أخرى فقد كان ينبغى أن تحظى أعمال هؤلاء وأولئك بموافقة الشوربجية والأوجاقلو (العسكر) الآخرين الذين يكونون الديوان الخاص بالولاية .

وفيما عدا الكخيا وحكام ثغور السويس ودمياط والاسكندرية كان لبكوات الآخرون يسمون من قبل الديوان ثم يقر الباشا ، وبعد ذلك

الباب العالى ، هذا الاختيار . وفى حين كان الأولون ، وهم الذين يرسلون من قبل الباب العالى ، يفقدون رتبة البكوية حين يعودون الى القسطنطينية بعد انتهاء مهمتهم ، كان الآخرون يظلون يحتفظون برتبتهم على الدوام اذ كانت هذه الرتبة ثابتة غير قابلة للزوال برغم تغير الوظائف التى يشغلونها على مدى السنين فيما عدا وظيفة البك الدفتردار .

وهناك فكرة شائعة مؤداها انه كان يتم اختيار البكوات من أوجاق المتفرقة ، وكانت صلة هؤلاء بالعسكرية تنقطع بمجرد أن يرفعهم هذا الاختيار الذى وقع عليهم من جانب الديوان الى هذه الرتبة . .

وقد احتفظ الباب العالى لنفسه بتدبير مهام القيادة والدفاع عن موانى ومناطق السويس ودمياط والاسكندرية ، حيث كانت هذه المدن وهى تشكل مداخل للنفاذ الى مصر التى تحميها فى بقية حدودها صحراوات تفصلها عن شعوب أقل قوة ــ كانت تصون مصر من اى غزو خطير ، فى الوقت الذى تهيىء فيه منافذ عدة للقوات العثمانية فى حالة قيام تمرد بين اهليها ، وكانت حامية هذه الثغور ، التى تجدد كل عام ، ترسل من القسطنطينية مع الحكام الثلاثة الذين يتولون قيادتها ، وبرغم أن هؤلاء الضباط يدخلون فى عداد البكوات فانهم لم يكونوا لينتموا الى مصر الا عن طريق فترة الاقامة التى كانوا يقضونها هناك ، والا كذلك عن طريق الاعانات المالية التى كانوا يحصلون عليها من الخزانة العامة كرواتب ونفقات لفرقهم ، وفيما عدا ذلك فقد كانوا غرباء عن الباشا وديوان القاهرة ولم يكونوا يعترفون الا بأوامر السلطان .

وقد أكد خضوع مصر وهدوء الأحوال بها لمدة قرنين من الزمان حكمة ماذهب اليه سليم وسليمان ، اذ ما أن كان يتجاسر ، خلال هذه المدة ، باشا القاهرة على العصيان حتى يعتقله الديوان ويرحله الى القسطنطينية حيث يعاقب بالموت ، وقد خولت هذه البراهين على الولاء والاخلاص لهذا المجلس حق عزل الباشوات ، لكن طموح ابراهيم ورضوان كخيا اوجاقى الانكشارية والعزبان سرعان ماجاء ليهدد السلطة شبه المطلقة التى كان يحوزها الديوان بفضل هذا الامتياز ، اذ انهما ، بمجرد أن توصلا الى تثبيت نفسيهما فى المناصب السنوية التى شغلاها ، قد استخدما الأوجاقات لتأكيد سيطرتهما فى داخل الديوان . كما استخدما مماليكهما لاخضاع

الأوجاقات أنفسهم . وحتى هذه اللحظة لم يكن المماليك ، وهم مجرد عبيد اشتراهم البكوات والعسكر يشكلون تنظيما عسكريا خاصــا ، ولم يكن يرى منهم سوى عدد ضئيل يصل الى المراتب الأولى ولم يكن ليتم ذلك الا بعد قبولهم فى داخل الاوجاقات ، وقد أبعد ابراهيم ورضوان الاتراك من كل المواقع كى يوزعاها على هؤلاء الاجانب ، وقد كان مماليك الأول بالغى الــكثرة والقوة معا حين مات سيدهم حتى انهم قضوا على حزب رضوان وانتحلوا لانفسهم نوعا من السيادة خالعين على رؤسائهم الجـدد لقب : شيخ البلد ، اى أمير البلاد (١) .

وقد تطلع على بك بعد ان تولى هذا المنصب بعـد سبعة عشر عاما من انشائه الى الحصول على استقلال مطلق (٢) ، ولعل مهارته وشجاعته كانتا تؤهلانه للوصــول الى تحقيق طمــوحاته لولا تلك الدســائس التى جعلته يتحامل على مملوكه محمد بك ، وحين اضطر الأخير ان يجاهر بعداوة سيده دفاعا عن حيــاته هو ، فقد قاتله باصرار حتى ارغمه على الفرار من القــاهرة واللجوء الى ســوريا ، وهناك هيأ له المــأوى والعــون الشيخ ضاهر ، حاكم عكا ، ذلك الذى كانت المصلحة توحد بينــه وبين على ، والذى كان هو الذى قدم له المثــال الذى احتذاه للتمرد على سلطة البــاب ، ولـكن على بك الذى كان متسرعا أكثر مما ينبغى فى السعى للتغلب على نكبته ، لم يعد الى مصر الا لكى يلقى حتفه ، متأثرا بالجروح التى أصابته فى معركة الصالحية (٣) .

ولم يكن غريمه المنتصر قــد اكمل بعد عامه الثــالث فى الحكم حين فرضت عليه دوافعه الخاصة ، وكذلك أوامر الباب ، أن يغزو فلسطين ، فأخضع يافا وعكا ، لــكن مرضا وبائيا قــد جاء ليضع خاتمة لحيــاته ، وسيطر البكوان مراد وابراهيم ، وريثاه فى السلطة ، دون تعارض بينهما لمدة عدة سنوات .

---

(١) من الضرورى الا نخلط بين هؤلاء وبين أولئك المماليك القدامى ، والذين كانوا يعرفون بالشراكسة ، اذ توقف الدور السياسى للاخيرين منذ فتح مصر على يد السلطان سليم .

(٢) فى عام ١١٨٠ من الهجرة ، ١٧٦٧ من الميلاد .

(٣) فى عام ١٧٧٣ (الميلادى) .

وعند نهاية هذه المدة اثار اسماعيل ، المملوك السابق لابراهيم ، كخيا الانكشارية ، حين ملأه السخط بسبب ابعاده عن المشاركة فى الحكم، اثار ضدهما حزبا أرغمهما على الانسحاب الى الصعيد ، وحين طاردهما اسماعيل ، اتخذ حسن بك ، رئيس مماليك بيت على بك ، والذى كان حتى ذلك الوقت مؤتلفا مع اسماعيل اذ كانا يشكلان قضية واحدة ، جانب غريميه اللذين أتاحت لهما هذه الردة (من جانب حسن) أن يعوضا كل ما كانا فقداه . ولجأ اسماعيل ، بعد أن اضطر الى الهرب الى آسيا ، الى الباب الذى نفاه الى بروصة ، ونعم مراد وابراهيم بعد هذه الأزمة بفترة ازدهار طويلة ، اساءا استخدامها كى يتملصا من أوامر السلطان ، ويبددا موارده من مصر كما استبدا بالناس .

وعندما ضاق السلطان بهذا السلوك الذى لا يختلف فى قليل أو كثير عن التمرد ، كلف قبطان باشا بانزال العقاب بهما (١) . ولم ينتظرالبكوان وصوله الى القاهرة ، وكان جزء من الصعيد قد احتلته من قبل قوات اسماعيل بك بعد أن انسل من منفاه ، وكان جزء آخر يحتله حسن بك بعد أن كان قد قطع صلته بهما ، وعندما هوجم مراد وابراهيم من ناحية القاهرة على يد قوات قبطان باشا ، وفى نفس الوقت هوجما من ناحية المؤخرة على يد مماليك كل من اسماعيل وحسن ، فقد قاوما كلا الفريقين . وحيث قد استدعى قبطان باشا الى القسطنطينية لقتال الروس ، فقد عقد الصلح مع هذين اللذين لم يكن قد قدر له بعد أن يلحق الهزيمة بهما ، تاركا فى حوزتهما عدة مقاطعات بالصعيد . ونال اسماعيل وحسن، اللذان تركهما حاكمين للقاهرة والدلتا وبقية الولايات المتاخمة ترحيب الباب العالى بفعل خضوع لم يبده سلفاهما على الاطلاق، وبعد مضى أربع سنوات اجتاح البلاد طاعون مميت ، أكثر هلاكا من كل طاعون مميت تعيه ذاكرة البشر ، فأتى على عدد كبير من مماليك القاهرة بمن فيهم اسماعيل بك نفسه ، وعندما أيقن عثمان بك طوبال ، خليفته ، أن لديه كل مايخشاه من حسن بك ، فانه لم يجد الأمن والملاذ لرجاله الا فى دعوة مراد وابراهيم (للحكم) ، ورحب الباشا بعودتهما الى السلطة ، الأمر الذى أعد ترتيبه بمهارة بالغة حتى أن مماليك حسن ، الذين شدهتهم المفاجأة حين ظهر هذان

---

(١) فى سنة ١٧٨٦ .

البكوان على حين غرة عند أبواب القـــاهرة ، قـــد وجدوا أنفسهم يهربون دون قتال ملتمسين فى الصعيد مأوى لهم .

ولم يتوان مراد وابراهيم ، وقد عادا الى قمة الحكم ، فى أن يجددا مساوىء السلطة التى ميزت الفترة الأولى من حكمهما ، وبدوا وكأنما هما قد حصلا على حق الاجتراء على سيدهما (السلطان) كحق مكتسب لهما، بالاضافة الى حقهما فى قهر مصر والزراية بكل البشر الى أن وضـــع قائد عظيم (بونابرت) حدا لحكمهما .

وهكذا نكون الان ، (من هذه المقدمة) قد وقفنا على تلك الأســـباب التى ادت الى انهيار تلك الحكومة التى أوجدها سليم وسليمان عندما أدت مجريات الأمور الى عودة المماليك الى مصر .

ونمضى الآن كى نعرض للمبادىء التى استقرت بخصوص نظم الملكية فى هذه البلاد .

عن الملـــكية

نستطيع أن نميز فى مصر بين ثلاثة انواع من الملكية ، هى :

ملـــكية الأراضى .

ملـــكية الوظائف .

ملكية الرسوم والضرائب على الصناعة والاستهلاك (التجارة) .

وقد اعلن السلطان نفسه المالك الوحيد ، فكل اراضى مصر ملك له، ومع ذلك فحيث قـــد انتقلت هـــذه الأرض الى مستغلين يسمون ملتزمين (ملتزم) يستطيعون أن يتصرفوا فيها ، وحيث كان محرما ابطال هذا الحق الممنوح لهم ، وحيث كان من النـــادر أن ترفض أيلولة حق الاستغلال هذا الى ورثة هؤلاء الملتزمين ، فان هذا النظام للاشياء ظل يحقق مزايا تتساوى مع نفس المزايا التى تحققها الملكية ، فقد احتفظ الفـــلاحون بحق التملك المبـــاشر والوراثى للجزء الاكبر من الاراضى التى آلت تبعيتها للملتزمين ، وان كان ذلك لايعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها ، واذا حـــدث ان مات بعضهم دون أبنـــاء أو ورثة فان الأراضى التى كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذى يضطر لاعطائها الى فلاح آخر ، وحين يموت أحد

الملتزمين ، دون أن يخلف هو الآخر من يرثه تعود ارضـــه الى السلطان الذى يعهد بها بدوره الى ملتزم آخر .

وتنقسم أراضى مصر كلهـــا الى أراضى : الاثر ، الوسـسية ، الرزق (رزقة) ، الاطلاق (أو الاتلاق) .

ويمتلك الفلاح اراضى الاثر .

وتؤول ملكية الوسية الى الملتزم .

أما الرزق فهى الراض اوقفت على الأعمـــال الخـــيرية ، وهى حرة وخالصـــة من اية ضريبـــة ، وقـــد وجدها سليم على هـــذه الحال واقر حصانتها حين امتنع عن أن يعهد بها الى ملتزمين ، وقـــد ظل الأشخاص الذين حددتهم حجج انشاء وادارة هذه الرزق ، يتمتعون حتى اليوم بنفس هذه الدرجة من الاستقلال .

وهنالك بعض اراض تسمى أراضى الاطـــلاق ، وتتمتع بنفس هـــذه الحرية ، وهـــذه مخصصة لتوفير العليق اللازم لخيول الباشا والبكوات .

وقد حمل سليم كثيرا من الملتزمين بعوائد سنوية خصصها او اعترف بتبعيتها لأفراد أو لمؤسسات عموميـــة أو خيرية ، وتعرف هـــذه العوائد باسم الأوقاف ، وقـــد أخضع خلفاؤه ملتزمين آخرين لعوائد مماثلة ، وفى النهاية انشأ بعض الملتزمين أوقافا جديدة ، والزموا ورثتهم بهذه الالتزامات . وتسمى هـــذه العوائد ، التى تشكل ملكيات حقيقية ، اذ تعهـــد الملتزمون انفسهم بدفعها بصفة دائمة ، رزقا نقـــدية ، وهى تشكل عادة ، شـــأنها شأن رزق الأرض ، جزءا من عوائد الأوقاف ، واذ كان لأصحابها الحق فى النزول عنها او نقل ملكيتها للغير فقد كانت تسدد لأولئـــك الذين يحصلون على الحق فيها اما عن طريق الشراء واما عن طريق الارث .

ويمكننا أن نميز نوعين من الأوقاف : الأوقاف السلطانية، أىتلك التى انشئت قبل منقبل السلاطين والأوقافالخاصة . وتتكون الأولى من عوائد نقدية أو عوائد منالحبوب يوزعها السلطان بمعرفته على الجهة المخصصة لها ، أما الأخرى فلا يقتصر تكوينها على رزق الأرض أو الرزق النقدية او رزق الحبوب ، بل هى تشتمل كذلك علي البيوت والوكالات والحدائق التى تمتلكها فى مجموعها اما مؤسسة أو منشاة خيرية واما ذرية مؤسس هذا

الوقف أو ذاك والذى لم يوجه ملكيته (التى اوقفها) لخدمة غرض دينى أو خيرى ، اللهم الا اذا لم يكن قد خلف ورثة على الاطلاق . وكان مثل هذا التصرف شائعا للغاية فى مصر ، اذ كان يضع تحت حماية الدين تلك الحقوق التى ينقلها صاحب الوقف الى أبنائه .

أما الوظائف فكانت اما سنوية واما ثابتة ، وقد عين السلطان مخصصات لهذه الوظائف أو تلك وهى عبارة عن امتيازات من الأرض ومن الحقوق أو الرسوم من كل نوع . ولم يكن لمن يتقلد الوظائف من النوع الأول أن يتمتع الا بميزات بسيطة تنتهى بانتهاء مدة وظائفهم . أما الوظائف من النوع الثانى فكانت لها طبيعة الملكية بمعنى أنه لم يكن يحق للسلطان ان يمنع أن يتقلد أى شخص هذه الوظيفة اذا ماباعه اياها صاحبها الأصلى أو نزل عنها لصالحه . وقد رأينا هذه الوظائف وهى تنتقل بشكل عادي الى أبناء أو ورثة الموظف الذى كان يشغلها .

وتتفرع ملكية الرسوم المقررة على الصناعة والتجارة من ملكية الوظائف وهى تتمثل فى التمتع الكلى والكامل بهذا النوع من الدخول الذى أنشأه سليمان لصالح شاغلى الوظائف وآخرين ، بشكل يحصلون معه على دخل يتناسب مع مالهم من مكانة وما عليهم من التزامات .

وتشكل البيوت ورءوس الأموال والقيم المنقولة ملكيات يبدو أنها كانت مجهولة من قبل الحكومة ، فكان المصريون ينتفعون بها بالبيع والشراء والهبة دون تدخل من جانب الخزانة .

الباب الأول

الضرائب العامة

الفصـــل الأول

الضرائب على الأراضى

لم يتوصل الأتراك الى اقامة نظام ثابت للضرائب فى مصر الا بعــد كثير من الجهود والأبحاث ، فحيث كانت وثائق الحكومة قد احرقت بفعل المماليك ، فقــد حاول السلطان سليم أن يستعيض عنها بمعلومات حصل عليها من موظفى الادارة السابقة ، فعرف حصيلة الضرائب عنــدما ارغم الموظفين العموميين الذين كانوا يسلمون لكل ممول بيانا بما ينبغى عليه أن يدفعه ، أن يسلموه هو سجلات عملياتهم هذه . وفى نفس الوقت ، فحيث أن المعلومات التى حصل عليها عن هذا الطريق لم تهيىء له النتــائج التى كان يرغب فى الالمام بها فقد أمر بتقسيم عام للبلاد الى ولايات أو مقاطعات، ومدن ، وقرى ، ثم قسم كل زمام بدوره الى فدادين . وعلينا منذ الآن أن نتقبل فكرة أن أعمال هذا المسح لم تبلغ الدقة المرجوة لها بشكل تام على الاطلاق ، حيث لاتزال توجد فى كل هذه الولايات تقريبا أملاك وقرى بأكملها لاتزال مساحاتها مجهولة للحكومة .

اولا : عن المـــال الحر

هناك مجموعة من الرسوم أو الضرائب تندرج كلها تحت اسم المال الحر ، أى الضريبـــة الخالصـــة ، وتستخـــدم حصيلتها التى يقوم الملتزم بجبايتها :

١ ـــ فى سداد المال الميرى .

٢ ـــ فى دفع الـــكشوفية .

٣ ـــ فى تكوين الفايظ (الفائض) .

ويدفع المال الميرى الى السلطان ، أما الـكشوفية فتعطى للبـك أو الكاشف حاكم الولاية، فى حين أن الفايظ هو الدخل الخـاص الذى يبقى للملتزم .

ونقدم فيما يلى جدولا بالمبالغ المفروضة على ولايات مصر والتى تدخل

اسم الولاية	أصل الميرى	كوريكجى أعمال (تطهير) الترع
	مدينى	مدينى
قنا	١ر٠٤٩ر١٢١	١١ر٠٤٥
اسنا	٥١١ر٦٠٠	١ر٠٥٠
جرجا	٥ر٤٤٣ر٤٣٧	٣٦ر٠٥٨
سيوط	٢ر١٩١ر٠٥١	٢٨ر٦٤٣
منفلوط	٨٠٦ر٨٧٠	٢٠ر٦٩٦
المنيا	٣٢٢ر١٣٠	٢٣ر٧٣٦
بنى سويف	٣ر٤٣١ر٠٠١	٤٩ر٢٩٢
الفيوم	٢ر٢٩٣ر٠٢١	٢١ر٨١٦
أطفيح	٦٣٢ر٧٨٠	٦ر٠٣٥
الجيزة	٤ر٣٣١ر٧٧٣	٣٣ر٨٣٤
القليوبية	٣ر٨٣٨ر٤٣٤	٣٠ر٢٧٤
الشرقية	٥ر٠١٢ر٣٥٩	٣٩ر٩٨٤
البحيرة	١١ر١٤٤ر٣٢٩	٤٢ر٦٨٩
المنصورة	٩ر٤٩٩ر١٤٢	٥٢ر٥٨١
الغربية	١٥ر٤٠٠ر٥٣٥	١٢٥ر١١٢
المنوفية	١٢ر٤٠٣ر٩٠٨	١١٠ر٠٤٦
الإجمالى . .	٧٨ر٣١١ر٤٩١	٦٣٢ر٨٩١

ضمن هذه البنود الثلاثة وقت مجيء الجيش الفرنسى ، ونجد فى سجلات المسيو استيف تلك الوسائل التى كان عليه أن يلجأ اليها للحصـــول على هـــذا الجـــدول :

تذاكر جاويشية	المجموع	ملاحظات
مدينى	مديني	
١ر٧٩٧	١ر٠٦١ر٩٦٣	
١٠ر٥٣١	٥٢٣ر١٨١	فى هذه الولايات التى تكون فى مجموعها بلاد الصعيد يسدد الجزء الأكبر من الضريبة عينا . لكننا لم نورد هنا إلا ذلك الجزء من الميرى الذى يسدد نقداً .
١٣ر٥٧٩	٥ر٤٩٣ر٠٧٤	
٤ر٢٠٧	٢ر٢٢٣ر٩٠١	
٩٦٦	٨٢٨ر٥٣٢	
٩٦٦	٣٤٥ر٨٦٦	
٣٧ر٦٥١	٣ر٥١٧ر٩٤٤	
٢٢ر٣٧١	٢ر٣٣٧ر٢٠٨	
٨ر١٥٦	٦٤٦ر٩٧١	
٧٧ر٦٠٠	٤ر٤٤٣ر٢٠٧	
٦٢ر٠٣٤	٣ر٩٣٠ر٧٤٢	
٩٤ر٥٨٩	٥ر١٤٦ر٩٣٢	
٩٢ر٤٧٩	١١ر٢٧٩ر٤٩٧	
١٥٦ر١١٥	٩ر٧٠٧ر٨٣٨	
٢٦٠ر٥٤٧	١٥ر٧٨٦ر١٩٤	
٢٣٠ر٨٨٦	١٢ر٧٤٤ر٨٤٠	
١ر٠٧٣ر٥٠٨	٨٠ر٠١٧ر٨٩٠	ويعادل ٨ د ١٥ س ٢و٨٥٧و٧٨١ جنيها تورنا وبالفرنكات ٥٢ س ٢ر٨٢٢ر٥٠٠

اما الميرى فهو الضريبة التى خص بها السلطان نفسه ، ولم يكن الميري المقرر على الاراضى الزراعية يبلغ فى الأصل سوى ٥٩٨ر٨٩٨ر٧٠ ولـكن السلاطين احمد ومحمد ومصطفى قد رفعوه على التوالى حتى بلغ الاجمالى الذى أوردناه .

وهذا التقسيم الذى رابنـاه لهذه الضريبة هو نفس التقسيم الذى انشاه سليم وسليمان . وسواء اكان الأمر ناتجا عن ثغـرة فى العمل او كان تفسخا او كان نتيجة لتحسن طرا على حالة بعض الأراضى ، فقد كان هذا التقسيم او التوزيع (لضريبة الميرى) معيبا للغاية ، اذ يرى المرء فى معظم الولايات اراضى شاسعة وخصبة لـكن الضريبة التى قدرت عليها اقل من تلك التى فرضت على اراض اخرى ليست لها نفس المزايا .

وأما مبلغ الـ ٨٩١ر٦٣٢ مدينى التى وردت تحت بند كوريكجى فلم يكن يدخل فيما مضى ضمن موارد الخزينة العامة ، لـكنه أصبح منذ الآن فصاعدا جزءا من المـال الحر ، فـكان يحصله احد الأفندية من الملتزمين مباشرة ليستخدمه فى نفقات النقل والأعمـال اللازمة الأخرى ليتم ارسال انقاض القاهرة الى مصبات النيل حيث كانت تلقى فى البحر . ويراقب الروزنامجى هـذا العمل فى كل مراحله ويتسلم الحساب الخاص بذلك من هذا الأفندى . وعندما اساء القادة المحليون استخدام حصيلة هذا البند ، او بداوا ينفقونه فى غير اغراضـه ، منذ نحو قرن ، أمر الباب العالى بأن يدخل ضمن موارده ،وقد نتج عن توقف الانفاق على الأغراض التى كانت مخصصة لها حصيلة هذا البند قيام تلال صناعية فى ضـواحى القـاهرة كانت تفوح منها باستمرار روائح كريهة ، كما كانت تهب منها اتربة مزعجة وضـارة بالصـحة .

وقد تقررت تذاكر الجاويشية بمعرفة السلطان لتوفير اجر اضـافى لأفراد اوجاق الجاويشية الموكلين بحماية تحصيل الميرى ، وكان ضباط هذا الأوجاق يحصلون بأنفسهم هذه الضريبـة بشكل مبـاشر ، ومع ذلك ففى السنوات الأخيرة ، وحين رفض الملتزمون سدادها ، سارع البـاشا الى معونة هذا الأوجاق ، الذى أمسى بالغ الضعف لحد لم يستطع معه الزامهم بسدادها ، فأمر بموجب فرمان بأن يحصل هذا الرسم باعتباره جزءاً من الميرى وان يوجه للغرض الذى حدده هذا الفرمان .

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الـــكشوفية كما انشأها سليمان ، وهى التى أصبحت نتيجة لذلك جـــزءا من المـــال الحر ، لنميزها عن تلك الـــكشوفية الجديدة التى أضيفت (الى الضرائب المقررة) منذ عهد هـــذا الحـــاكم .

ويوضح لنا الجدول الآتى حصيلة هذه الضريبة وتلك .

اسم الولاية	كشوفية قديمة				كشوفية
	مال الجهات	خدمة العسكر	كلفة	الإجمالى	رفع المظالم
	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى
قنا	—	—	١٢٥,٦٦٤	١٢٥,٦٦٤	—
إسنا	—	—	٩٥٤,٢٦٧	٩٥٤,٢٦٧	—
جرجا	—	—	١,٨٧٨,٣١٦	١,٨٧٨,٣١٦	—
سيوط	٨,٠٠٠	—	٨٥٠,٩٧٥	٨٥٨,٩٧٥	—
منفلوط	٢٨١,٨٨٧	—	١٣٧,٧٤٨	٤١٩,٦٣٥	—
المنيا	٥٨٢,٧٧٨	٤١٥,٠٣٣	—	٩٩٧,٨١١	—
بنى سويف	٩٦٦,٨٢٢	٤٥٨,٧٢٨	٨٢٢,٩٤١	٢,٢٤٨,٤٩١	١,١٢٨,٢٥٠
الفيوم	١٩٤,٩٢٠	—	١٣٧,٣٤٩	٣٣٢,٢٦٩	٩٥,١٢٤
أطفيح	—	—	—	—	—
الجيزة	٣٢٢,١٥٧	١٠٨,٥٧٠	٤١,٦٢٥	٤٧٢,٣٥٢	٢٥٩,٦٠٠
القليوبية	٣٨٢,٣٠٨	٢٣٥,٣٤٥	٤٣,٤٤٤	٦٦١,٠٩٧	٦٢٧,٣٦٥
الشرقية	٦٤٧,٨٠٢	٦٠٦,٩٥٠	٩٣,٣٦٧	١,٣٤٨,١١٩	٢,٣٦٨,٨٠٠
البحيرة	٦٠٤,٢٦٢	٤٥٦,٣٢٨	٤٩٩,١٠٠	١,٥٥٩,٦٩٠	٢,١٤٠,٩٢٥
المنصورة	٧٤١,٨٨٣	٦٨٠,٧١٠	٣٤٠,٢٧٣	١,٧٦٢,٨٦٦	٢,٦٣٥,٠٢٥
الغربية	١,٤٧٥,٤٨٧	٨٣٩,٢٣٩	٨٢,٩٣٨	٢,٣٩٧,٦٦٤	٤,٥٠٦,٣٢٠
المنوفية	٧٤٢,٩٨٢	٥٩٥,٤١٠	٢٠٩,٣٠٦	١,٠٤٧,٦٩٨	٢,٥١٣,٤٣٠
الإجمالى	٦,٩٥١,٢٨٨	٤,٣٩٦,٣١٣	٦,٢١٧,٣١٣	١٧,٥٦٤,٩١٤	١٦,٢٧٤,٨٣٩

جديدة				
فردة التحرير	كلفة	الإجمالي	الإجمالي العام	ملاحظات
بالمديني	بالمديني	بالمديني	بالمديني	
—	—	—	١٢٥,٦٦٤	
—	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	١,٠٧٩,٢٦٧	
—	١٩٩,٣٦٦	١٩٩,٣٦٦	٢,٠٧٧,٦٨٢	
—	٦٣,٦٥٠	٦٣,٦٥٠	٩٢٢,٦٢٥	
—	٤٢٠,٤٢٠	٤٢٠,٤٢٠	٨٤٠,٠٥٥	
—	٢,١٠١,٩١٨	٢,١٠١,٩١٨	٣,٠٩٩,٧٢٩	
—	—	١,١٢٨,٢٥٠	٣,٣٧٦,٧٤١	
—	٢٢٠,٣٢٩	٣١٥,٤٥٣	٦٤٧,٧٢٢	
—	—	—	—	
—	١,٦٦٢,٨٠٦	١,٩٢٢,٤٠٦	٢,٣٩٤,٧٠٨	
٤٢٢,٠٠٠	—	١,٠٤٩,٣٦٥	١,٧١٠,٤٦٢	
١,٠٦١,٧٧٠	٦٩٥,٩٥٩	٤,١٢٦,٥٢٩	٥,٤٧٤,٦٤٨	
١,٧٠٨,٠٨٨	—	٣,٨٤٩,٠١٣	٥,٤٠٨,٧٠٣	ويعادل الإجمالي :
٨٨٦,٦٧٧	٨٧٤,٦٢٤	٤,٣٩٦,٣٢٦	٦,١٥٩,١٩٢	د س ج ت
١,٦١١,٦٠٧	١,٦٥٠,٠٧٤	٧,٧٦٨,٠٠١	١٠,١٦٥,٦٦٥	٣ ٤ ٢,٧٨١,٤٤٦
١,٤٠٦,٠٥٢	٩٣٠,٤٠١	٤,٨٤٩,٨٨٣	٦,٣٩٧,٥٨١	وبالفرنكات :
				س ف
٧,٠٩٦,١٩٤	٨,٩٤٤,٥٤٧	٣٢,٣١٥,٥٨٠	٤٩,٨٨٠,٤٩٤	٣٦ ٢,٧٤٧,١٠٧

أما مال الجهات فهو عبـارة عن ضريبة كانت تتم جبايتها فى كل قرى الدائرة . ويضع الملتزمون حصيلة هذه الضريبة ، التى يقع على عاتقهـا أكبر قـدر من مصروفات « الاسلامية » (*) تحت تصرف حكام الولايات ، ويقوم هؤلاء بسداد هذه المصروفات ، ويحتفظون بما يتبقى منها لحسابهم.

وتجبى ضريبة خدمة العسكر لحساب الشوربجية ولصـالح ضـباط وجنود آخرين من بقيـة الفرق العسكرية ، وبخاصـة من جنود أوجاقات التفكجيان والجامولیان والشراكسة المنتشرين فى الولايات للعمل هناك مكونين الديوانات (المحلية) أو باعتبارهم مراقبين للبكوات أو الـكشاف الحكام . وكان هؤلاء العسكر يجبون هذه الضريبة مباشرة من الملتزمين طبقا لتفويض محرر من البك أو الكاشف . وعندما لاحظ محمد بك أن هذه الضريبة قـد ازدادت بشكل كبير ، فقد أعادها الى القدر الذى حدده لها سليمان .

وتمثل الكلفة عدة عادات عينية ونقدية خصصـتها اللوائح القـديمة للحكام وأفراد بيوتهم . وقد تحولت هذه الرسوم الى اعانات مالية ينبغى على الملتزمين أن يقوموا بدفعها . وقد أضفنا فى دراستنا الى هذه العادات عادة تعرف باسم حوالة الحوالات ، وهو تعبير عربى يعنى التعويض الذى يدفع لحملة الرسائل ، الذين يرسلون على وجه السرعة الى القرى ، لكى يخطروا المولين بالمبلغ الذى ينبغى عليهم أن يدفعوه ، لأنه تبين لنـا أن حوالة الحوالات كانت تضاف الى الكلفة فى كل ولايات مصر ، فيما عـدا ولايتى الغربية والمنوفية .

وقبل وقت طويل من عهد محمدبك كان حكام الأقاليم قد منحوا أنفسهم بشكل اسـتبدادى حق زيادة الـكشوفية ، لـكن الملتزمين ، فى عهده ، وقد كانوا فى حالة لا تسمح لهم بتحمل هذه الابتزازات ، التى لايقف تزايدها عند حد ، قـد أشعروه بأن من الضرورى وضع حـد لهذه الابتزازات . وأدرك محمد بك أنه اذا كان من المنـاسب أن تزيد هذه الرسـوم (أو العادات) من جهة ، فان من الظلم الصارخ من جهة أخرى أن يترك تقدير ذلك لرأى الحكام . وحين قرر قراره على الغاء كل ماكان هؤلاء الحكام

(*) رسم يحصل لصالح محمل الحج كما سيرد بعد ذلك (المترجم)

يفرضونه ، زيادة عن الـكشوفية القديمة ، فقد منحهم حق تحصيل عادة جديدة سميت باسم عادة رفع المظالم .

وقد أراد القبطان باشا حسن ، الذى حاول أن يعيد النظام الى مصر بعد الاضطرابات التى اعقبت موت محمد بك ، أن يقلص الضرائب لكى تعود الى نفس القدر الذى حددته لوائح سليمان ، لكن أفكارا لاحقة قد أثنته عن ذلك ، فتبنى نفس الاعتبارات التى أدت الى نشأة عادة رفع المظالم ، واكتفى بأن يطلق عليها اسما جديدا هو عادة حق *البيات* (أى عادة ثمن الاقامة) .

وحين ادت الأحداث التى أعقبت رحيله الى تثبيت سلطة البكوين مراد وابراهيم ، فان حكام الأقاليم قد بزوا أسلافهم فيما كانوا يقومون به من الابتزازات وعمليات السلب ، بحيث أصبح الأمر يقتضى أن تتحول هذه الى بنود ضريبية جديدة ، فأضاف ابراهيم ومراد الى الرسوم أو العادات القائمة عادة فردة التحرير .

وبعد ذلك أضيف لحق الطريق الذى انشأه محمد بك لكى يتكفل بنفقات تحصيل رفع المظالم رسم جديد لحق الطريق يلزم لجباية فردة التحرير ، وفى النهاية جمعت كل الأعباء التى فرضت بشكل استبدادى على القرى منذ موت محمد بك فى ضريبة وحيدة أشير اليها باسم الكلفة ، وذلك بسبب تطابق الرسوم (أو العادات) التى تكونها مع تلك التى كانت تدخل فى اطار هذا الاسم فى الكشوفية القديمة .

ويبين الجدول الذى نقدمه هنا الحصة التى تعود الى الملتزمين من الضرائب فى حالة كل الأراضى .

أسماء الولايات	الفايظ	الزيادات: برانى قديم	الزيادات: برانى مستجد	الإجمالى
		المدينى	بالمدينى	بالمدينى
قنا	٣,٠١٧,١٩٧	٢٩٧,٨٢٦	—	٣,٣١٥,٠٢٢
إسنا	١,٩٤٦,٢٦٩	—	—	١,٩٤٦,٢٦٩
جرجا	١٠,٣٣٩,٧٧٠	٤,٥٤٣,٤٩٩	—	١٤,٨٨٣,٢٧٨
سيوط	١,٨٢١,٩٨٨	٣,٢٧٠,١٥٧	١١٠,٠٠٠	٥,٢٠٢,٦٤٥
منفلوط	٢,٢٨٤,٥٧٨	٥٧٩,٢٦٦	١٦٢,٨٥٩	٣,٠٢٦,٧٠٣
المنية	٢,٤٨٧,١٣٢	١,٠٣٩,١٧٠	—	٣,٥٢٦,٣٠٢
بنى سويف	١٥,٢٢٨,٠٠٩	٧١٣,٣١٥	٣,٠٩٨,٦٩٠	١٩,٠٤٠,٠١٤
الفيوم	٥,٤٢٦,٣١٠	٧٧٦,٦٧٩	٨٨٣,١٩٣	٧,٠٨٦,١٨٢
أطفيح	٤,٦٢٤,٦٩٠	٣٦٢,٠٤٤	١٨٢,٤٤١	٥,١٦٩,١٧٥
الجيزة	٨,٥٤٣,١٦٧	٩٣٧,٠٨٢	٧١٠,٩٦٣	١٠,١٩١,٢١٢
القليوبية	٩,٠٢٦,٦٢١	٥٨٩,٤٢٨	٥,٥٠٣,١٥٠	١٥,١١٩,١٩٩
الشرقية	١٢,٣٦٨,٧٢٦	٣,٢٣٢,٧٩٦	٣,٦٢٥,٩٢٦	١٩,٢٢٧,٤٤٨
البحيرة	١٩,٨٠٠,٤٤٩	١,٥٥٢,٣٤٤	١,٧١٥,٥٧٨	٢٣,٠٦٨,٣٧١
المنصورة	٢١,٦١٦,٦٦٠	٨,٦٥٨,٨٦٧	٦,٧٨٣,٣١٣	٣٧,٠٥٨,٨٤٠
الغربية	٣٩,٨٠٢,٨٨٦	١٢,٠٤٠,٨١٦	١٣,٧٦٦,١٠٣	٦٥,٦٠٩,٨٠٥
المنوفية	٢١,٨٢٤,٠٤٦	٦,٧٥٧,٣٨٤	١٢,١٧٦,١٣٣	٤٠,٧٥٧,٥٦٣
الإجمالى	١٨٠,١٥٨,٥٠٧	٤٥,٣٥٠,٦٧٣	٤٨,٧١٨,٨٤٩	٢٧٤,٢٢٨,٢٠٩

ملاحظات

حيث كان تحصيل المال الحر فى الصعيد يتم نقداً أو عيناً تبعاً لنوع المحصول الذى يزرعه الفلاحون فى أراضيهم فقد كان لزاماً علينا أن نحول الحصيلة التى يتم سدادها عيناً كما يفعل الناس عادة بهذه البلاد إلى قيمة نقدية حتى يمكننا أن نقدر حصيلة الفايظ المستحق .

	د	س	حـ ب
تعادل :	٧	٣	٩,٧٩٣,٨٥٠
		س	فرنك
		٢٤	٩,٦٧٢,٩٤٦

والفايظ (الفائض ، أى الجزء الذى يبقى) هو ذلك الجزء من المال الحر الذى خصصه السلطان للملتزم ، ولم يكن هذا الجزء محددا أو ثابتا بشكل مؤكد ، شأن الميرى أو الكشوفية ، حيث لم يكن للملتزم أدنى حق فيه الا بعد أن يفى بالتزاماته قبل السلطان وحكام الأقاليم . ولما كانت الأرض التى لا تغمرها مياه الرى معفاة بشكل مبدئى من سداد اية ضريبة، فقد نتج عن ذلك أن الفايظ كان عرضة للزيادة والنقصان تبعا لاتساع أو انحسار المساحة المروية من الأراضى التى ينبغى عليها أن تسدد المال الحر.

وقد أطلق على الزيادات التى الحقت بالفائظ هذه التسميات : برانى قديم وبرانى جديد ، مضاف قديم ومضاف مستجد . وليس ثمة اى نص رسمى يدل على انشائها ، لكن الملتزمين قد جعلوا من الهدايا والاتاوات التى يدفعها الفلاحون مقابل خدمة عارضة أو طبقا لتقليد ما رسوما واجبة السداد بشكل حتمى .

وتعود جباية البرانى القديم الى زمن بالغ القدم ، وينظر اليه اليوم باعتباره ضريبة تماثل فى انتظامها ضريبة المال الحر المبدئى .

أما البرانى الجديد (أو المستجد) فقد ابتدعه البكوات المماليك متذرعين بنفس الادعاءات التى استخدمت من قبل لتبرير جباية البرانى القديم .

واليوم ، تحصل نقدا كل الرسوم (أو العادات) التى تشكل كلا من البرانى القديم والبرانى المستجد ، وبرغم انتظامها على هذا النحو فانها لم تدون فى جداول الضرائب المقررة على القرى ، لكننا لانجد نفس الشىء بالنسبة لمختلف فروع الكشوفية الجديدة ، فحيث أن الحكومة قد أوجبت على الملتزمين ، وهم مثقلون بالفعل بدفع الكشوفية القديمة ، أن يدفعوا لقادة الولاية ضرائب رفع المظالم وفردة التحرير والكلفة الجديدة فقد كان تحصيل هذه الضرائب يتم بموجب نص من السلطة لايمكن للقرية معه أن تنكرها ، وعلى العكس من ذلك فحيث أن البرانى لم يكن ملزما للفلاحين طبقا لنص محدد ، فقد كان من الضرورى للملتزم أن يواصل التذكيربالعادات المنشئة للرسوم التى تتكون منها ضريبة البرانى هذه .

وكانت الادارة الخاصـــة بقرية ما تنشىء مصروفات تحصيل تنفقها فى الاستجابة للمطالب المحلية وفى دفع اجور الموظفين الذين عينهم السلطان فى كل وحدة (ادارية) ، ولم تكن مصروفات التحصيل هذه تدخل ضـــمن الجداول التى سبق أن أوضحناها اذ كان الذين يقومون بجبايتها ينفقونها مباشرة فى الأغراض المحددة لها ثم يخصمونها من اجمـــالى المبـــالغ التى حصلوها لحساب الملتزم .

وسنقدم قائمة طبق الأصل بالضرائب التى كانت تجبى من احدى قرى مصر على النحو الذى قدمه واحد من هؤلاء الجباة . ويقتضى نسق هــذا المؤلف أن تدخل هذه القائمة فى ثنايا دراستنا هذه عند حديثنا عن تحصيل الضرائب وسوف تبين هذه القائمة ، بوضوح بالغ ، كل ماسبق أن ذكرناه للتو ماسا بموضوع تقسيم الضريبة على الأراضى .

ثانيـــا : عن ادارى القرى

كان الملتزم موكلا بادارة القرية وتنظيم شئونها ، ويعمل بهـــا تحت امرته قائمقام يمثله هو وموظفون يختارهم ، وكان وجود هؤلاء ، وكذلك الحال بالنسبة لوظائفهم ، يتحدد بمقتضى لوائح وضعها السلطان .

وهؤلاء الموظفون هم : الشيوخ ، الشاهـــد ، الصراف ، الخولى ، المشد ، الخفراء ، الوكيل ، الكلاف .

وكان من الضرورى ان يختار كل من الشاهد والخولى من بين سكان القرية .

أما الشيخ فكان يفتش على الأرض وعلى الفلاحين ويراقبهم ، وهو مكلف بمراعاة الا تضار مصالح الملتزم بسبب اعوجاجسلوك هؤلاء أو بسبب اهمالهم ، كما كان ملزما بأن يسدد ما على الممولين من ضرائب اذا هو لم يخطر سيده بهروبهم أو باخطائهم . ولا تصل أوامر الملتزم الى الفلاح الا من خلاله . كما ينقل — هو — الى الملتزم مطالبهم واحتياجاتهم . ويعين الملتزم فى بعض الأحيـــان عـــدة شـــيوخ للاشراف على الأراضى التى تقع تحت امرته ، ويمارس أول هؤلاء — ويشار اليه باسم شيخ المشايخ — بالنسبة

لزملائه نفس السلطة التى يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين . واذا غاب الملتزم ولم يكن له بالقرية قائمقام فان هـذا الشيخ الأول ينوب عنـه . ويختار لشغل هذه الوظائف فى العادة فلاحون يمتازون بيسرهم وحـذقهم . وفى معظم الأحيـان تنتقل هذه الوظـائف من الأب الى الابن ، مما يدفع بأبنـاء شيخ ما على الظن بأن لهم الحق فى وراثة وظيفته .

وأما الشاهـد فيمسك بسجل يبين طبيعة ومساحة كل العقـارات التى تكون زمام القرية ، ويدون بهذا السجل اسـماء سكانها وملـكياتهم وكذلك كل عمليات نقل الحيـازة الطارئة ، ويشار اليـه بصفة العـدل (أو العادل) للتاكيد على النزاهة التى لابد لها أن تحكم أعماله .

ويقوم الصراف بتحصـيل الضرائب طبقـا لتوزيعها المـدون بسجل الشاهد ، ويتأكد من وزن وحالة المسكوكات (قطع النقود) التى تقـدم له ، ثم يسلم الحصـيلة الى الملتزم ويحصـل منه على مخالصة بذلك ، وكان الصراف فيما مضى يعمل فى خدمة الشاهد ويحصل على راتبه منه .

ويلتزم الخولى أو المساح بأن يعرف بدقـة بالغـة زمامات القرية والحدود التى تفصل بين أراضى الملاك ، كما يحسم كل المنـازعات التى تنشب حول هذا الموضـوع ، ويدير أعمال وزراعة الوسية ، وتزرع هذه الأراضى بالتراضى شأنها شأن عقارات الفلاحين الذين يستخدمون لأراضيهم أجراء ، وتنحصر الميزة الوحيدة التى يتمتع بها الملتزم فيما تقـرر له من أفضلية تمنع تابعيه من أن يستخدموا عمالا فى زراعة أرضهم قبل أن تتم زراعة أرض الوسية .

والمشد هو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقـاب بالفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون (فى سداد ماعليهم) ، اذ ليس للشـيوخ او موظفى القرية الآخرين الحق فى أن يتصرفوا بأنفسهم ضد المخالفين ، بل انهم ينشدون سلطة المشد كما أن عليهم أن يقدموا له العون عندما يطلبه أو يحتاج اليه ، وبالاضافة الى ما سبق فان المشد موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم .

والخفراء (الخفير) هم حراس القرية ، ويتفاوت عددهم بين قرية واخـــرى ، وهم مكلفون بمنع السرقات ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعـد خروجا على النظـــام ، كما أنهم ينذرون القــرية عنـد اقتراب العربان . ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التـــابع للملتزم والذى يستخدم مخزنا للمحاصيل ، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجســـور ومراعاة الا يقوم الفـــلاحون باحـداث الثغرات فيها فى الأوقات التى تحرم خلالها هذه الأعمال .

ويقوم الوكيل باســـتغلال أراضى الوســـية ، لـــكنه ملزم باستخدام الخولى عند بذرها ، كما يتولى جمع المحاصيل والتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ويعمل الـــكلاف — أى الراعى — تحت امرة الوكيل ، وهو موكل بحراسة قطعـــان الماشية والعنـــاية بها ، ويحصل لنفسه على منتجاتها من الصوف والزبد واللبن الخ ، ويفترض فى مهنتـــه الالمام بفن البيطــــار مما يعود بالفائدة على القرية كلها ، فهو ملزم بأن يقدم هـــذه الرعاية لمن يلتمستها منه من الفلاحين لعلاج ماشيتهم .

وبالاضافة الى كل هؤلاء يوجد بكل قرية امام وحلاق ونجار ، وعلى الرغم من أن لوائح السلطان لم تتناول هؤلاء ، فقد جرت العـــادة بان يحصـــل هؤلاء على راتب من القرية ، ويترتب على ذلك أن كل واحـــد من هؤلاء ، كل فيما يخصه ، ملزم بأن يقدم خدماته لأهل القرية .

ثالثا : عن جبـــاية الضرائب

فيما مضى ، وعلى الرغم من أن الصراف يدخل فى عداد الوظـــائف الرسمية التى انشاها سليمان ، فقد كان مرءوسا للشاهد ، ولم يكن له من عمل سوى أن يحصـــل من كل فـــلاح المبـــالغ المفروضـــة عليـــه من قبل ديوان الجبـــاية . ومع ذلك ، فحيث تعقـــدت وتزايدت الرسوم التى بدات تجبى حديثا ، مما جعل هذا العمل اكثر مشقة ، فان الملتزم والمزارع كليهما ، وقـــد حارا فى تحديد حقوقهما والتزاماتهما ، قـــد لجا الى هؤلاء الذين اكتسبوا المعرفة التـــامة باللوائح وبالأساليب المتبعـــة عند تطبيقها.

وهكذا لم تعد هنـــاك قرية بها ارض زراعية ، لا نجد بها قبطيـــا (١) فى وضع يسمح له أن يقـدم ادق واوفى البيـــانات عن الرســـوم القـــديمة والحديثة ، ســــواء المفروضــــة محليا ، (اى على القرية بشكل خاص) او تلك المفروضــــة بشكل عمومى ، وســـواء كذلك المشروعــــة منها (اى التى تررتها اللوائح) أو الجائرة ، والتى تجبى من ملاك هـــذه القرية . وقـــد جعلت منه معلوماته هـــذه وسيطا لابد منــــه بين الملتزم والفلاحين، حتى أن الأخيرين يبـــادرون مذعنين بسداد المبلغ المطلوب ما أن يتلفظ به، وهم يرضخون بفعل الخوف لاتاوات لم يطلعهم عليها من قبل . وبفضـــل خبرة الأقبـــاط فى هذا المجـــال فقد اصبحوا هم المبــــاشرين للبكوات والملتزمين ، ونجـــد فيما بينهم نفس العـــلاقات التى تقوم بين اولئك الذين يدبرون — هم — لهم ثرواتهم ، فمبــــاشرو الملتزمين ومبـــاشرو البكوات يعترفون برياسة مبـــاشر البك شيخ البلد لهم ويلقبونه بالمباشر العمومى . وقبل أن يمارس هؤلاء مثل هذه الوظائف فانهم يتشربون هذه الأمور بالعمل تحت ادارة اسلافهم . وهم حريصـــــون دوما على أن يحصروا داخل أمتهم هذا النظام المتبع (فى هذه الأعمال) والذى يشكل تراثا بالنســـبة لهم ، فهم لا يشركون فى أعمالهم ومعـــارفهم سوى الأقبـــاط ، ويعهـــد الملتزم بأعمال الصـــيرفة الى واحد من هؤلاء التـــلاميذ الذين يشار اليهم باســـم الـــكتبة (كاتب) . ويسترشد فى اختيـــــار هذا بمبـــاشره ، ولابد أن يوافق على هذا الاختيار المبـــاشر العمومى ، الأمـــر الذى يوضـــح مكانة وسطوة هذا الأخير على ادارة مصر فيما يتصل بتوزيع الوظائف التى تتفرع عن أعماله .

- وما أن تنحسر مياه النيل عن الأراضى ويتم البـــذ ر ، حتى يتوجـــه الصراف الى القرية الموكلة اليـــه ، مزودا بالبيـــانات التى تتصل بضرائب السنوات السابقة . ومعلومات من هذا النوع ، ويفترض الا يعرفها الا من ينتمى الى أمة الاقبـــاط ، لاتذاع الا عن طريق الشخص الذى زود بها . وبمجرد وصـــوله يدعو اليه ديوان الجبـــاية وهو عضو فيه بحكم النشأة . كما يدعو المشايخ والشـــاهد ويبدأ فى عمليـــة توزيع الضرائب وجبايتها.

---

(١) الاقباط هم سلالة اهل البلاد الذين رفضوا اعتناق دين محمد ، وهؤلاء يدينون بمسيحية شوهتها جهالتهم كما اتلفتها اخطاء نسطوريوس .

اما الديوان الذى يفترض فيه أنه المشرف أو على الأقل الحكم فىهذه العملية فلم يكن سوى شاهد ، بل ان الفلاحين أنفسهم يفضلون ادارة الصراف على ادارة الديوان أو الشاهد ذلك أن حماسة الصراف التى لا تفتر والتى تسوغ ثقة الملتزم فيه لم تكن لتمنعه من أن يصطنع بعضا من اللباقة وشيئا من النزاهة فى اجراءاته ، وتسهم صفته باعتباره غريبا ، كما تسهم طبيعة عمله الذى ينتهى بنهاية العام باضفاء صفة الحيدة عليه ، فى حين يتهم المشايخ والشاهد على الدوام بأنهم أصحاب منفعة فى العوايد (أو العادات) المحلية مما يجعلها جائرة بشكل دائم .

وتتم جباية الضرائب وفاء لثلاثة أغراض متنوعة :

١ — لتحصيل المال الحر .

٢ — لتحصيل الاضافات التى تمت زيادة على المال الحر (١) .

٣ — لتحصيل المصروفات الطارئة والتى تستخدم للانفاق على احتياجات القرية .

ويستخدم سجل الشاهد ، الذى تحددت به مساحة وحالة الأرض التى يمتلكها كل ممول ، أساسا لعمل الصراف عند تقسيم وتوزيع الضرائب

وتوجد بكل قرية ، بخلاف الرزق ، والاطلاق ، والوسايا ، والأثر ، اراض يطلق عليها اسم بور المناجز .

وقد سبق لنا القول بأن أراضى الرزق والاطلاق (أو الاطلاق) كانت معفاة من الضرائب . وينطبق ذلك على الأراضى غير المنتجة أو البور .

أما الأراضى من النوع الردىء ، والتى يطلق عليها اسم مناجزة ،

---

(١) وهى عبارة عن البرانى بنوعيه وعن الكشوفية الجديدة .

(*) وهى أراض أصابها الضعف ولم تعد جيدة الزراعة وهناك أيضا أراض تسمى بور الحوالى وهى التى يصيبها البوار فى بعض السنوات فلا تزرع (المترجم) .

ســـواء كانت تتبع الفلاحين أو كانت تتبع الملتزمين ، فتدفع ضريبة معتدلة، اقل من تلك التى تفرض على أراضى الوسية والأثر ، فهى تشكل درجـــة رابعة بالنسبة لـــكل هذه الأراضى التى تنقسم الى أراض ممتازة ، والراض متوسطة واراض دنيا (أو : عال ، ووسط ، ودون) ، وتخضع هذه وتلك بالمثل لضريبة المال الحر ، وتسدده حسب درجة جودتها (١) .

وبخلاف ذلك تتحمل أراضى الأثر وحدها الزيادات التى أضـــيفت الى هذه الضريبـــة ، وكذا المصروفات الطـــارئة والتى تتصـــل باحتيـــاجات القرية ، دون أية مراعاة لدرجة جودتها ، بل كان يكتفى بتوزيع الضريبـــة بنسب متساوية ، ولهذا كان يزيد أو ينقص مايدفعـــه فلاح ما من هـــذه المصروفات تبعا لعدد الفدادين التى يملكها .

وفى مصر العليا تعامل الأراضى من هذا النوع ، والتى تتبع المشايخ والموظفين الرسميين فى القرية بنفس الدرجة من الأفضلية التى تعامل بها ارض الوسية ، أما فى مصر السفلى فان هؤلاء الموظفين لايحصلون على هذه الميزة الا لجزء فقط من ممتلكاتهم .

وتقدر الضريبة على الزمامات التى لايتم قيـــاسها (أى غير محددة المساحة) بشكل اجمالى ، وتحدد الضريبة المقدرة عليها بمعرفـــة الصراف والادارة الداخلية للقرية ، وتسمى الضريبة من هذا النوع باسم كلالة . وهذه ، من ناحية العدد ، أكبر فى الصعيد عنها فى مصر السفلى . وقد تبست زمامات بعض القرى بين بين : وتقدر الضريبة على الجزء المقيس بواقع عدد الفدادين ، لـــكنها تقدر على الجزء الآخر بالكلالة .

وتتكون القرى عادة من عدة كفور ـــكل الا دائرة وحيدة ، تحمل اسم القرية الرئيســة .

---

(١) لكى نوضح بأية طريقة عشوائبة كانت توزع هـــذه الضريبـــة ، يكفينا القول بأنها كانت تتراوح بين ٩٠ الى ١٠٠ مدينى للفدان من الدرجة الأولى ، ومن ٦٠ الى ١٥٠ مدينى لفدان الدرجة الثانية ، بينما تفرض على أراضى الدرجة الثالثة وكذلك على أراضى الممتازة ضريبة مقدارها من ٣٠ الى ١٢٠ مدينى للفدان .

وتنقسم هذه الوحدة الادارية فى مجموعها ، ومهما تكن مساحتها ، الى ٢٤ جزءا ، تتبع كلها لملتزم واحد او لعدة ملتزمين .

ونقدم الآن بيـــانا بالضرائب التى سددتها دائرة قـــرية الأنبوطين ، الواقعة فى ولاية الغربية ، فى عام ١٢١٣ من الهجرة ،وهو العام السابع من قيـــام جمهوريتنا (١٧٩٨) : وسنقدم كما سبق أن وعدنا جدولا بكل الضرائب المقررة على احدى القرى ، وبصـــفة خاصـــة تفاصيل الرسوم (أو العـــادات) التى تشكل البرانى . وحيث تتنوع هذه من اقليم لآخر ، بل بين قرية وأخرى ، فقد كان علينا أن نكتفى بتقديم مثال من شـــأنه أن يبين لنا الضرائب المقررة والتى تعد أكثر من غيرها شيوعاً .

قائمة بالضرائب المقررة على وحدة قرية الأنبوطين
بولاية الغربيـــة عن العام ١٢١٣ من الهجرة

الأنبوطين . . . . قرية رئيسة

بقـــلولة . . . . ⎫
منية حبيش . . . . ⎭ كفور أو قرى تابعة لها

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	المجموع
إجمالى زمام الأراضى	١٦٢٦ ٥٢٤/٥٧٦	٤٧٦ ٢٤٤/٥٧٦	١١٠٦ ٤٠/٥٧٦	٣٢٠٩ ٢٣/٥٧٦
يخصم من ذلك : أراض معفاة من الضرائب				
رزق تابعة لأشخاص عدة	٤٥ ٣٨٤/٥٧٦	—	٢١ ٣٠٠/٥٧٦	
أراض بور ، شواطىء ، طرق الخ	١ ٤٠٠/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	—	
	٤٧ ٣٠٨/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	٢١ ٥٠٤/٥٧٦	٨٥ ٤١٢/٥٧٦
الباقى من الزمام والذى يخضع للضرائب ويبلغ	١٥٧٩ ١١٦/٥٧٦	٤٥٩ ٥٤٤/٥٧٦	١٠٨٤ ١١٢/٥٧٦	٣١٢٣ ١٩٦/٥٧٦

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
الأنبوطين : ويبلغ زمامها $\frac{٣١٦}{٥٧٦}$ ١٥٧٩ر١ فداناً منها $\frac{٦}{٥٧٦}$ ١١٤					
مناجزة : أراض رديئة تدفع ضريبة ثابتة . .	٨ر٧٢١				
$\frac{٤٤٨}{٥٧٦}$ ١٢٦ أراض جيدة (عال) تشكل أرض الوسية وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى للفدان .	١٣ر٥٦٥				
$\frac{٣٨٤}{٥٧٦}$ ٨٩٨ أراض متوسطة الجودة (وسط) وأراضى الأثر وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى /فدان	٩٦ر١٥٨				
٤٤٠ أراض منخفضة الجودة (دون) وأراضى الأثر وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٣ مدينى / فدان .	٤٥ر٣٢٠				
بقلولة : ويبلغ زمامها $\frac{٥٤٤}{٥٧٦}$ ٤٥٩ فداناً . منها :					
$\frac{١٧٦}{٥٧٦}$ ٣٢ ف مناجزة . . شرحه	—	٢ر٥١١			
$\frac{١٨٠}{٥٧٦}$ ٣١ ف جيدة ، الوسية ، شرحه	—	٣ر٣٥٠			
$\frac{٨٨}{٥٧٦}$ ٣٩٦ أرض متوسطة ، الأثر ، شرحه . .	—	٤٢ر٣٨٦			

البيان					
خبيش : وزمامها $\frac{112}{576}$ ١٠٨٤ر١ ف منها :					
$\frac{486}{576}$ ١٣ ف جيدة الوسية ، شرحه	—	—	١ر٤٧٤		
$\frac{220}{576}$ ١٠٧٠ر١ ف ضعيفة ، الأثر ، بواقع الفدان ١١٥ مدينى	—	—	١٢٣ر٠٩٣		
اجمالى الزمام $\frac{196}{576}$ ١٢٣ر٣ويسدد	١٦٣ر٧٦٤	٤٨ر٢٤٧	١٢٤ر٥٦٧		
الإجمالى المكون للمال الحر	—	—	—	٣٣٦ر٥٧٨	
الزيادات التى طرأت على المال الحر :					
ـ نصيب هذه القرية فى الـ ٨٩٣ر١٢ر٧٤ مدينى التى أضيفت إلى الميرى على يد السلاطين أحمد ومحمد ومصطفى	—	—	—	١٤ر٨٨٧	٣٦١ر٥٥٨
رسوم ثابتة على أراضى جديده فى بقلولة . . .	—	—	—	٢٠٠	
زيادات على أراضى عربان قبيلة الأطياح(*) . . .	—	—	—	٩ر٨٩٣	
الإجمالى العام . .	—	—	—	١ر٥٥٨	

(*) أو كما وردت بالنص العربى el-Atahyâ (المترجم)

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
ويخصم من ذلك :					
مصاريف محلية وادارية تدفع لمستحقين :					
الختمية ، وهى أول عادة جباها راس نوبة ، وهم صغار ضباط الأوجاقات	٢٢٤	—	—	٢٢٤	
قايمة الرملة ، وهى عادة فرضت لصالح الشخص الذى يقوم بتنظيم حسابات بعض رسوم الكشوفية . .	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
تقادم المنشور : وهى هدايا تقدم لضباط الأوجاقات	١٦٥	١٦٥	—	٣٣٠	
للعناية بالثيران اللازمة للترع	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
مقدم الولاية : موظف بالولاية يسير أمام الحاكم .	١٦٥	—	١٨٠	٣٤٥	
مسودة الولاية : موظف آخر بنفس الولاية . .	٣٣٠	—	٣٦٠	٦٩٠	
موقى الولاية : ضابط بالولاية يرشد الحاكم الى معسكرات الجنود	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
الجرافة السلطانى : لمن يقوم بالتفتيش على الجسور العمومية	١٩٥	٢٢٠	٢١٠	٦٢٥	
جسر بنو جودى : وهو جسر ينبغى أن تسهم هذه القرية فى صيانته	٧٥	١٧٠	—	٢٤٥	

مقدم العسكر : وهو موظف بالولاية يعمل دليلا لعسكر الشوربجية	٦٠	—	—	٦٠
تسويف مقرر : وهو موظف آخر بالولاية . . .	١٨٧	٣٣٠	٣٣٠	٨٤٧
مظالم الولاية : ضابط بالولاية مهمته أخبار الحاكم بما يدور بالولاية	١٥٠	—	—	١٥٠
تقرير الأفندى : عادة للافندية الذين يقومون بتحصيل الميرى	٦٢٤	١٨٠	٩٠	٨٩٤
أغنام الضامة : وهى الخراف التى ينبغى ذبحها عند حصاد القمح	—	—	٩٦	٩٦
راس نوبة : عادة ثانية لضابط بهذا اللقب . .	—	—	٣٨٧	٣٨٧
عادة الدعوة : وهى عادة مقررة للشخص الذى يفض الخلافات بين الفلاحين	—	—	٦٠	٦٠
نايب ريبة : وهو ضابط يقوم بالحفاظ على الاخلاق الحميدة فى الولاية	١٧٠	—	—	١٧٠
عادة الولى: وهو أحد الأولياء المحليين	—	—	٣٠	٣٠
براني مقدم العسكر : زيادة فى العادة المقررة لهذا الموظف	٣٧	—	—	٣٧
عادة لصالح المشايخ	١١,٩١٠	٦,٥١٠	١٢,٦٠٠	٣١,٠٢٠

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الاجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
لاقامة الجســـور	٣٦٠	٢٤٨	٣٨٠	٩٨٨	
لحراسة المكان الذى تتم فيه عملية جباية هذه الرسوم واصطحاب الاموال الى القاهرة	٨١٦	١٦٦	٤٤٠	١,٤٢٢	
خولى الجرافة : وهو الذى يفتش على الجسور .	٢٠٢	—	—	٢٠٢	
الخفير الدوار : حارس القــرية	٢٠٠	—	—	٢٠٠	
كلاف الاطوار : راعى ثيران القرية	١٠١	—	٥٠	١٥١	
للنجار الموكل باصلاح أدوات الرى	١٠٠	—	—	١٠٠	
للشـــيخ امام	١٠٠	—	—	١٠٠	
خولى الزرع : ويفتش على البذار وهو مساح كذلك	—	—	١١٠	١١٠	
صنفار الجرافة : اجر العاملين فى جسور الولاية .	١,٢٧٠	—	١,٠٣٨	٢,٣٠٨	
معاش لعربان قبيلة الأطياح	٤,٣١٥	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	٨,٣١٥	
عادة الصراف الجابى	١,٠٠٠	١,٠٠٠	١,٠٠٠	٣,٠٠٠	
رزق تدفع نقــدا	٥,٠٠٠	١,٥٠٠	١,٥٠٠	٨,٠٠٠	
صيانة جسور خاصة بالقــرية	٩١٧	—	—	٩١٧	
الاجمـــالى	٢٩,١٦٨	١٢,٩٨٤	٢١,٣٥٦	٦٣,٥٠٨	٦٣,٥٠٨
البـــاقى	—	—	—	—	٢٩٨,٠٥٠

ويوزع بمعرفة الملتزم ما يلى طبقا للوائح السلطان :					
الى السلطان باعتبارها ضريبة الميرى		—	—	—	١٠٦,٣٣٦
الى الحاكم باعتبارها الكشوفية القديمة :		—	—	—	١٩,٠٨٩
وتفاصيلها كما يلى :		—		—	—
مال الجهات	١١٫١٤٥				
خدمة العسكر	٦٫٩٣٠				
الكلفة { تبن السلطان . . .	٥١٩				
الكلفة { حوالة الحوالات . .	٤٩٥		—		
الى الملتزم باعتباره الفايظ الخاص به		..	..	..	٧٢٫٦٢٥
المبلغ الاجمالى(١)		..	..	..	٢٩٨,٠٥٠

(١) هذا المبلغ هو اجمالى المال الحر ، ونرى من ذلك أن المصروفات المحلية قد خصمت منه ، وتبلغ نفقات القرية ما نسبته ٢١١/٢ ٪ . وقد عرفنا فيما سبق أن هذه النفقات فى بقية البلاد تتراوح بين ١٠ و٣٠٪ .

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
البرانى القـديم					
لشراء الجمـال	٨و٨٠٠	٤و٤٠٠	٨و٨٠٠	٢٢,٠٠٠	
لشراء الجـديان	٢و٩٢٠	١و٤٦٠	٢,٩٢٠	٧و٣٠٠	
خراف للضيوف	١و١٦٨	٥٨٤	١,١٦٨	٢,٩٢٠	
لشراء السـمن	٣و٠٠٠	٧٠٠	٣و٠٠٠	٦,٧٠٠	
كاشـف الولاية	١و٩٠٧	٩٢٤	١و١٣٢	٣,٩٦٣	
قائمقـام الولاية	١و٠٧٢	٥٩١	—	١,٦٦٣	
هدية اولى للمالك الملتزم	٥و٥٠٠	٢و٧٥٠	٥و٥٠٠	١٣,٧٥٠	
هدية ثانية له نفسـه	٥و٥٠٠	٢و٧٥٠	٥و٥٠٠	١٣,٧٥٠	
هدية ثالثة له نفسه	٢٩و٠٠٠	١٤و٥٠٠	٣٤و٠٠٠	٧٧,٥٠٠	
حوالة الحوالات	٢و٤٠٠	١و٢٠٠	٢و٤٠٠	٦,٠٠٠	
خدم قائماقم الولاية	٢٠٠	١٥٠	٢٠٠	٥٥٠	
الاجمـالى	٦١و٤٦٧	٣٠و٠٠٩	٦٤و٦٢٠	١٥٦,٠٩٦	١٥٦,٠٩٦
البرانى الجـديد					
لشراء السـمن	١٢و٨٠٠	—	—	١٢,٨٠٠	
لشراء الدجاج	٢و١٨٧	—	١و٦٠٨	٣و٧٩٥	
عادة التشاءوس أى حاجب الملتزم	٦٠٠	—	٤٠٠	١,٠٠٠	
عادة الملتـزم	١و٣٣٣	—	٢و٠٨٠	٣و٤١٣	

عادة حوالة الحوالات	٢٤,٠٠٠	—	١٦,٥٠٠	٤٠,٥٠٠	
هدية للملتزم	٢٠,٤٠٠	—	١٣,٦٠٠	٣٤,٠٠٠	
عادة كخيا الملتـــزم	١,٨٠٠	—	١,٢٨١	٣,٠٨١	
عادة تســويف مقرر	٣٣٠	—	—	٣٣٠	
مصروفات على أراضى محمد الغفار	٤,٢٨٠	—	—	٤,٢٨٠	
عـ ـة مظــالم الولاية	٨٩	—	—	٨٩	
ركبة الطـــوافة	١٥٠٠	—	—	١,٥٠٠	
زيادة الحقت بالعادة المذكوره	١٦٥	—	١,١٠٩	١,٢٧٤	
ثيران للعمل بالجســـور	٩٠٠	—	—	٩٠٠	
خراف من أجل موسم الحصاد	٣٠٠	—	—	٣٠٠	
جاويش الولاية	١٠٩	—	—	١٠٩	
نثريات محلية مختلفة تذكر للمرة الثانية	—	—	٨٢١	٨٢١	
الاجمـــــالى	٧٠,٧٩٣	—	٣٧,٣٩٩	١٠٨,١٩٢	١٠٨,١٩٢
الـكشوفية الجديدة					
رفع المظالم أو حق الطريق	١٧,٨٢٥	٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٣٥,٨٢٥	
فردة التحـــرير	٦,٨٠٠	٣,٠٠٠	٤,٥٠٠	١٤,٣٠٠	
كلفة جديـــــدة	٥,٠١٥	١,٧٤٣	٣,٣١٥	١٠,٠٧٣	
اجمالى الرسوم المقررة على هذه القرية .	٢٩,٦٤٠	١٠,٧٤٣	١٩,٨١٥	٦٠,١٩٨	٦٠,١٩٨

التوزيع الجديد لهذا المبلغ

			مدينى
الى السلطان .	لضريبة الميرى		١٠٦ر٣٣٦
الى حاكم الولاية	للكشوفية القديمة	١٩ر٠٨٩	٧٩ر٢٨٧
	« الجديدة	٦٠ر١٩٨	
	للفايظ وهو حصته	١٧٢ر٦٢٥	
الى الملتزم	للبرانى القديم	١٥٦ر٠٩٦	٤٣٦ر٩١٣(١)
	« الجديد	١٠٨ر١٩٢	
الاجمالى			٦٢٢ر٥٣٦(٢)
مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين			٦٣ر٥٠٨
اجمالى الرسوم التى دفعتها هذه القرية			٦٨٦ر٠٤٤

ويفسر لنا المثال الذى قدمناه للتو ، كما يتطابق مع ماسبق أن قلناه ماسا بتقرير وتوزيع الضريبة . فالتفاصيل المتوفرة هنا حول البرانى القديم والجدبد تؤكد بوضوح آن غرضها المبدئى كان ينحصر فى توفير الاناثات والعادات (العادة) والهدايا التى كانت القرية تقدمها للملتزم : بالاضـ ـى تلك التى كان على الملتزم أن يقدمها لمن هم أعلى منه ولغيرهم ، وحيث انتهى الأمر بهذه العادات ان اصبحت وجوبية وبشكل صارم ، اذ يكفى ، تبعا لتقليد له قوة القانون فى مصر ، ان يجبى مبلغ ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات متتاليات كى يصبح حقا واجب الأداء بشكل مطلق ، فقد اصبحت هذه العادات تدفع فى شكل رسم نقدى ؛ وليس البرانى القديم سوى أول رسم من هذا النوع تم تحصيله، ومع ذلك : فعلى الرغم من أن البرانى القديم كان ينبغى له أن يحل محل كل العادات التى سبقته ، فان ذلك لم يمنع الملتزم من أن يحصل لنفسه على عادات مماثلة (لتلك التى حل البرانى القديم محلها) ، ومع مرور الوقت نبتت هذه العادات الجديدة ثم ابدلت بالمثل برسم جديد عرف بالبرانى الجديد أو المستجد ، واليوم فان كليهما يدخلان ضمن صافى حصيلة الملتزم التى يستغلها كلها لحسابه الخاص .

---

(١) غير مشتمل على دخول الوسايا .

(٢) بجمع هذا المبلغ الأبواب المختلفة للمال الحر والزيادات التى الحقت به ، وبكون مجموع كل الضرائب المعروفة أو الثابتة . انظر الجداول الخاصة بذلك .

وبخلاف البيـــان الذى قدمناه والذى ضم المـــال الحر المبـدئى وكذا الاضافات التى أدخلت عليه ، فقد أنشىء لكل قرية جدول خاص بالمصروفات الطارئة والاعتيـــادية ، وادرج به كل الانفاقات التى تنجم عن زيادة رواتب موظفى مكتب القرية وعن اصـــلاح الجســـور والترع غير السلطانيـــة ، بالاضـــافة الى الأتاوات أو العـــادات التى تقدم للملتزم والبك والمبـــاشر أو لقبيلة ما من العربان ، وان كان هذا الجدول لا يشتمل على المطالب غير الاعتيادية التى يقوم بها هؤلاء من وقت لآخر .

هكذا نرى كيف يمكننا بسهولة أن نقرر أن هذه الأوضـــاع كانت هى منبعا لمطالب استبدادية لا حد لها كانت تزيد على الدوام من حقوق الملتزم على الفلاح ثم من حقوق الحـــكام على الملتزمين . وليس للبرانى القـــديم والبرانى الجـــديد والـــكشوفية القديمة والـــكشوفية الجديدة من اصـــل بخلاف ذلك ، وقد ظلت هذه الضرائب تتزايد فى الأزمنة الحديثة باصطناع وسائل مشابهة حتى اصبحت العـــادات التى يحصلها الملتزم تشكل برانى ثالثا فى نفس الوقت الذى يمكن لنـــا فيه أن نعـــد الضرائب التى كانت تجبيها الحكومة بمثابة كشوفية ثالثة .

أما المطالب غير الاعتيـــادية فـــكان يسهل تحصيلها على الدوام بفعل تواطؤ المشايخ الموكلين بجباية الأموال التى تتقرر جبـــايتها عن غير طريق الصراف ، ومع ذلك فقد كان من مصلحة الملتزم أن يداهن فلاحيـــه ، وهنا يكون بمقدور شيخ محنك أن ينـــأى بهؤلاء الفـــلاحين عن اتخـــاذ مواقف متطرفة قـــد تصبح ضـــارة بمصـــالح الملتزم ، وأن يستدرجهم فى معظم الأحيـــان لان يسددوا ما يطلب منهم حين يبالغ فى سطوة ومكانة الشخص الذى اسس هـــذه المطالب وما له عليهم من حقوق ، وبخاصـــة عنـــدما يوهمهم بأن هـــذه المبالغ ، ما ان سددت هذه المرة ، فلن تتكرر المطالبـــة بها مرة أخرى .

ولقد كانت هـــذه العقليـــة الحاذقة والدساسة تهيىء لهؤلاء الشيوخ الوسائل العديدة لتكوين الثروات ، ففى الوقت الذى كانوا على ثقة تامة فيـــه بأنهم سيحصلون على هـــدية من جانب الشخص الذى يجبـــون له هذه المطالب ، فقد كانوا يحصلون على مكافأة مماثلة من القرية التى كانت تثق فى أن هؤلاء يعملون بحماســـة وغيرة فى ســـبيل مصـــالحها هى ، وهنـــاك اتهام آخر يوجه لهؤلاء يتمثل فى عدم نزاهتهم فى توزيع أعبـــاء

المصروفات التى من هذا النوع وذلك بأن يحصلوا من كل فلاح مبلغا اكبر على نحو طفيف مما كان ينبغى عليه أن يدفعه ، ومع ذلك فقد كان ينبغى عليهم أن يقتسموا عائد لصوصيتهم تلك مع الشاهد والصراف اللذين لم يكن ليفوتهما أن يحيطا الملتزم علما بذلك اللهم الا اذا وجدوا أن من مصلحتهم أن يلزموا الصمت . وفى كل مرة كان يرسل فيها الملتزم أو من ينوب عنه ، ولسبب او لغير سبب ، من يحمل أوامره الى احدى القرى ، فقد كان عليه ان يسدد اتاوة حق الطريق التى كانت توزع وفقا لرتب أفراد (سرية) حق الطريق ، فيحصل القواس على ٢ الى ٣ بوطاقات ، ويحصل السراج على ١٥ الى ٣٠ بوطاقة ، والجندى من ٦٠ الى ١٠٠ بوطاقة أما الكاشف فكان يحصل على ٢٠٠ الى ١٫٠٠٠ بوطاقة . وعندما جلا الفرنسيون عن الصعيد ليبدءوا زحفهم ضد الأتراك والانجليز ، لم يتجاسر مراد بك الذى بسط نفوذه على هذه البلاد التى تم الجلاء عنها على ان يجبى الضرائب الاعتيادية ، ولكنه بدلا من ذلك قد ضاعف من ارسال حاملى الأوامر دون دافع حقيقى (الا الحصول على حق الطريق) ، وفرض من الفين الى ثلاثة آلاف بوطاقة عن أى بريد يرسله .

ويحرر الصراف بالتنسيق مع الشيوخ والشاهد قائمة بالجداول المدونة أو الثابتة . ويبدأ التحصيل فى الشهر الثالث من السنة القبطية ويستصحب كل شيخ من شيوخ القرية الفلاحين التابعين له ، فيسلمهم سجلا مدونة به أسماؤهم ومبينة أمامها الضريبة التى عليهم أن يسددوها .

ولابد أن يتم السداد مثالثة (أى الثلث فالثلث فالثلث) بشكل يتطابق مع دورة المحاصيل . وبعد تحصيل الثلث الثانى يجتمع الصراف والشيوخ والشاهد من جديد لاعداد جدول بالمصروفات الطارئة والمعتادة ، وعندما لا يكون الملتزم مقيما بأرضه ، فانهم يتوجهون الى القاهرة ليضعوا الأمر تحت تصرفه ، وعندئذ يفحص سير وسلوك الشيخ بكل عناية ، ويتم فصل كل المصروفات التى سيدون بالجدول عن تلك التى ستحذف منه اما لأن هنالك اسبابا تدعو لعدم اظهارها واما لأنها لا تتفق مع ما طلب الى الفلاحين سداده ، ونادرا مايوقع الملتزم قائمة الحساب هذه دون أن يحصل منه على خدمة مماثلة ، فاما أن يحصل منه على جزء من الأرباح التى حققتها (الشيخ) ، واما أن يعاقبه جزاء خياناته واختلاساته ، أما اذا اهمل الملتزم هذه الوسيلة الأكيدة لزيادة دخله فانه يتظاهر بأنه انما يضع نصب

عينيه سلوك شيخه ، ذلك أن استلابه لثروة هذا الرجل ليست سوى مسألة وقت ، فلابد أنه سوف يقع ، بعد وقت طال أوقصر ، على الفرصة المواتية كي ينتزع فى يوم واحد ماظل يحصله هذا الشيخ طيلة سنوات طوال .

وعند عودة هؤلاء الى القرية يجمع الصراف الى جانب تحصيله الثلث الثالث من الضريبة جباية المصروفات الطارئة والاعتيادية التى تم للتو اقرارها . وليست القائمة الجديدة التى يسلمها للممول شيئا آخر سوى نسخة جديدة من جدول توزيع الضرائب الثابتة مضافا اليها نصيب هذا الممول من المصروفات الطارئة والاعتيادية . ويدون فى هذه النسخة الجديدة كل اقساط الضرائب التى دفعها الفلاحون ، ولا يقوم هؤلاء الذين تصرفوا بالفعل فى محصولاتهم ، بسداد ما عليهم الا على مضض ومع كثير من المشقة مع استخدام العصى والحبس والأغلال لارغامهم على ذلك .

وبمجرد أن توشك جباية الضرائب على التمام ، يرسل الصراف حصيلتها الى الملتزم او يسلمها الى القائمقام طبقا للتعليمات التى تلقاها . وفى الحالة الأولى ، فانه يعهد الىخدمه هو ،او الى خدم الملتزم بارسالها، لكنه يصر على أن يصحبهم اثنان من شيوخ القرية ، فحيث تعد القرية مسئولة عن احتمال تعرض اللصوص لهذه الأموال أثناء الطريق ، فسوف تكون شهادتهما نافعة للملتزم لاثبات الجريمة ولارغام فلاحيه فى نفس الوقت على أن يدفعوا للمرة الثانية .

وعندما يتبين الصراف أن اجمالى الضرائب قد تم سداده ، فانه يحصل على ضعف ذلك البند من قائمة الضرائب (المقررة على الفلاحين) الذى يبقى « على بياض » بحضور الشيخ والشاهد ، والعادة هى التى ثبتت هذه الطريقة من الجباية التى لايعرف لجشعها حد ، وعندما يحصل الفلاح على المخالصة فانه يبدى فرحة طاغية تبرهن بوضوح الى اى حد تروع هؤلاء الناس تلك المعاملات السيئة التى يتعرضون لها اذا ما تأخروا فى سداد ما عليهم .

ويقوم الصراف كذلك بجباية المصروفات المحلية والادارية التى تؤخذ خصما من المال الحر ، كما يجبى كذلك عادات الكشوفية القديمة والكشوفية الجديدة . وكان يحدث عادة أن يتصرف البكوات والملتزمون

فى دخولهم عن طريق توكيلات يعطونهـــا لدائنيهم ، ويفـــوذ هـــذا الوفاء المستعجل بالنفع على الصراف الـــذى كان يطلب استقطاعات من الدين تتناسب قيمتها مع السرعة التى يحققها فى اتمـــام سداده ، وحيث كانت العـــادة تخول له الحق فى تحصيل ٢ الى ٣ مدينى من كل ممول عنـــدما يسلم اليه قائمة بالضريبـــة المقدرة عليه ، وحيث كان يحصل منه على أتاوة مماثلة فى كل مره يسجل له فيها تنزيلا من الحساب ، وحيث كانت تتضاعف امثال هذه العـــادات أو الأتاوات فقـــد كان كل ذلك يهيىء له تحقيق ارباح طائلة ، وبخلاف ذلك فقد كان يعطى له ضمن انفاقات القرية ثلاثة مدينى (من كل فلاح) عنـــدما يقوم بتسليمه الشطبة أو المخالصـــة النهائيـــة . والى جانب هذا كله كان الصراف يحقق ارباحا من قطع المسكوكات (النقود) التى كانت تسلم له عنـــد السداد ، وذلك بألا يتسلمها الا بسعر أدنى من السعر الذى تتداول به فى القاهرة . ويستغل الصراف حالة البؤس التى يرى عليها الفلاح وانخفـــاض سعر الماشيه فى القرية التى يعمل بها كى يقوم بمضـــاربات فى عمليات شراء من هذا النوع . اذ كان مركزه يهيىء له كل يوم أرصدة ماليـــة كان من السهل عليه ان يستخدمها قروضا تعود عليه بربح كبير ، هكذا كانت لديه وسائل لا حصر لها تصل بدخوله الى مبـــالغ هائلة ، ومع ذلك فحيث أن هذه الحصيلة فى مجملها معروفة لمباشر الملتزم فقد كان يؤول الى هذا الأخير جزء كبير من هذه الدخول ، وكان هذا المباشر بدوره يقتسم حصيلته من ذلك مع المبـــاشر العمومى ، بل وفى بعض الأحيان مع نفس الملتزم الذى هو تابع له .

وكانت الضريبـــة تسدد بالمدينى ، ويشكل كل ٩٠ مدينى قطعة نقد أصبحت قياســـية تسمى بوطاقة ، وفى نفس الوقت ، فحيث كان الملتزم لا يحتسب البوطاقة او الـــ ٩٠ مدينى التى تســـدد له الا بسعر يبلغ ٨٥ مدينى فقط ، فقد نتج عن ذلك أن كانت القـــرية تدفع ٩٠٠٠ر٩ مدينى كى لا تسدد ســـوى ٨٥٠٠ر٨ مدينى ، وفيما عـــدا ولاية الفيوم ، فقـــد كانت* البوطاقة تسلم الى الصراف بسعر ادنى من ٨٥ مدينى ، يتراوح بين ٨٠ و٨٥ ، فى حين كان الصـــيارفة يحاسبون ملتزميهم على الدوام بواقـــع ٨٥ مدينى للبوطاقة الواحدة مختصين انفسهم كذلك بالفروق الناتجة من ذلك ، وهذه البوطاقة ليست شيئا آخر سوى التـــالارى Talaris او عملة الامبراطورية الجرمانية القديمة . وفى أيام الـــكخياوين ابراهيم ورضوان كانت البوطاقة تساوى ٨٥ مدينى ، وبفعل تحوير تم فى سك هذه القطعة

النقدية أمر على بك بأن تبلغ قيمتها ٩٠ مدينى ، وحيث لم يشأ الملتزمون أن يتحملوا نتائج ستؤدى الى نقص السعر الأصلى للمدينى فقد ادخلوا العادة التى انتهينا من بيانها . ومنذ على بك تضاعفت عمليات التحوير هذه (فى سك هذه العملة) حتى أن التالارى الصبح يساوى اليوم من ١٥٥ الى ١٦٠ مدينى ، ومع ذلك فحيثوجد الملتزمون الوسائل التى تعوضهم عن الخسارة الناجمة عن هذا التدهور فى سعر المسكوكات فانهم لم يغيروا فى شىء هذا الأسلوب فى الدفع .

وقبل أن ينهى الصراف عمليات التحصيل يولى اهتمامه ارض الوسية لكى يتسلم ايجارها اذا كانت مستزرعة أو لكى يحصل عوائدها من الوكيل اذا كانت مستغلة لحساب الملتزم . وينهى الصراف عملياته فى القاهرة حيث يقدم للملتزم أو الى مباشره حسابا عن كل مراحل عمله .

لدينا الآن فكرة محددة ودقيقة عن أصل وطبيعة الضرائب التى تجبى عن الأراضى ، لكن الروتين السقيم الذى اقتضى من الباب العالى أن يحجم عن اى تغيير (فى هذا النظام) قد منعه من زيادة ضريبة الكشوفية والفايظ بالنسب التى كان يتطلبها تغير الأزمان وتغير قيمة المسكوكات ، وقد أساء حكام الولايات والملتزمون الافادة من هذا الاهمال حين فرضوا بأنفسهم مالا يدخل فى اختصاصهم ، ولم يعد الأمر يقتضى الا أن نبحث فقط فيما ان كانت العدالة تبرر هذه الدخول الجديدة التى قرروها لأنفسهم . وسوف يساعدنا فى حسم هذه المسألة أن نعقد مقارنة بين الضرائب التى كانت تحصل قديما وتلك التى تحصل حديثا من قرية الأنبوطين :

		مدينى
تدفع القرية تحت بند المال الحر المبدئى		٣٦١ر٥٥٨
وتحت بند البرانى القديم	١٥٦ر٠٩٦	
وتحت بند البرانى الجديد	١٠٨ر١٩٢	
وتحت بند الكشوفية الجديدة	٦٠ر١٩٨	
		٣٢٤ر٤٨٦
وهكذا يدفع ممولو القرية اليوم ضرائب مقدارها		٦٨٦ر٠٤٤
وكانوا يدفعون فى عهد سليم وسليمان		٣٦١ر٥٥٨
وهكذا تزيد قيمة ضرائب اليوم بفرق قدره		٣٢٤ر٤٨٦

ونفحص الآن ما ان كان المبلغ الذى كان يسدد فى السنوات القريبه من فتح مصر على يد سليم يشكل فى الحقيقة قيمــة أعلى من قيمــة تلك المبالغ التى تحصل اليوم .

بلغت قيمة التالارى الذى قدره على بك فى عام ١١٨٥ من الهجرة (١٧٧٢ م) بتسعين مدينى ، ١٥٠ مدنى عند دخول الفرنسيين مصر . ويمكن ان نتخذ هــذا التغير اساسا نقيس بمقتضــاه تلك التغيــيرات او التحويرات التى تنــاولت القيمة الأصلية للمدينى خلال ٢٧ عاما ، بل ان هــذا التغيير يفترض حدوث تحويرات سابقة لن نبالغ مطلقا عندما نقدرها على أساس أن التالارى او البوطاقة لم يكن يساوى فى عهد سليمان أكثر من ستين مدينى . ويبرهن لنــا هذا التقدير على أنه كانت الـــ ٣٦١ر٥٥٨ مدينى التى كانت تدفع خلال عهده تساوى ٩٠٣ر٨٩٥ بالقيمة الحاليــة فان قربة الأنبوطين حين تدفع اليــوم ٦٨٦ر٠٤٤ مدينى هى الضرائب المقــررة عليها طبقا للبيانات التى لدينا ، فانها ــ على هذا الأساس ــ لم تكن لتدفع فى عهده سوى ٢١٧ر٨٥١ مدينى (*) بحساب القيمة الحقيقيــة للضرائب التى قدرها سليمان .

وعندما نقوم بعمليات تقريب مماثلة بالنسبة لكل قرى مصر فاننا نصل الى نتيجة لاتختلف كثيرا عن تلك التى انتهينا من ايرادها .

وهكذا ، فاذا كانت الأعباء التى تقع على كاهل المولين قــد تقلصت الى تلك التى اوردنا بيــانا بها ، فان ماقلناه ماسا بهذه الأعبــاء الأخيرة يبرهن بالتأكيد انها زيادات مشروعة ولا ينقصها لكى تصبح كذلك الا تصديق السلطان ، وعلى ذلك فحيث لم تتضمن هذه القائمة مطلقا المصروفات التى يطلق عليها اسم طارئة او اعتيادية ولا تلك التى لم نجدها حتى مدونة فى القائمة المنفصلة التى تحرر خصيصا لكل قربة اذ كانت تتم جبايتها على يد العسكر ، ولمــا كان طغيان البك وجشــع الملتزم واحتيــاجات الحكومة وانتهابات العربان ، وهذه أمور شبه دائمة ، تصل بهذه الأعبــاء الى مبلغ يماثل حجم ماتصل اليه الضرائب المقررة ، فسيكون من الميسور لنــا أن نتفهم ماسبق أن قلنــاه عن اعتدال الضرائب المدونة وما بينــاه فى نفس

(*) وهو مايعادل ماتدفعه حاليا تبعا للقيمة الحالية للعملة (المترجم)

الوقت عن الحرمان والشقاء اللذين يستنزفان فى الحقيقة مزارع هذه الأرض ، التى تعد أخصب أراضى العالم .

ومع كل ماسبق ، فقد لاحظنا ، وهو أمر بالغ الشذوذ لحد لا سبيل الى تفسيره ، كيف يكون الفلاحون اقل احساسا بالسعادة وحسن الحظ حين يجود الدهر عليهم بملتزم عادل ومنصف اذ يرونه ضعيفا واقل مهابة، وهو مايتناقض مع استجابتهم لتلك الميزة المجانية لكل عقل ، ميزة أن يكون سيدهم رجلا قويا برغم أن الأول كان يعاملهم بنزاهة وانصاف ، وأن الأخير كان يبتزهم دون رحمة .

٤ — عن مصر العليا

فى مصر العليا ، اى فى ولايات قنا واسنا وجرجا واسيوط ومنفلوط والمنية وفى ثلث ولاية بنى سويف تتغير نظم الادارة بفعل أوضاع تتفق مع نظام الملكية القائم فى هذه المناطق .

وهناك تختلف أرض الأثر والوسية كل عام حيث أن الملتزمين والفلاحين يمتلكون الأرض على المشاع .

وبمجرد ان يسمح انحسار المياه ببذر الأرض ، يصل الى القرية المساح القبطى الذى عينه الملتزم ، فيقيس الأراضى القابلة للزراعة فى حضرة الملتزم وقائمقامه وموظفى الموقع . وتصبح الأرض التى تكون من نصيب الفلاحين لهذا العام هى أرض الأثر ، وتخضع لضرائب تساوى تلك التى يجبيها الملتزمون فى مصر السفلى . أما تلك الأراضى التى تخصص للملتزمين فتشكل ارض الوسية. ويدون فى أحد السجلات مساحات وحالات هذه الأراضى وتلك ، كما تحدد طبيعة الضرائب التى ستقدر عليها . ويعود سبب هذا النوع من التقسيم ومن التملك السنوى الى عدم انتظام او استواء الفيضانات ، والى غرابة ماتحدثه ، حين تجعل فى بعض الأحيان أرضا كانت بالغة الجودة قاحلة ، او تجعل أرضا لم تكن تساوى شيئا خصبية معطاء .

ويساعد كل من الشاهد والخولى المساح فى أعماله ، ويراعون أن تكون هذه الأعمال منصفة منتظمة وغير متميزة . وتتفق القلب ومهام بقية

موظفى مكتب القرية بشكل تام مع مثيلاتها فى التنظيم الادارى لوحداتمصر السفلى .

ومهما تكن الاختلافات التى صنعتها العادة فى تسميات الضرائب العقارية التى تجبى فى الصعيد فان كافة فروعها ترتبط اما بالمال الحر واما بالزيادات التى الحقت بها تحت اسماء كشوفية وبرانى ، وهكذا فان الضرائب المقررة هناك ليست سوى التسميات المستخدمة للتعبير عن تطبيق هذه الضرائب على هذا النوع او ذاك من المحصولات ، فيطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الأراضى التى تزرع بالذرة او الاعلاف عندما تروى هذهالأراضى بشكل صناعى اى بواسطة الشادوف، ويطلق على نفس هذه المحاصيل اسم بعلى اذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها ، وفى حالتنا هذه فان الفلاح الذى قد يقوم فى بعض الأحيان بحصدة ثانية يصبح ملزما بدفع الانجر (؟) Ongre أما تلك الأراضى التى تزرع بالقمح والشعير والفول أو بغلال اخرىفتخضع لضريبة البياضى ، وذلك بخلاف ضريبة الشتوى التى يتم سدادها بمجرد أن تبدأ البذور فى الانبات .

ويدفع الفلاحون نقدا ضرائب النبارى والبعلى والانجر والشتوى ، لكنهم يسددون ضرائب البياضى عينا فى شكل حبوب . وفى هذه الأيام ، تقدر الغلال اللازمة لسداد هذه الضريبة بـ ٤/٥ اجمالى الضرائب المقررة ، وهو الأمر الذى يبرهن على ان منتجات هذا الأقليم تتكون بصفة اساسية من الحبوب .

وفى حين تشكل المبالغ المحصلة عن الأراضى التى بذرت بالذرة والأعلاف ومحاصيل الشتوى المال الحر النقدى فان حصيلة البياضى تشكل المال الحر العينى (١) . أما الغلال التى تسدد بها هذه الضريبة الأخيرة

---

(١) يتراوح المال الحر المقدر على فدان واحد من أية درجة مزروع بالذرة او الأعلاف من ١٠٠ الى ٢٥٠ مدينى بالنسبة لزراعات النبارى والبعلى والأنجر ، أما المال الحر المقدر على فدان من أى نوع بالمثل (اى دون تفرقة بين درجات جودة الأرض) تم بذره بالحبوب فيتراوح بين ٢٠ الى ٤٠ مدينى عن الشتوى ومن ٢ الى ٤ ارادب من القمح بمكيال القاهرة عن البياضى .

فتتحول دوما الى أرادب من الشـــعير بنسب متفق عليها لتثبيت القيمـــة المقارنة للشعير وللحبوب الأخرى : فأردب من القمح يعادل اردبا ونصـــف الأردب من الشعير ، واردب وربع الأردب من الشعير يعادل اردبا واحدا من الفول أو العدس أو البسلة وهكذا .

وقد سبق لنـــا القول ان الميرى والـــكشوفية لم يكونا يختلفان قط فى مصر السفلى ، وهو نفس مايحدث فى الصعيد حيث تحصـــل هـــذه الضرائب كما رأينـــا للتو ، نقدا وعينا ، وفوق ذلك فان الملتزمين هنـــاك ملزمون بتحصيلها بنفس القيم التى حددتها اللوائح وبالطريقـــة التى يسدد بها الفلاحون المـــال الحر لهم : وهكذا فعلى الرغم من أن نوع زراعـــة الأرض يحدد فى مصر العليا طبيعة الضريبة التى يحمل بها هؤلاءالفلاحون، فقد كان الأمر لايختلف بالنسبة للسلطـــان ولحكام الولايات ســـواء زرعت الأرض بالذرة والأعلاف أو زرعت بالقمح والفول والشعير الخ .

ويطلق على القبطى الجابى للضرائب فى الصعيد ، وهو الذى يسمى بالصراف فى مصر السفلى ، اسم العامل ، وهنا كذلك يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد فى قرى مصر الدنيا، فيستخدم اساسا لتوزيع الضريبة اما النسبة التى يجب سدادها نقدا فلابد ان تسدد قبل حصد المحاصيل ، و اما تلك التى تحصل عينا فتتم جبايتها بمجرد أن يتم الحصاد .

وينبغى أن تنقل الغلال الى مخزن يقع على شواطىء النيل مهما يكن موقع أملاك المولين ، ومن المسموح ان تكون الحبوب مخلوطـــة بمقـــدار السدس بالأجسام الغريبة أو الطين او القش أو بأية مواد أخرى ، فاذا تجاوزت هذه الأشياء عديمة القيمة نسبة السدس هذه فان الفلاحين ملزمون بتعويض ملتزميهم .

وتشتمل أملاك الملتزمين فى صـــعيد مصر على عـــدة نجوع ماهولة تشكل فى مجموعها وحدة ادارية واحدة تصل أهميتها الى حد أن الاقطاعيين (الملتزمين) الذين لا يقيمون بأراضيهم يضطرون لأن يعهدوا بها الى كاشف يتبعه عدد من القـــائمقامات يقيمون بالـــكفور أو النجوع التـــابعة للقرية الأساسية . وعندما يجد العامل (الصراف) نفســـه فى حالة لاتمكنه من الوفاء بمتطلبات العمل الموكل اليه فانه يعهد بجزء من مهامه الى مرءوسين له يسمون قوباض Qoubâd يحصل هو منهم على جبـــاياتهم وينظم لهم حساباتهم بحيث تندرج حركتهم ضمن حركته .

ولم يكن فلاحو مصر العليـا على الاطلاق قيانا (.   قين) للارض مثل حال فلاحى مصر السفلى ، فلم يكن الملتزم ليسـتطيع ان يرغمهم على البقـاء وعلى العمل فى ارضـه ، حيث لم يكن هؤلاء ليقبلوا فلاحة الارض ــ وبالتالى نصبحون ممولين للضرائب ــ الا بموجب عقد اختيـارى يقتصر على بذر وحصد زراعات عام واحد .

وقبل سيطره على بك كان شيخ العرب همام يحكم ولايات الصـعيد باسم باشا القـاهرة ، ولم تكن القوات العثمانية لتتوغل فى هـذه البلاد مطلقا ، بل كان من النـادر ان يظهـر الاتراك فى القـرى التى كانوا هم ملتزمين لها . وكانت هذه الاحتياطات تهدف الى اقامة حكومة تقى بلاده من مظالم الأجنبي وذلك بقيـامه بتحصيل الميرى المستحق للباب العـالى بكل دقة ويحرصة على الا يتسبب مشايخ البـلاد فى حدوث مايمكن أن يكون موضوع شكوى سادتهم (الملتزمين) ، لـكن القضـاء على هذا الحـاكم العـادل قـد اسلم الصعيد الى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى : ومع ذلك فان الضرائب والابتزازات هناك لم تتزايد بنفس معـدلها (فى مصر السفلى) أما بسبب المداراة والمراعاة اللتين لابد من الحرص على توفيرهما مع فلاحين قادرين على دمار سـيدهم وذلك بهجـرهم أرضـه ، واما ، وهو أكثر الأسباب احتمالا ، لأن التـدهور والخفض المسـتمر فى قيمـة المسكوكات النقدية لم تكن تبرر مطلقا زيادة هـذه الضرائب هنـاك حيث تظل الضرائب العينية على الدوام نفس قيمتها . وقـد كان فـلاحو مصر العليـا يعفون من رسوم : رفع المظالم ، وفردة التحرير وكذلك من معظم العادات الداخلة ضمن مايطلق عليه اسم البرانى الجديد .

وكانت الحرية التى يتمتعون بها ، ووقت الفـراغ الذى تتيحـه لهم زراعة أقل مشقة تتوقف أعمالها طيلة ستة اشهر ابتـداء من الحصاد حتى فيض الميـاه ، كان كل ذلك يسمح لهم بالانخراط فى العـديد من ضروب الصـناعة : فهم يصنعون الأقمشة والفخاريات والحبـال والحصر .. الخ كما أنهم يمدون القـاهرة بالـكثير من العمال والخـدم وبخاصـة بوابو الوكالات الموجودة بهذه العـاصمة ، ويتوجه هؤلاء عادة الى قراهم خلال فصل الحصاد ثم يعودون الى القاهرة بعد انتهاء مشاركتهم فى الأعمـال المطلوبة .

ويدين شيوخ الصعيد لبعدهم عن مقر الحكومة وللنفوذ الذى اكتسبوه

تحت ادارة الشيخ همـــام بالاختصـــاصات (التى فى حوزتهم) وهى أبعد مدى عن تلك التى فى حوزة اخوتهم المستقرين فى مصر السفلى ، كما أن الملتزمين هنـــاك متساهلون غير مدققين فى التمسك بامتيازاتهم ، كما أنهم يعفون الشيوخ من سداد الزيادات التى طرأت على المال الحر ويمنحونهم امتيازات اخرى اذ كان من المهم بالنسبة لهم ان يربطوا الى مصالحهم رجالا ذوى ارادة ولهم سطوة على فلاحيهم .

وسوف يوضح لنـــا الجدول الذى نورده فيما يلى حرفيـــا الضرائب النقدية والعينية التى تدفعها طهطا التابعة لولاية أسيوط خلال عام ١٢١٣ من الهجرة ، العام السابع من قيـــام جمهوريتنا (١٧٩٨) ، وسوف ينطبق مع كل ما انتهينا من قوله ماسا بأسلوب الادارة ووسائل جبـــاية الضرائب المقررة فى الصعيد .

بيان بالضرائب المقررة على اراضى طهطا

بولاية سيوط عن عام ١٢١٣ من الهجـــرة

طهطا : قرية رئيسة

المـــدمر ـ العتـــامنة ـ الـــواقات ـ كوم العـــرب ـ الهلة ـ الساحل ـ القبيصات ـ الحومدية (*) ـ الطليمات ـ نزة ـ فزارة ـ جهينـــة ـ القرنة ـ الخضر ـ عنيبس ـ أولاد اسماعيل ـ الحرافشة ـ بنى عمار ـ كوم اشقاو . } **نجـــوع أو قـــرى أخرى تابعة لها .**

مساحة الأراضى المحملة بالضرائب مع بيـــان توزيعها :

ق	ف	النبـــارى	مدينى	مدينى
١٩	٦	زرعت لأول مرة بمحصول النيلة		
		بواقع الفدان ٣٦٢ مدينى	٢٫٤٥٩	
٩	٤	زرعت لثانى مرة بمحصول النيلة		

(*) هكذا فى النص الفرنسى el Houmdyeh وان كان الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يوردها فى كتابه الريف المصرى فى القرن الثامن عشر وكذلك الاستاذ محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى باسم الحريدية والتشابه بين الاســـمين ممكن فى الـــكتابة بخط القـــرمة الذى كان متبعـــا فى ذلك الوقت (المترجم) .

ق	ف		مدينى	مدينى
		بواقع الفـــدان ١٨١ مدينى . . ٧٩٢		
١	١٫٨٢١	زرعت بالذرة والأعـــلاف بواقـــع الفـــدان ١١٠ مدينى	٢١١٫٣١٥	
١٢	٢١٤	زرعت بالذرة والأعـــلاف بواقـــع الفـــدان ١١٠ مدينى	١٢٫٥٩٥	
١٧(١)	٢٫٠٤٦			٢٢٧٫١٦١

الشتوى

ق	ف		
١٦	٩٤٢	المـــدمر	
١٨	٣٧١	العتـــامنة	
١٨	٦٢	الواقات	
٠٨	١٫٧٣٢	الهلة والساحل	
١٢	٣٫١٠٩	بواقع الفدان ٢٢١/٤ مدينى	٦٨٫٧٩٨
١٤	٣٤٦	طهطـــا	
٠٠	١٥٠	القبيصـــات	
٠٠	١٢٠	الحومدية	
٠٠	٥٠٠	الطليحـــات	
٠٠	٤٢٠	نـــزة	
٠٠	٢٥٠	فـــزارة	
٠٠	١٫٤٠٠	جهينـــة	
٠٠	١١٠	القرنـــة	
٠٠	١٢٠	الخضر	
٠٠	٥٧٠	عنيبس	
٠٠	٢٥٠	أولاد اسماعيل	
٠٠	١٢٠	الحرافشـــة	
٠٠	١٣٥	بنى عمـــار	
١٤	٤٫٤٩١	بواقع ٢٢١/٤ م/ف (٩٩٫٩٣٨)	
٠٢	٧٫٦٠١		١٦٨٫٧٣٦
١٩	٩٫٦٤٧	تدفع الضرائب نقـــدا .	
	١٢٥	فدانا تابعة لكوم العرب وقد خربت عن آخرها .	
٠٨	٥	خصومات سابقة .	
٠٨	١٣٠		
٠٣	٩٫٧٧٨		

الاجمالى المـــكون للمال الحر المبدئى ٨٩٧٫٣٩٥(٢)

(١) مقـــام هذه الـــكسور هو ٢٤ (ومعروف أن الفـــدان يساوى ٢٤ قيراطـــا) .

(٢) لايغيب عن بالنا أن هذا الاجمالى يختلف من عام لآخر تبعا لنوع المحاصيل التى تبذر بها الأرض .

يخصـــم من ذلك :

انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين :

خصومات لمشايخ القرى عن الأراضى التى يزرعونها بالمحصولات
النبارى ومساحتها ٨ق ٥٤ف بواقع ١١٠م/ف ٥ر٩٧٧

خصومات للمذكورين عن الأراضى التى يزرعونها بالحبوب :
٢ق ٧٩٩ف بواقع ٨/٢٢١م/ف ١٧ر٦٨٠
٦٠ق ٦٤٢ف بواقع ٤/٢٢١م/ف ١٤ر٢٩٠
٣١ر٩٧٠

للنجارين الذين يقومون باصلاح أدوات الرى	٤٤٠
لجامع أبو دومه فى طهطا لشراء الزيت والحصر	٠ر١١٠
للمشايخ : محمد	٠ر٢٢٠
عبد الله	٠ر١١٠
سليمان النصيرى	٠ر٨٠٧
عمر	٠ر٥٠٠
موسى عبد الـــكريم	٠ر٢٢٠
عبد الرحمن العربى	٠ر٣٩٧
عادة لشيوخ من الصوامعة	٦ر٠٠٠
عادة لشيوخ من الهلة	١ر٥٠٠
عادة لشيوخ من المــدمر	١ر٧٠٠
للشيخ ابراهيم العـــاجز	٨٥
لحراس المرفا الذى ترسو عنده المراكب	٠ر٣٠٠
للشيخ بكرى الزواقى	١ر٠٠٠
الى أبناء وهيلة (*)	٠ر٨٠٠
	٥٢ر١٣٦
البـــــاقى	**٣٤٣ر٧٦١**

ويوزع هذا الباقى بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :
— الى السلطان : ضريبة الميرى، وكان المطلوب هو
٥١٤ر٤٣٩ مدينى ولكن لايخصص من ذلك هنا الا ٠٩٧ر٢١٢
فحيث ان حصيلة المال الحر لم تتجاوز ٣٤٣ر٧٦١
فانه لا يتبقى ما يزيـــد عن تلك بعــد ســداد
الكشوفية التى سيأتى بيانها . وفى حالتنا هـــذه

(*) أو الوهلة أو الوهيلة ونعتذر لصعوبة التحقيق . **(المترجم) .**

لايوجد اى فايض ويضطر الملتزم لأن يستقطع من حصيلة البرانى مايكفى لسداد الميرى المقرر (انظر بعده) .

— الى حاكم الولاية عن ضريبة الكشوفية :

• مصاريف الولاية	٨٦ر٧٨٨	
• حق الطريق	٦ر٠٠٠	١٣١ر٦٦٤
• الكلفة	٣٨ر٨٧٦	
المبلغ الاجمالى		٣٤٣ر٧٦١

مضاف قديم او برانى قديم

مال المغارم المسمى مال شتوى ومال صيفى :

الجهة الشمالية	٦٧ر٠٨٦	١٩٢ر٧٤٧
الجهة الجنوبيـة	١٢٥ر٦٦١	
مال المراعى		١٣ر٣١٦
مال الجروف		١ر٩٦٦
حملة الكوبيات (الصرافين)		١٠ر٤١٢
غرامة العشر (ضريبة للاحسان)		٣ر٧٠٠
عادات قديمة مستحقة على قرية المدمر		٥ر٤٠٥
غرامة العشر على الخرفان		١ر١٠٠
خرفان الموسم		٠ر٢١٠
عادات (او عوائد) على المقاييس		٠ر٥٤٣
عادات على السوق المقام كل سبت فى الهلة (*)		٢ر٥٠٠
عادات متنوعة		٠ر٢٤٠
من قرية نزة		٤ر٤٠٠
من ابراهيم الضبيبة		٠ر٤٠٠
كلفة الملتزم (وهى عادة عينية تحولت الى نقدية)		٢٠ر٤٧٨
عادة حوالة الحوالات		١٠٠ر٠٠٠
ثمن نقدى لعجول قررتها العادة		٢٠ر٤٤٠
القيمة النقدية للضرائب المستحقة على كوم العرب نظرا لخرابها **		٤٢ر٥٠٠
عادات على سوق طهطا		٨٥ر٠٠٠
الاجمـــالى		٥٠٥ر٣٥٧

(*) نجد فى القاموس الجغرافى قرية باسم المحلة ولعلها هى نفس القرية لكن الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يورد من يسمون عربان هلة لذلك آثرت ترك الاسم على النحو الذى ورد به . (المترجم) .

(**) اى ان هذه الضرائب توزع على بقية القرى بسبب خراب هذه القرية (المترجم) .

ويخصم من ذلك ما خفض عن او دفع الى متفرقين :

حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لالتزام طهطا	١ر٥٦٠
حصة كوم العرب التى خربت	٠ر٩٠٥
حصة كوم اشقاو عن حوالة الحوالات	٦ر٢٥٠
حصة كوم العرب التى خربت	٢ر٨٠٣
حصة كوم اشقاو عن اجمالى ثمن العجول	١ر٢٧٧
حصة كوم العرب	٤٢٥
مخصصات للعربان	٧٣ر٣٧٥
عادات لمتفرقين من عادة حوالة الحوالات	١٠ر٨٥٠
تنزيل قـــديم	٢٩ر٨٥١
؛ ادة قائمقام طهطا	٤٤ر٤٣٤
اجمـــالى الخصـــومات	١٧٣ر٧٣٠
وبذلك يكون صافى حصيلة المضاف القديم هو (*)	٣٣١ر٦٢٧
وبذلك يكون صافى اجمالى الضرائب المقررة هو :	٦٧٥ر٣٨٨

مضاف مستجد ، او برانى جديد

عادات السردارية عن زراعات النبـــارى بواقع ١٠م/فدان	١٩ر٨٩٧
على مختلف القرى :	٣٨٢ر٤٧٤
هدايا للملتزم من زبد وخلافه	٣٠٣ر٠٦٥
مبالغ فرضت على هذه القرى كضريبة فردة	٢٩٦ر٠٠٠
اجمالى المضاف المستجد	١ر٠٠١ر٤٣٦

ويخصم من ذلك مادفع لمستحقين :

هدايا معتادة لمتفرقين	٢٦٩ر٨٤٧	
كسوة (هدية من الملابس لـــكبار الشيوخ عندما يجلبون العـــادات (للملتزم)	١٠٠ر٠٠٠	
كسوة لصغار المشايخ (شرحه)	٣٢ر٦٦٧	
اجمـــالى الخصـــومات		٤٠٢ر٥١٤
اجمالى صافى المضاف المستجد		٥٩٨ر٩٢٢
وبذلك يبلغ اجمالى الضرائب المقررة على هذه القرية		١ر٢٧٤ر٣١٠

(*) اضطررت لادخال تعديلات طفيفة فى تنسيق هذه الجداول زيادة فى الايضـــاح (المترجم) .

ويتم التوزيع الجديد لهذا المبلغ على النحو الآتى :

الى السلطان : ضريبــــة الميرى	٥١٤ر٤٣٩
الى حاكم الولاية : ضريبة الـكشوفية	٦٦٤ر١٣١
الى الملتزم { البرانى القـديم ٦٢٧ر٣٣١ / البرانى الجديد ٩٢٢ر٥٩٨	
٥٤٩ر٩٣٠	

ويخصم من هـذه الحصـيلة مادفعه الملتزم من ماله لاستكمال الميرى ويبلغ	٤١٧ر٢٢٧
فيكون صـافى حصـيلة الملتزم	١٣٢ر٧٠٣
فنحصل على نفس المبلغ المطابق	٣١٠ر٢٧٤ر١

انفـاقات محليـة وخلافها تدفع لمستحقين :

خصما من حصيلة المال الحر	١٣٦ر٥٢	
خصما من البرانى القديم	٧٣٠ر١٧٣	
خصما من البرانى الجديد	٥١٤ر٤٠٢	
ويبلغ اجمالى هذه الانفاقات		٣٨٠ر٦٢٨(١)
وبذلك يبلغ اجمالى عام الضرائب النقـدية التى تسـددها هذه القرية		٦٩٠ر٩٠٢ر١

جدول بالضرائب العينيــة (المسددة فى شكل حبوب)

والمقررة على نفس هذه القرية

ق ف

٢ ٦٠١ر٧ تخضع لضريبة الشتوى وتدخل هذه ضمن حساب الضرائب النقدية ، لـكنها تسدد عادة ضريبة البياضى

ويخصم من هذه المساحة :

ق ف

٢٢ ١١٨ { ٠٠ ٧٠ يزرعها الملتزم لماشيته وخيوله
٢٢ ٤٨ احترقت محاصيلها خلال عملية عسكرية دارت بين المماليك والفرنسيين

٤ ٤٨٢ر٧ باقى المساحة وتسدد الضريبة بواقـع ٤/٢١ أردب من القمح لكل فدان ٢١(*) ٨٣٤ر١٦ اردبا من القمح

---

(١) ونرى من ذلك أن الانفاقات تبلغ ٤٩ ، جملة الضرائب التى تسددها هذه القرية .

(*) سبق ان أوضح المؤلف أن مقام الكسور هو على الدوام ٢٤ .

زيادات فى المال الحر

ق ف

٦ ٢٤٨ } ٦ ٢٩٨ رزقة هى برك المدمر والهلة
٥٠ نقص قـديم
وهذه المساحة تسدد الضريبة بواقع
٢ أردب قمح / فدان ١٢ ٤٩٦
٧٦ رزقـة بركة الأسـدارية بواقـع أردب
و١٦ / فدان ١٦ ١٢٦ }
نقص قـديم ٧٦ } ١٦ ٥٠

ضرائب على أراضى العمار والغرق
فى المدمر والواقات ١٢ ٤٤٥
نقص قـديم ٣ ١٢ ٤٤٢
عن رزقة خميس فى الهلة ٨ ١١٣
٨ ٣٣ أراض غائبة (لم يتيسر تحديدها) فى الهلة
بواقع ٢ أردب / ف ١٦ ٦٦
٠٠ ٧٩ رزقة القلايح فى جهينـة بواقع الفـدان
١٦ ١ أردب ١٦ ١٣١
اجمالى الزيادات ٨ ١ر٣٠١
اجمالى المال الحر بالأرادب بمكيال البلد ٥ ١٨ر١٣٦
فـرق مكيـال باحتسـاب زيادة قدرهـا ٨٠٪
كى يتم التقدير تبعا لمكيال القاهرة ٢١ ١٤ر٥٠٨

اجمـالى عام للمـال الحر المسـدد بالحبوب طبقـا لمكيال
القـاهرة (قمحـا) ٢ ٣٢ر٦٤٥

ويخصم من ذلك انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين
تخفيضات لصـالح الشيوخ كعادات لهم

ق ف

بمكيال البلاد بمكيال القاهرة

٢ ٧٩٩ } ٨ق ٤٤١ر ٤٤١ف زرعت بمعـرفتهم
٦ ٦٤٢ } بواقـع ٢/٢١ أردب لـكل فـدان ٣ر٢٤٣

للشيوخ فى قرى مختلفة	١٣ ٢ر٢١٩	٤ ٥٥
للشيخ عثمان		١٢ ٧
« عمر طـه		٠٠ ١٠
« محمد النصيرى		٠٠ ١٠
« أحمد أبو السعود		٠٠ ٢٠
« أبو زيد النحاس		٠٠ ١٥

« تابع »

الشيخ احمــد عمر	١٠
« عبد الفتاح الحاجرى	٥٠
« مسعود	٣٠ ٠٠
« محمد الجابى	٧ ١١
« غـــانم	١٠ ٠٠
« محمــد	٢٠ ٠٠
« الفقـــير	٣٠ ٠٠

عادات مخصصة منذ زمن قديم للاشراف
والعلماء ٢١١/٢ ٨٠٧
عادات الطمسين (العمال المشرفين على
الجسور) ٠٠ ٢١
لحراس الجسور ٠٠ ٢١
ايجارات مخازن الحبوب ١٠٥
عادات قائمقــام طهطــا ٣ ٨٤
للقائم بتسلم الحبوب فى المخـــازن ٢ ٤٣
١٥١/٢ ٦ر٤٨٨
وتزيد هذه عند تحويلها الى مكيال } ٩١/٢ ٦٧٩ ر١١
القاهرة بواقع زيادة قدرها ٨٠٪ ١٨ ٥ر١٩٠
اجمــالى الخصـــومات ١٢١/٢ ١٢ر٠٢٠
اردب قمح
وبذلك يكون صافى حصيلة المال الحر ١٣١/٢ ٢٠ر٦٢٤
أردب قمح
وباتخاذ الشعير اساسا للتعامل فان هذه الكمية بمكيال القاهره
تعادل باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ اردبا من الشعير ٢٠١/٤ ٣٠ر٩٣٦
وهذه توزع بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :
الى السلطان : ضريبة الميرى ٨ر٠٧٣
الى حاكم الولاية : كمصروفات للولاية وعليق ١٣. ٤ر٥٢٠
زيادة فى المــكيال بواقع ٤١/٦ لـــ ٨١/٢ ١٨٨
كلفة اثنـــاء جولاته :
لطعـــامه (بالقمح) ٦٠
للبرغل ٨
للعـــدس ٨
لطعـــام الخيول ١٠٠
اجمـــالى الــكلفة ١٧٦
الفرق عند تحويله الى شعير ٣٤
وبذلك يكون الاجمالى فقط بالشعير ٢١٠
وهكذا يكون اجمالى مايخص حاكم الولاية ٢١٣/٤ ٤ر٩١٨
الى الملتزم وهو الفايض الخاص به ٢٢١/٢ ١٧ر٩٤٤
وهى نفس الــكمية المطابقـــة ٢٠١/٤ ٣٠ر٩٣٦
اردبا من الشعير بمكيال القاهرة

براني يحصل لصالح الـكاشف ويرسله اليه الملتزم
مقابل حكم القرية وتوابعها :

جراية السردارية : عادات لطعام السردار ولطعام خيوله خلال
مدة اقامة تبلغ ٢٧ ليـلة
تخصم منها حصـة كوم اشـقاو التى لم تعـد تابعـة لهذه
القرية وتبلغ ١٣/٤ ليلة

فيكون الباقى بعد ذلك ٢٥١/٤ليلة توزع كما يلى :

٧ ليالى فى الهلة)
٥١/٤ ليالى فى طهطا) ٢٥١/٤ ليلة بواقع الليلة ١٩١/٤ أردبا = ٢ ٤٨٦
١٣ ليلة فى جهينة)
عادات على قرى مختلفة ٧٥٠
عادات على كيالى الحبوب ٣٠
عادات على الرزق الآتيـة :

ف ف
رزقة العلقية ومساحتها ١٨٤) ٢٣٤ بواقع الفـدان
رزقة الربوة ومساحتها ٥٠) ١١/٢ اردب ٣٥١

	٢	١ر٦١٧
الزيادة مقابل الفرق بين المكيال ومكيال القاهرة	١٤	١ر٢٩٣
اجمالى برانى الـكاشف	١٦	٢ر٩١٠

وباتخاذ الشعير اساسا للتعامل فان هذه الكمية تعـادل
باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ أردبا من الشعير ٤ر٣٦٦

يخصم منها مادفع لمستحقين :

حصة كوم العرب ، وهى قرية خـربة خصـما من غذاء
الكاشف وخيوله (بالقمح) ١٠ ١١ بمكيال البلاد
مخصصات لحساب المشايخ وتسمى هبة المشـايخ وتؤخـذ

خصما من حصته	٨	٧١١
هبـات لمتفرقين فى قرية عنيبس	٠٠	٨١
الاجمـالى	١٨	٨٠٣

يضـاف اليها الفـرق بين مكيال البـلاد
ومكيال القاهرة بواقع ٨٠٪ ٢٢ ٦٤٢

الاجمالى بمكيال القـاهرة ١٦ ١ر٤٤٦
وباعتبـار ان أردب القمح يساوى ١١/٢ أردبا من الشـعير
فان هذه الـكمية تساوى بأرادب الشعير ٢ر١٧٠

وبذلك يكون اجمـالى الضرائب العينيـة التى تسددها
هذه القرية ٢٠١/٤ ٣٣ر١٣٢
أردبا من الشعير

ويتم التوزيع الجديد لهذه الـكمية على النحو التالى :

الى السلطان : ضريبـــة الميرى مقدرة بارادب الشعير مكيال القـــاهرة		٨ر٠٧٣
الى حاكم الولاية : ضريبـــة الـكشوفية	٢١١/٢	٤ر٩١٨
الى الملتزم : الفايظ (او الفايض)	٢٢٣/٤	١٧ر٩٤٤
الى الكاشف : البرانى الخاص به مقابل حكم القرية		٢ر١٩٦
وهى نفس الـكمية المطابقـــة	٢٠١/٤	٣٣ر١٣٢

مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين :

على نفقة المال الحر ، قمح ١٢١/٢ ٢٠ر١٢ أردبا

(عليق) وتساوى (بالشعير)	١٩٣/٤	١٨ر٠٣٠	١٩٣/٤	٢٠ر٢٠٠(١)
على نفقـــة البرانى		٢ر١٧٠		
اجمـــالى كميـــة الحبوب التى دفعتها هـــذه القـــرية بأرادب الشعير			١٦	٥٣ر٣٣٣

	مقـــدرا بارادب الشعير مكيـــال القاهرة
يبلغ الميرى من الغلال المحصلة من مصر العليا	٣٦٥ر٠٧٣
وبسبب نقص المعلومات الكافية فنحن لانستطيع أن نبين هنا على وجه الدقة حصيلة الفروع الأخرى من الضريبة ، فاذا ماقدرناها طبقا للنسبة القائمة بين الميرى النقدى الذى يبلغ ١٢ر١٥٨ر٤٦٧ مدينى والميرى من الغـــلال فسوف نقـــدر :	
الـــكشوفية القديمة والجديدة والتى تبلغ حصيلتهما النقدية ٩ر٢٧٠ر٦٠٢ مدينى بـــ	٢٧٨ر٣٦١
الفايظ والبرانى القـــديم والجديد والتى تبلغ حصيلتها نقدا ٣٩ر٥٣٩ر١٨٥ مدينى بـــ	١ر١٨٧ر٢١٣
وبذلك يصل الاجمالى ، غير شامل للانفاقات المحليـــة التى تخصم مباشرة من حصيلة القرى لتنفق مبـــاشرة فى الأغراض المخصصة لها ، الى	١ر٨٣٠ر٦٤٧

---

(١) تعد هذه القرية واحدة من القرى التى تبلغ المصروفات المحليـــة بها حد الاسراف ، اذ نلاحظ كيف أنها تبلغ ٦١٪ (من الحصيلة) .

وتعادل هذه الـكمية اذا ما حولناها الى حنطة ، طبقا لمكيال القاهرة ٤٣١ر٢٢٠ر١ اردبا ، تساوى اذا قدرنا سعر الأردب بـ ١٠ جنيهات أو ٢٨٠ مدينى ، وهو متوسط سعر أردب القمح فى هذه الأيام ٣١٠ر٢٠٤ر١٢ جنيها توريا (*) أو ٦٨٠ر٧٢٠ر٣٤١ مدينى ، ,وهو ما يعادل بالفرنكات ٦٣٩ر٠٥٣ر١٢ فرنكا و٥٠ سنتيما .

وبمقابلة هذا المبلغ بالضرائب التى تحصل نقدا فى هذه المنطقة التى لايدخل فيها الا ١/٢ ولاية بنىسويف و ١/٤ ولايةاطفيح ، ذلك أنثلثى الولاية الأولى وكذلك ثلاثة أرباع الولاية الثانية تتبع مصر السفلى ، نتبين أن قيمة الضرائب العينية تزيد على حصيلة الضرائب النقـدية بنحو خمسة أمثـال مما قد يؤكد أن قائمتنا لم تبتعد عن الحقيقة حيث أننا نستخدم هذه النسبة عادة عند حساب الضريبة العينية التى تسددها مصر العليا ، بالمقارنة بما تدفعه من ضريبة نقدية .

ويوضح لنـا الجدول الذى سنعرضه فيما يلى استـخدامات الميرى المحصل عينا . أما استخدام حصيلة الـكشوفية ، والذى لم نستطع أن نورد قائمة به هنـا ، بسبب عدم كفـاية معلوماتنـا فانه يتم فى نفس الأغراض التى تخصص لها الانفاقات النقدية ، التى تقع على عاتق البكوات او الـكشاف حكام الولايات ، وهـو ماسنتناوله بعـد ذلك فى بقيـة هـذه الدراسة .

(*) تورى Tournois صفة لنقد فرنسى قديم كان يضرب فى مدينة تور على الطراز الملكى (المترجم) .

جدول باستخدامات الميرى المحصل فى شكل حبوب

البيان	شريحة = ١٢ أردبا من القمح و ١٨ أردبا من الشعير	شريحة من الشعير = ١٥ أردبا	المجموع بأرادب الشعير
الى البـــاشا	٢٣١	٦٥١	١٣,٩٢٣
الى الأوجاقات			
الى خمس من هذه الفرق العسكرية	١٢/٢٤ ٥٣	١/٢٤٠ ٧١	١/٢٤ ٢,٠٣٦
الى نفس هــذه الفــرق نظــير الذهاب لاستقبال المحمل	١٠	١٧	٤٣٥
الى كيخيات (كيخيا) هذه الفرق الخمس	٩	١٦ ٢١	١٨ ٤٨٠
الى اوجاقات تفكجيـــان ، جمولیـــان ، شراكسة	— —	٨ ٢,٠١٧	٣٠,٢٦٠
الى الـــ ٧٤ شوربجى بالأوجاقات	٧٤	٧٤	٢,٤٤٢
الى حاميات القلاع (أو الطوابى)	١٢ ٣٣٥	٣١٩	١٠,٨٢٤
الى حراس القـــلاع على طريق القـــاهرة ـــ مكة	٥٨	٣١٩	١,٠٤٤
الى البكوات :			
الى أمير الحج للتزود بالمؤن اثناء الطريق	٦ ٣٢٤	٢٠ ٤٧٣	١٢,٩٤٤
إلى دفتر دار البك	٤١	١٠ ٣٣	٦ ١٢٣٩
إلى فرق البكوات	٣٨٠	٦٠٨	١٥٩٦٠
الى البكوات القباطنـــة الثـــلاثة للسويس والاسكندرية ودمياط والى قائد رشيد	١٢٩	٦٠٨	٢,٣٢٢
الى قائد السويس	٢٠	٣٢	٨٤٠
الى قاضى القـــاهرة	١٦ ٢٠	١٦	٦١٢
الى افندية الديوان	٦٦	١٨ ١٠٥	٦ ٢,٧٧٤
الى خدم الديوان	٢٩	١٨ ١٠٥	٥٢٢
الى كتبة سجلات الغلال	١٣	١٨ ١٠٥	٢٣٤
الى صناع البارود اللازم للحكومة	٩	٣٠	٦١٢
لطعام الثيران المستخدمة فىمجرى العيون بمصر العتيقة	—	١٢ ٣٠٩	١٢ ٤,٦٤٢
الى المؤسسات الخيرية الآتى بيانها :			
الى المسجد الكبير المسمى بالجامع الأزهر			
الى العميان ومرضى المارستان			
الى المغاربة وطـــلاب آخرين يدرســـون بجامعة الأزهر			٤ ١٥٤,٣٣٩
الى موظفى وخـــدم الجـــامع المسمى الامام الشافعى			
الى الأوقاف الاسلامية بمصر			
عادات لعائلتى البكرى والسادات وغيرهما			

	شريحة = ١٢ اردبا من القمح أو ١٨ أردبا من الشعير		شريحة من الشعير = ١٥ اردبا		المجموع بأرادب الشعير	
اوقاف متفرقة لصالح مشايخ القاهرة		—	١٢	١٠	١٢	١٥٧
وقف ابراهيم باشا لصالح جامع أثر النبى	١٢	٢٥	٦	٣	١٨	٥٠٧
وقف اسماعيل باشا لصالح :						
قارىء القرآن بالقلعة		٥	٥	—	٣	٩٣
المفتين العلماء الأربعة	١٢	١٢		—		٢٢٥
ارساليات الى مكة والمدينة :						
الى شريف وخدم الحرمين بمكة والمدينة	١٢	٣.٥٥٨		—		٦٤،٠٥٣
الى قضاة هاتين المدينتين		٤٨		—		٨٦٤
الى بحارة المراكب التى تنقل الغلال الى مكة	١٢	٧٥		—		١،٣٥٩
نثريات يتحملها البكوات كنفقات للاشراف على التحصيل		—		—	٢٣	٣٩،٢٢٦
اجمالى مطابق لحصيلة الميرى من الغلال						٧٣٠،٦٣٥

وتدين الأراضى القابلة للزراعة فى مصر بوجودها لفيضانات النيل، فلو لم تروها مياه النيل لابتلعتها الرمال . وحيث لاتسقط الأمطار مطلقا فى هذه البلاد فان درجة فيضان النيل تعد الأساس الأوحد لقياس الأعمال والمحاصيل ، وبشكل مبدئى ، فان الضريبة لاتكون واجبة الأداء على الفلاحين اذا لم تغمر الفيضانات الأرض ، ومع ذلك ، فحدث يكفى أن تفتح الحكومة الخليج حتى يصبح الفيضان كافيا بشكل شرعى وكافيا لكى تتقرر الضريبة ، فانه يترتب على ذلك أن عدم حدوث فيضان كاف لم يكن لبعفى الأرض فى كل الأحوال من الضرائب . ولم يكن الباب العالى يؤجل مطلقا تحصيل الميرى . كذلك قلما كانت الحكومة تنقص من قيمة ضريبة الكشوفية . ومع ذلك فعندما يكون الفيضان مدمرا أو زائدا عن الحد مما يؤدى لأن تصبح المحاصيل ضعيفة أو سيئة فان على الملتزم أن يوقف تحصيل الفايض ، ولكنه كان يفرض جبايته فى العام التالى بالاضافة الى الفايض المقرر هذا العام . ولم تكن هناك أية لوائح ترغم البكوات أو الملتزمين على انقاص الضرائب عندما تسوء احوال المحاصيل ، لكن

مشاعرهم الانسانية او بالأحرى كان عجز مموليهم فى معظم الأحيان ، كان يحدد قيمة التخفيضات التى كانوا يقررونها فى بعض الأحيان للفلاحين .

خامسا : عن الأوقاف

سبق لنا ان شرحنا المقصود بكلمة أوقاف ، ويبقى علينـا الآن أن نوضح ماتشتمل عليه دخولها :

العوائد النقدية من الأوقاف السلطانية :

دشيشة الكبرى	١ر٩٠٧ر٧٦٥ مدينى	على سبيل التذكرة
المحمـدية	١ر٢٠٦ر٢٧٤	
الأحمـدية	٥٨١ر٠٣٣	
المرادية	٩٦٩ر٨٥٧	
الحرمين	٦٣٨ر٦٧٠	

الميرى المقرر على ناظر وقف دشيشة الـكبرى ٥٠ر٠٠٠ مدينى

الميرى المقرر على الأوقاف الخصوصة :

وقف سليمان باشا	١٠٢ر٠٠٠
« السلطان الغورى	٣٧ر٥٠٠
« السلطان الأشرف	٢٥ر٠٠٠
« السلطان بيبرس	٢٠ر٠٠٠
« الوزير خاير باى	٣٠ر٠٠٠
« قايتباى	٣٠ر٠٠٠
« عبيد الله	١٥ر٠٠٠
« الوزير حيـاظ باى	١٢ر٥٠٠

وكانت هـذه الأوقاف الثمانية تسدد فيما مضى
علاوة على ذلك مبلغـا قـدره ١٢٠ر١٧٨
وهو مايسدد البـاشا الآن بالنيابة عنها لأن أحد
اسلافه قد أعفاها منه . وبذلك يبلغ اجمالى عوائدها ٣٩٢ر١٧٨

اجمالى العوائد النقدية للأوقاف بنوعيها : ٤٤٢ر١٧٨

وتعادل بالجنيهات التوربة ١٥ر٧٩٢ جت اس ٥د

وبالفرنكات ١٥ر٥٩٧ ف ١١س

وقـد كان السلطان محمد بك شراكسة ، حاكم مصر الأسبق ، قـد أسس وقف دشيشة الـكبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ، حتى ان ملتزمى الأراضى التى عينها هذا السلطان لايزالون يدفعون حتى اليوم الضرائب المستحقة على هذا الوقف الى ناظـره ، وعلى التوالى انشـأ السلاطين محمد واحمد ومراد ، خلفاء سليم الذين اعتلوا عرش القسطنطينية من بعده ، الأوقاف التى تحمل أسماءهم بدون أن ينتقصوا من قيمة الموارد العـامة ، ذلك أنهم عندما جددوا عقود الأراضى اخضـعوا الملتزمين الجدد لضرائب (أخرى) تكون (أو تعادل) عوائد هـذه الأوقاف . ويعود وقف الحرمين الذى انشأه احد السلاطين ، وأقر سليم تصرفه هذا ، الى أصل مشابه لأصل وقف دشيشة الـكبرى ، وان كان يختلف عنه فقط فى عدم وجود ناظر له ، وفى أن عوائده تحصل وتدار بمعرفة الروزنامجى ، فى حين أن لـكل من هذه الأوقاف ناظـرا موكلا بادارتهـا تحت رقابة هـذا الموظف المـالى .

وتشكل المبـالغ التى أوردناها كافة الموارد النقـدية لهـذه الأوقاف الخمسة ، وحيث لم يكن لهـذه المبالغ الا ان تنتهى الى يد الروزنامجى ، الذى كان ينفقها كلية فى الأغراض المخصصة لها دون أن يشير الى ذلك فى سجلاته ، وحيث كانت تبدو هذه المبالغ وكأنما تنتمى لممتلكات خاصـة وليست جزءا من الضرائب أو الانفاقات العامة فاننا لم نوردها هنا الا على سبيل التذكرة .

وبخلاف هذه المبالغ فان للأوقاف السلطانية عوائد عينية من الغلال ومواد الأغذية الأخرى خصصت بدورها لنفس هذه الأغراض ، وكان يعهد بالنقود والحبوب التى تم تحصيلها ، بعد سداد كل المصروفات ، الى أمير الحج الذى يحملها الى مكة والمدينة حيث كانت توزع طبقا لوصية المؤسسين (منشىء الوقف) .

أما الأوقاف الخاصـة (أو الأهلية) التى أشرنا اليها فكانت قائمة بمصر بالفعل عندما فتحها سليم . ومع اقرار هـذا السلطـان لتصرفات مؤسسيها فقد أخضعها لضريبة الميرى التى لم ينقطع نظارها عن دفعهـا لخزينة الروزنامجى ، لـكننا لم نقدم هنـا اية اشارة لتلك الأوقاف التى انشأها السلاطين والباشوات منذ عصر هذا الحاكم بسبب كثرة عددها ، لأنها لم تكن تخضع لدفع أى ميرى .

الفصـــل الثـــانى

الضرائب على الوظـــائف

حيث كان الضباط الذين يعينهم السلطان يحصلون على دخولهم على هيئـــة تحويلات على الميرى فى القرى ، ولا سيـــما فى هيئة ضرائب غير مباشرة كان يعهد اليهم بجبايتها ، فقـــد كان هؤلاء يدفعون للسلطـــان ضريبة الميرى التى نشير اليها باعتبارها ضريبة على الوظائف ، حيث كانت هذه الضريبة تفرض على مجموع دخول الواحد منهم وليس على هـــذه أو تلك من الضرائب أو العادات التى كان يتمتع بها .

ويوضح لنا الجدول الآتى أصحاب الوظائف الخاضعين لدفع الميرى :

البـــاشا	١٫٦٢٥٫٠٠٠ مدينى
الدفتردار	٢٦٫٧٩٤
البكوات والـــكشاف حكام الولايات الآتيـــة :	
قنـــا، أسنـــا، جـــرجا، ســـيوط، منفلـــوط، المنيـــه (١)	١٫٨٣٠٫٠٩٦
بنى ســـويف	٣١٩٫٦٤٠
الفيـــوم	٣٥١٫٩٨٠
اطفيح	٢٠٣٫٢٤٢
الجيزة	١٠٧٫٠٤٠
القليوبيـــة	١٥٤٫١٩٥
الشرقيـــة	٦١٩٫٠٧٨
البحـــيرة	٣٦٢٫٧٤٠
المنصـــورة	٣٩٦٫١٦٨
الغربيـــة	٨٦٩٫٢٤٠
المنوفيـــة	٦٠٧٫٩٣٠
. . . .	٥٫٨٢١٫٣٤٩

---

(١) كان يحكم هذه الولايات الست بك واحد .

الروزنامجى		٢٧ر٢٩١
مترجم الـــديوان		٧٥ر٠٢٤
امين الضربخانة (دار سك النقود)		٥٨٢ر٤٤٧
اغـــوات أوجاقات :		
المتفرقـــة	٥٣ر٥٩١	
الجاويشية	٢٨١ر٣٤٢	
جامولیـــــان	١٠٧ر١٨٢	
تفكجيان	١٠٧ر١٨٢	
شراكسة	١٠٧ر١٨٢	
مستحفظان	٤٥ر٣٨٢	
عـــزبان	٤٨ر٢٣٠	
. . . .		٧٥٠ر٠٩١
الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جامولیان وتفكجيان وشراكسة(١)		٦ر٠٠٠
كتبـــة الأوجاقات :		
المتفرقة	٥٥ر٩٧٠	
الجاويشية	٥٨ر٩٤٦	
الجامولیان	٣٧ر٥١٣	
التفلكجيان	٣٢ر١٥٥	
الشراكسة	٢٦ر٧٩٤	
المستحفظان	٦٤ر٣٠٩	
العزبان	١٥ر٠١٨	
. . . .		٢٩٠ر٧٠٥
المعمرجى باشى		٥١ر٧٩٤
الجيبجى باشى		٦٦ر٩٩٣
القـــــافلة باشى		٦٩ر٠٠٠
أمير احتساب (٢)		٤٤٣ر٦٣٨

(١) فى الأزمنة الأخيرة كان الباشا يسدد الميرى المقرر على هؤلاء .

(٢) لم يكن يدفع فى الأزمنة الأخيرة سوى ١١٩ر٢٦٩ مدينى ، حيث قبل البـــاشا طلب هذا الموظف وبدأ يدفع بدلا منـــه الـ ٥٢٨ر١٧٤ مدينى البــــاقية .

البيان		
أمين عنبر		٢٩٤ر٣٣٢
اغا المشاقة		٢٤ر٢٠٩
سردار جــرجا		١٥ر٦٠٠
اغــوات قـــلاع :		
الاسكندرية	٢١ر٨٤٠	
سارى احمد بالاسكندرية	٧ر٢٨٠	
الروخنة بالاسكندرية	٩ر٨٨٠	
أبى قير	١٦ر٦٤٠	
رشــيد	٢٧ر٠٤٠	
القرين	٤ر١٦٧	
. . . .		٨٦ر٨٤٧
شـــيخ الدلالين		٣٠ر٠٠٠
الـــولاة (١)		
والى القـــاهرة	١٥ر٤٦٤	
» مصر العتيقة	١٥ر٤٦٤	
» بولاق	١٥ر٤٦٤	
. . . .		٤٦ر٣٩٢
الأفنـــدية :		
أفندى الشرقية	٧٤ر٨١٤	
» الغربية	٧٨ر٩٧٤	
» الشهر	٧١ر٧٥٠	
» الغلال	٨٢ر٠٣٦	
» غلال الميرى	٢١ر٤٣٦	
» الكوريكجى	١١ر٧٨٦	
» كشيدة	١٣ر٣٩٨	
» الأيتام الخ	٦١ر٩٤٣	
» الجوالى	٩٩ر٦٩٤	
. . . .		٥١٥ر٨٣١

---

(١) فى الأزمنة الأخيرة حل الباشا محل هؤلاء الولاة الثلاثة فى دفع الميرى المستحق عليهم .

أفندى الرزق ٢١ر٤٣٦.

الاجمـــالى ١٠ر٨٧٠ر٧٧٣

وهو يعادل ١٠ اد ١٧س ٢٤١ر٣٨٨ جـ ت

وبالفرنكات ٧٩س ٤٤٨ر٣٨٣ ف

وكان الباشا ، وهو الذى يحتل اسمى هذه المناصب ، هو الشخص الذى تؤول اليه عادة الحلوان ، فعند موت احد الملتزمين ، لم يكن لورثته أن يحصل على الحجة اللازمة لكى يخلفه فى ارضه ووظيفتـــه وحقوقه الا بعد أن يدفع للسلطان عوائد ثلاث سنوات من صافى دخوله ، ومع ذلك فلم يكن يلتزم عند وراثته لاحدى القرى الا بأن يسدد ثلاثة أمثـــال مايظه بشكله المحدد (*) وفى مصر ، نزل السلطان عن هذا الحق الى الباشا الذى كانت له زيادة على ذلك عادات على الغـــلال والأطعمـــة وعلى كل الأشخاص الذين ينبغى ، اذا مارشحوا لتقلد احدى الوظائف ، أن يتقـــدموا كى يحصلوا على خلعة منه هى الجبة أو القفطان .

أما الدفتردار فكان يتمتع بأتاوة قدرهـــا ٠٠٠ر١ مدينى عن كـــل كيس (**) من ثمن اية أرض تعطى لملتزم جديد ، وكان الدفتردار يسلم هذا الملتزم تقسيطا ، هو عقد ضرورى لكى يمارس حقوقه سواء كان هذا التغيير (فى شخص الملتزم) قـــد تم عن طريق الارث أو عن طريق البيع والشراء .

وكان البكوات أو الـــكشاف حكام الولايات يحصـــلون على رواتب من الخزينة العـــامة ، كما كانوا يحصلون على مورد كبير نحوا ما عن طريق النسبة المقررة لهم من عادات الـــكشوفية التى كانوا يحصلونها لحسابهم الخـــاص .

ويتمتع الروزنامجى بخصم (يستبقيه لنفسه) من مجموع كل بنـــد من بنود حصيلته المالية ، كما كان يحصـــل على هـــدايا أو بالأحرى على

(*) أى بدون احتساب البرانى . (المترجم) .

(**) يساوى الكيس ٠٠٠ر٢٥ مدينى (المترجم)

معاشات سنوية من الباشا والأوجاقات ، بالاضافة الى عادة كان يجبيها من كل من كان ينبغى عليه أن يتعامل معه .

كما كان مترجم الديوان يحصل على عادة (او اتاوة) من كل من يتلقى قرارا بتنصيبه فى احدى الوظائف .

أما مدير الضربخانة أو مدير سك النقود فكان يعين من قبل الباب العالى . وكانت الفوائد التى تؤول اليه عن طريق صنعه للقطع النقدية هى التى تشكل راتبه ، ومع ذلك فقد كان يدفع ، بخلاف الميرى المقرر على وظيفته ، خمسة عشر كيسا الى الباشا ، ولم يكن له عمل محدد (بلوائح معينة) اذ كان عليه فقط أن يحرص على ان تكون المسكوكات التىيصدرها تتفق مع الشكل المطلوب . ومنذ عهد على بك ، ترك هذا المنصب لباشا القاهرة الذى كان يسدد الميرى المقرر عليه والذى كان يبيع التزامه على الدوام الى البك ، شيخ بلد القاهرة .

أما الأغوات ، أى قادة الأوجاقات السبعة فكانوا يتمتعون بحقوق مختلفة داخل فرقهم العسكرية ، وحيث كان أغا الانكشارية هو الذى يشرف على كل العسكر ورجال الشرطة فى مدينة القاهرة فقد كان يحصل منهم على اتاوات مضاعفة عن الأطعمة التى كان هو يحدد أسعارها أما أغا الجاويشية فكان يحصل على مبلغ مساو للمبلغ الذى يحصل عليه الدفتردار ، أى ١٫٠٠٠ مدينى عن كل كيس ، فى كل مرة يتملك ملتزم جديد أرضه .

وكان السكخياوات الثلاثة ، اى الباش اختيارية (باش اختيار) ، أو ملازمو أوجاقات الجامولیان والتافكجيان والشراكسة يحصلون على رواتبهم من الباشا . وفى الأزمنة الأخيرة كان هذا الحاكم هو الذى يسدد الميرى المقرر على هذه المناصب الثلاثة ، اذ أنه ، جريا على سنة استنها احد اسلافه ، لم يعد يقوم بدفع الرواتب المقررة لهذه الوظائف ، وأصبح هؤلاء اليوم يحصلون على معاشاتهم من فرقهم العسكرية .

وكان للأفندية عريفى (*) الأوجاقات السبعة حصة يستقطعونها من الأموال التى تمر بين أيديهم ، وعلاوة على ذلك فقد كانت فرقهم تصرف لهم رواتبهم .

اما المعمرجى باشى فكان موكلا بادارة كل المبـــانى العمومية ، وكان يحصل فى اليوم الواحد على زرمحبوب واحد عن كل منشاة يأمر بالعمل فيها مع مراقبـــة هذا العمل،ومن هنـــا نجد انه كان المشرف على الهندسة المدنية والعسكرية .

وكان الجبيجى باشا موكلا بامداد الترســـانات بالبـــارود والذخيرة ، وكان يحصل على ثمن ذلك من الخزينة العـــامة فيما عدا ما كان يستخدم من بارود فى الألعـــاب النـــارية الثلاث التى كانت تتم مرة عند وصـــول الباشا ، واخرى عنـــد رحيل المحمل ، وثالثة عند ارسال الخزنة (مال السلطان) الى القسطنطينية . وكان يراس كل العمال الذين يصـــنعون البـــارود . وتتكون موارده المـــالية من عادات مختلفـــة تتم خصـــما من الميرى ومن عادات اخرى يحصلها من قريتين من قرى القليوبية .

أما القافلة باشى أو مفتش القوافل التى ترحل من مصر أو تلك التى تجتازها فكان له حق شبه مطلق فى توفير المرشدين أو الأدلاء وكذا الجمال التى تلزم لهذه القوافل ، وتدفع له كل قافلة أتاوة . وفوق ذلك فقد كان يحصل ١/٤ بوطاقة عن كل فردة (**) من البن تنقل من الســـويس الى القـــــاهرة .

وكان امين الاحتساب يراقب التجار ويلاحظ ما ان كانوا يغيرون فى الموازين أو المـــكاييل كى يغشوا النـــاس . ويتكون راتبـــه من عادات مقررة لصالحه على التجـــار ؛ وعنـــدما وجد أن الميرى المقرر على وظيفته بالغ الضخامة ، فقد انقصه أحد البـــاشوات : ١٩٥ر١٧٤ مدينى كان يدفعها (أى الباشا) نفسه . وكان على خلفاء هذا البـــاشا أن يحـــذوا حذوه اذ لا يمكن لدخول السلطان أن تقل .

(*) فى الأصل الفرنسى **quartiers - maitres** ومعنـــاها العـــريف البحرى أو أدنى درجات البحرية .

(**) بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

أما أمين عنبر ، فـكان بحكم وظيفته كمدير للمخازن العمومية يحصل على العادات المقررة لصـالحه نقـدا وحبوبا من الملتزمين الذين يسددون ضرائبهم عينا ، وكان كل الموظفين العـاملين تحت امرته يحصـلون على رواتبهم منه . وكان مخولا له عند استلامه الغلال من المولين ان يستخدم مكاييل أكبر حجما على نحو طفيف من تلك التى يستخدمها عند تسليمه هذه الحبوب لتوزيعها على الجهات التى حددتها اللوائح .

اما اغا المشاق ومهمته توفير مشاقة الـكتان فـكان يحصل لنفسه من الملتزمين فى مصر السفلى على ٢٠ الى ١٠٠ مدينى عن كل قرية هناك، وكان ملزما بأن يرسل الى القسطنطينية كمية المشاقة التى تطلب منه . وكان يحصـل على ثمن الثاثاته شريطة ان يحصل على شـهادة من قاضى بولاق تحدد كمية هذه الاثاثات واثمانها .

وكان سردار جرجا ، هو ملازم البك حاكم الصـعيد ، وكان هـذا المنصب يمنحه قرية بندار التبينـات وراتبـا يحصـل عليه خصـما من دخول البك .

وكان اغوات القلاع او الطوابى يحصـلون على راتب من الخزينـة العـامة كما كانوا يفرضـون اتاوات مختلفـة (عادات) على المـاكولات والأغذية التى تباع فى المناطق التى يديرونها ويتولون حمايتها .

أما شيخ الدلالين ، اى رئيس السماسرة والوسطاء فى القـاهرة ، فكان يفرض اتاوة على كل الدلالين الذين يبيعون فى الأسـواق العـامة الأسمال والبياضات والملابس .. الخ وبخلاف ذلك فقد كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ (شيوخ الدلالين) يستطيع أن يبيع بنفسه؛ذلك ان وظيفـة الدلالين فى الأسواق لا غنى عنها ، وكان عـدد هؤلاء الشـيوخ اثنين : أحدهما تركى والآخر مصرى .

وكان الولاة الثلاثة : والى القـاهرة ، ووالى بولاق ، ووالى مصر العتيقة مكلفين بالقيـام بتفاصـيل اعمـال الشرطـة تحت رقابـة اغا الانكشارية . وكانت لهؤلاء عادات أو أتاوات يفرضـونها على التجـارة وعلى المخالفات ، وكانوا يحصـلون على راتب يدفعـه البـاشا ، ومنذ نحو سبعين عاما ، امتنع هـذا الأخير من دفـع هـذه الرواتب ، وارغم والى القـاهرة على استرضاء زميليه ، وان ظل هو نفسه ملزما بدفع الميرى

المستحق على هؤلاء الضباط الثلاثة ، وادى هذا الوضع الى جعل والى بولاق ومصر العتيقة تابعين له ، وكان يتمتع بالاضافة لما سبق براتب مقرر على الخزينة العامة . كما كان ملحقا بخدمة الديوان حيث كان يشغل وظائف تماثل مايقوم به الحاجب أو الشخص الذى يحضر للجلسات .

ويمسك افندى الشرقية وافندى الغربية وافندى الشهر بسجلات الميرى المقرر نقدا على كل الولايات ، فكان الأول موكلا بولايات مصر السفلى فيما عدا ولايات الدلتا التى كانت تدخل فى اختصاص الثانى أما الثالث فكان مختصا بولايات مصر العليا . وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من الخزينة العامة ويفرضون عادات على الملتزمين الداخلين ضمن دوائرهم . اما افندى الغلال فكان يمسك بسجل لكل الأراضى التى تسدد الميرى فى شكل حبوب ، وكان يحصل على راتبه بنفس طريقة اقرانه . وكان الافندى المشرف على حبوب الميرى يراقب أعمال امين العنبر ، وكان يمسك سجلا بكل الغلال التىتدخل الصوامع (مخازن الحبوب) الهامة كما كان يمسك سجلا ينظم عمليات استخدامها . ولم يكن بمقدور امين العنبر ان يتصرف فى شىء دون أن يشركه فى ذلك ، وكان الباشا والروزنامجى يشتركان فى دفع راتبه ، وكان يحصل بخلاف ذلك عادات على التوزيعات التى تتم بمعرفة أمين العنبر . أما افندى الكوريكجى فكان يمسك بالنسبة لهذا الفرع من فروع الميرى المقرر على الأراضى سجلا يبين الضرائب الواجبة السداد على كل قرية. اما اتعابه فكان يشارك فى دفعها كل من الوالى والروزنامجى والملتزمين. وكان افندى الكشيدة طواشيا مكلفا بدفع الرواتب المقررة لاقرانه الذين كان السلطان ينفيهم الى مصر ، وهو التكدير الذى كان يطبق على هؤلاء التعساء حين يفقدون حظوتهم عند سيدهم . أما افندى الأيتام .. الخ فكان يمسك بسجل المعاشات التى خصصها السلطان للأيتام والأرامل والشيوخ وغيرهم ، وكان يحصل على راتبه هو من الباشا كما كان يحصل على أتاوة من كل طرف مستفيد من هذه المعاشات . والافندى الجوالى هو الكاتب الذى يستخدمه الاغا الذى ترسله القسطنطينية سنويا لتحصيل الخراج اى الضريبة المقررة على الرعايا غير المسلمين. ويدبر الأغا راتب هذا الافندى من حصيلة هذه الضريبة . وكان

كل هؤلاء يسيّرون شئون وظائفهم تحت اشراف الروزنامجى ، وهو الأمر الذى كان يعرض بعض هؤلاء للعزل (*) .

ويمسك افندى الرزق بسجلات الأراضى أو الأملاك العقارية التى يطلق عليها هذا الاسم (رزقة) . وكان يقوم بعمله مستقلا عن سلطة الروزنامجى ولا تدخل أعماله فى اطار أعمال الأخير ، وكان الباشا يجرى له راتبا ، كما كان يحصل علاوة على ذلك رسما عند اية عملية احلال أو ابدال تتم بخصوص هذه الرزق .

هؤلاء هم شاغلو الوظائف التى كانت خاضعة لضريبة الميرى . وقد لمسنا كيف انها لم تكن تشكل دخولا تضاف الى الخزينة العامة بقدر ما كانت تشكل اتاوات أو عادات على الأراضى والأشخاص .

الفصل الثالث

الضرائب العامة على الصناعة والتجارة

اولا — الجمارك

انشأ السلطان سليمان اربعة جمارك رئيسة فى مصر هى :

جمرك فى بولاق ومصر العتيقة ،

« فى الاسكندرية ،

« فى دمياط

وجمرك فى السويس .

وكانت عوائد هذه الجمارك تؤول الى الجهات التى سيأتى ذكرها مع مراعاة تسديد ضريبة الميرى على النحو التالى :

(*) فى حين أن اللوائح تقرر أن الوظائف ثابتة على نحو ما سبق وروده فى الدراسة (المترجم) .

مدينى

الى أوجاق الانكشارية : عوائد جمركى بولاق ومصر العتيقة اللذين ضما معا وكانا يدفعان ميرى واحدا قـــدره	٤٫٣١١٫٨٧٢
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك الاسكندرية مقـــابل ميرى قـدره	٦٫٧٤٤٫٣٩٦ (١)
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك دمياط مقابل ميرى قـدره	٢٫٣١٨٫١٦٢
الى الباشا : عوائد جمرك السويس مقابل ميرى قدره	٦٫٠٧١٫٠٥٦
الاجمـــالى	١٩٫٤٤٥٫٤٨٦

وهو مبلغ يعـادل	١٠د ١٢س	٤٨١٫٦٩٤ ج ت
وبالفرنـــكات	٨١س	٩٠٧٫٦٨٥ ف

وحيث أن روح الاســلام تستهجن وتحرم كافـــة ضروب الربح التى تتحقق عن غير طريق العمل والاحتراف ، وحيث أن الأرباح التى تأتى عن طريق الجمـــارك بعيـــدة عن هذه النشأة ، فقـــد كان يعهد بتحصيل هذه الضريبة فى العـــادة الى مسيحيين او الى يهود أصبحوا هم ملتزميها .

ويدل الموقع الجغرافى للجهات التى انشئت بها مكاتب الجمارك على البلدان التى كانت ترد منها الواردات أو تلك التى ترسل اليها الصادرات، اذ كانت تجارة ســـنار وممالك دارفور وفزان الخ تتم بواسطة قوافل تصل الى مصر القديمة ، اما تجـــارة تركيا وأوربا وآســـيا فـكانت قسمة بين ثغرى الاسكندرية ودميـــاط ، وكانت الاسكنـــدرية تقوم بصـــفة أساسية بتجـــارة أوربا وبلاد البربر (المغرب) ، اما السويس فكانت تتولى تجارة الجزيرة العربية والهند .

---

(١) لم يكن البكوات الذين استأثروا لانفسهم بكل الجمـــارك يدفعون فى الســـنوات الأخيرة كضريبـــة ميرى على جمرك الاسكنـــدرية ســـوى ٤١٣٫١٤٧ره مدينى ، لأن الباشا ، ونتيجة لمطالبـــات مستمرة من أوجاق الانكشارية ، كان يسدد بدلا من هذا الأوجاق (عنـــدما كان يدير الجمارك لحسابه) حصة قدرها ١٫٣٣١٫٢٤٩ مدينى .

ويقدر لنا توضح لنـا التعريفة الاتيـة المنتجات التى تزود بها هذه البلدان مصر، وتلك التى تستوردها منها ، فستدلنا كذلك على قيمة الرسوم الجمركية التى كان ينبغى عليها أن تدفعها وفقا للوائح السلطان سليمان .

الواردات — تجارة سنار ودارفور وفزان الخ

السلعة	الرسوم التى تخضع لها عند وصولها لجمرك مصر العتيقة
الشـشم (عقار طبى) (وهو حبوب سـوداء تشبه حبـة العدس الجافة)	١٠ مدينى للجوال الصغير ٩٠ مدينى للجوال الـكبير
السـكرابيج (سياط من الجلد)	١٠٪ من السلعة عينا
سن الفيل	٧ مدينى عن كل حمولة جمل
العبيـــد :	
الذكور	١٢٠ مدينى عن الواحد
الاناث	١١٠ مدينى عن الواحدة
الطواشى	٢٤٦ مدينى عن الواحد
الصمغ العربى	٨ مدينى عن كل حمولة جمل
الدرة (الذى البيضاء)	١٥ مدينى عن كـل قفص + درة واحدة ضريبة عينية
ريش النعـام	١٠٪ من السلعة عينا
تراب الذهب	لاشىء
التمر هنـدى	٤٠ مدينى للقنطار و٨ مدينى عن حمولة الجمل



تجارة أوربا وآسيا ودول البربر

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية (١)						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو وتريستا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مشمش	١١	—	—	—	—	—	—
صلب	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ابر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ثوم	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
صوفان (اسفنج طبي)	١١	—	—	—	—	—	—
لوز	١١	—	٣—٥	—	٣—٥	—	—
عنبر أصفر	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
علب للمراكب	—	—	—	—	—	—	—

(١) في معظم الأحيان ، كانت السلع الواردة من بلاد السلطان وكذلك الواردة من بلاد البربر تسدد عينا تلك الرسوم التي كانت تخضع لها في جمرك الاسكندرية ، أما تحصيل الرسوم التي كانت مفروضة على الواردات الآتية من مارسيليا والبندقية وليفورينو وتريستا وانجلترا . ثم من كل هذه البلاد عن طريق أزمير ، فكان يتم نقدا ، وفقا لتعريفة نسبتها ادنى على الدوام من النسبة الى الثمن الحقيقي للسلع المستوردة .

(٢) لم تكن الرسوم في جمرك دمياط تتغير مطلقا تبعا للأمة التي تأتي منها السلع كما هو الشأن في الاسكندرية ، وكانت الرسوم التي

التى كانت تخضع لها					
فى دمياط(٢)	فى بولاق(٣)				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
طازج ١٠ جاف ١٢ معجن ١ مدينى لكل لفه	١٠	—	—	—	٦ لكل قنطار
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٣٨ للصندوق
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
١٢	١٠	—	—	—	
—	١٠	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
١٢	٤	—	—	—	١٨ للقطعة
١٢	١٠	—	١	٣	٦ للقنطار
١٢	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	

يحصلها هذا الجمرك والتى تفرض بشكل متساو على سلع أوربا وآسيا وبلاد البربر تسدد فى جزء منها نقدا وفى الجـزء الآخـر عينا ، كمـا كانت الرسوم النقدية تتحدد وفق تقييم خاص وتريب من الواقع بالنسبة لقيمة السلع ، وكان يتم ذلك بمجرد اتمام عملية الانزال .

(٣) كانت السلع القادمـة من الخارج والتى تصـل الى القاهـرة تخضع لرسوم مقررة فى جمرك بولاق بخلاف تلك التى سبق لها أن سددتها فى ثغرى الاسكندرية ودمياط .

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو وترستا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فضة خام فى شكل سبائك	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أسلحة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
سلفور الرصاص	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
زرنيخ	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
زهور الخزامى	—	—	٣—٥	—	٣—٥	—	٥
برادق فخارية	—	١٠	—	—	—	—	—
برنس (معاطف صوف)	—	١٠	—	—	—	—	—
جوارب	٥	—	—	—	—	—	—
سمن	—	١١	—	—	—	—	—
مجوهرات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
اسبيداج أبيض	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
مجول	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	١٠	—	—	—	—	—	—
خشب للبناء	٧—١٤	—	—	—	١١	—	—
خشب فرنامبوك	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
قلنسوات حمراء	—	١٠	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
شمع	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
وبر لباد من بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير ووبر الحرير والقطن	١٠	—	—		—	—	

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	—	—	—	—	
١٢	٤	٢	١	٣	٨٩ لكل ٧٥ رطلا
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للقطعة
١٢	٤	٢	١	٣	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبرميل
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٦ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٥ للواحد
—	٤	—	—	—	٢ لكل ١٠
١٢	١٠	—	—	—	٦ إلى ٣٠ للجرة
١٠	١٠	٢	١	٣	٨٠ للصندوق
١٢	٤	٢	١	٣	١٢ لكل ٧٥ رطلا
١٨٠ مدينى للواحد	—	—	—	—	
١٢	٤	—	—	—	
١٣½ ومن ١١ إلى ٣١ مدينى لكل ١٠٠ قطعة	١٠	—	—	—	٨-٥٠ مدينى لكل ١٠٠ قطعة
١٢ ٪	٧	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	١ للزوج
١٢	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
—	٤	—	—	—	١٠ - ٣٠ للواحد
٦٠ مدينى للقطعة	٤	—	—	—	٣ - ٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
قطران	١٤	—	—	—	—	—	—
منسوجات خشنة لصنع الملابس	—	—	—	—	—	—	—
بن	—	—	—	—	—	—	—
كراوية	—	١١	—	—	—	—	—
خروب	١١	—	—	—	—	—	—
أطواق وإطارات	—	—	—	—	—	—	—
جلود خرفان وماعز	—	—	—	—	—	—	—
لحم مملح	١١	—	—	—	—	—	—
شيلان	١٠	—	—	—	—	—	—
شيلان صوف	—	١٠	—	—	—	—	—
خمارات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
شال أنقرة	٥	—	—	—	—	—	—
شموع	—	—	—	—	—	—	—
فحم	—	—	—	—	—	—	—
كستناء	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
خيول	—	—	—	—	—	—	—
صنوبر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
ورنيش خام	١٠	١١	—	—	—	—	—
مسامير	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
قرمزية (للصبغة الحمراء)	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠ — ١٣½ ٪	١٠	—	—	—	٢٣ للجرة
١٠	—	—	—	—	٨ للبالة
٥	—	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١١	١٠	—	—	—	٧ للقنطار
٢٠ بنى لكل ١٠٠ إطار	٤	—	—	—	١ لكل ١٠٠ طوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	١٢ للبرميل
١٠	٧	—	—	—	٥ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٢ للواحد
١٠	٤	٢	١	٣	١٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	١٥ للقطعة
١٢	٤	—	—	—	٢٥ للصندوق
١٠ مدينى لكل قفتين	—	—	—	٣	
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٨٠ مدينى للحصان	—	—	—	—	
—	٤	٢	١	٣	٩٣ لكل ٧٥ رطلا
—	٧	—	—	—	١٨ للقنطار
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٠ للبرميل
١٠	٥	٢	١	٣	١ للأقة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية — في الاسكندرية — من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ثمار جوز الهند	—	—	—	—	—	—	—
قلفونية	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	١٠	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	—	٥
	—	—	—	٥—٣	٥—٣	—	٥
	—	١١	—	—	—	—	—
مرجان	—	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
مرجان فالصو	—	—	—	٥—٣	٥—٣	—	٥
حبال	١١	—	—	—	—	—	—
زغب القطن	١١	—	—	—	—	—	—
زرد	—	—	—	—	—	—	—
سكاكين خشنة	—	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
ملاعق خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ثيران	—	—	—	—	—	—	—
جلود فاسى	—	١٠	—	—	—	—	—
نحاس جديد مصنوع	٥—٤	—	—	—	—	—	—
نحاس خام	٥	—	—	—	—	—	—
نحاس قديم	٥	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	—	—	—	—	—	—	—
أوراق مذهبة	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
أمجواخ	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
عقاقير طبية	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥

التي كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مديني
١٠	١٠				
١٢	١٠	—	—	—	٥٠ للبرميل
١٢	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل الكبير
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٢٥ »
١٢	٤	—	—	—	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
١٢	٤	٢	—	—	٢٣ للقنطار
١٢	١٠				
—	٤	٢	١	٣	٥٠ للبرميل الكبير
١٢	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٠					
١٠	٤	٢	—	—	٤ للواحد
١٠—١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥٣ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٠					
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للصندوق
٥	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٢	١٠	٢	١	٣	٥٠ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق ازمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ماء القرنفل	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	—	—	—
عبيد	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أقمشة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
« من حلب	—	—	—	—	—	—	—
« من الأموى	—	—	—	—	—	—	—
« من تركيا	٤	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥ ٣	٥
فاصور (عقار طبي)	—	١١	—	—	—	—	—
حديد	١١	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
زنك	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
كتل من الحديد	٥ ١/٢	—	—	—	—	—	—
سنابك الخيل	٥ ١/٣	—	—	—	—	—	—
دوبارة	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك من الحديد والنحاس الأصفر	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
فناجين	١٠	—	—	—	—	—	—
فانلات مصبوغة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التي كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	١٠				
١٠					
١٠	٤	—	—	--	١٥ للبالة
١٤٦ مدينى لكل أربعة					
٪١٢	٤	٢	—	٣	١٣١ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ – ٦٠ للقطعة
٣٠ مدينى للقطعة	٥	--	—	—	٥ ٪
٤٠ « «	٥	--	--	—	٥ ٪
١٠ ٪	٤	—	—	—	٨ – ٥٠ للقطعة
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
—	١٠	--	--	—	٥٠ للبالة
١٠ — ١٢	٤	٢	١	٣	١٧٨ لكل ١٠٠ قضيب
١٠	٤	٢	١	٣	٣٥ للبرميل
—	١٠	--	—	—	٤٠ للقنطار
—	١٠	--	--	—	٤٠ للقنطار
١٢	٤	-	--	--	٨ للقنطار
٦٢ ½ مدينى لكل ١٠٠ رطل	٤	--	--	--	١٥ للقنطار
—	٤	٢	١	٣	١٢ للقنطار
٪١٠	١٠	--	--	--	٨ للصندوق
--	٤	٢	١	٣	٨ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية — فى الاسكندرية — من بلاد السلطان	من بلاد العرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فوة (عقار طبى)	١١	—	—	—	—	—	—
جان	١١	—	—	—	—	—	—
فوأكه جافة	١١	—	—	—	—	—	—
عفصة	١١	—	—	—	—	—	—
جدارى (للصباغة)	—	١١	—	—	—	—	—
جيا قلو »	—	١١	—	—	—	—	—
قرنفل	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
صمغ من سوريا	—	—	—	—	—	—	—
قطران	٥	—	—	—	—	—	—
بذور الخيار	—	—	—	—	—	—	—
بذور النيلة	—	—	—	—	—	—	—
بذور البطيخ	—	—	—	—	—	—	—
رمان	—	—	—	—	—	—	—
حشيش[١]	—	—	—	—	—	—	—
حشيش مفرط	—	—	—	—	—	—	—
فاصوليا	—	—	—	—	—	—	—
أحرمة(حرام)من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
حرام حرير	—	١٠	—	—	—	—	—
قطع غيار الساعات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

(١) وهو نبات القنب الذى يستخدم فى اعداد عقـارات مسكرة أو يدخن مخلوطا بالتبغ .

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠—١٢	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	١٨ للقنطار
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٤٥ للقنطار
١٠					
١٢	٤	—	—	—	٧½ للقفة
٧ مدينى للربع					
٨ مدينى للجوال	٤	—	—	—	٨٠ للجوال
١½ مدينى للربع	٤	—	—	—	٦٠ للجوال
١٢	٤	—	—	—	١٤ للبالة
٣ مدينى للأقة	٤	—	—	—	١٤ للبالة
١٢ ٪	٤				١٤ للبالة
١٢	١٠				
١٠	٤	٢	—	—	٤٠ للواحد
—	٤	—	—	—	٥٠ للواحد
—	٤	٢	١	٣	١٠ للصندوق

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
				في الاسكندرية			
	من بلاد السلطان	من بلاد العرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	٧	٢ - ٣م للجرة	—	—	—	—	—
زيت للصباغة	٥	—	—	—	—	—	—
النيلة	—	—	—	—	—	—	—
جرار مليئة بالسماد	—	٤ م للواحدة	—	—	—	—	—
العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—
كلكاب أو قبقاب للسيدات	١٠	—	—	—	—	—	—
صوف	١١	١١	—	—	—	—	—
نحاس أصفر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
رقائق فضية وفالصو	٥	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
مصابيح زجاجية	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
محلب (نوى الكريز)	٥	—	—	—	—	—	—
رخام فى شكل كتل وأعمدة وبلاط وموائد	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
سلع من الهند	—	—	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
صمغ المصطكاء	٥	—	—	—	—	—	—
خردوات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
رحى طواحين	—	—	—	—	—	—	—
عسل	١١	١١	—	—	—	—	—
زنجفر (أكسيد الرصاص الأحمر)	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الإسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٢	٧—١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٢	٧	—	—	—	٣ للجرة
١٢	١٠				
—	—	—	—	—	٢ للواحدة
١٠	١٠	—	—	—	٦٠ للصندوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	٥	—	—	—	١٢ للبالة
١٢	٤	٢	١	٣	٤٥ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
٨٠ مدينى للقفص	—	—	—	—	٢٤ - ٤٤ للبالة
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
—	١٠	—	—	—	١٤ للبالة
—	—	—	١	٣	٢½ للقطعة
١٠	١٠	١٠	—	—	١٠ ٪
—	١٠	٢	—	—	٢٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ «
٨٦ مدينى للواحدة	٢٧م للواحدة	—	—	—	٢٧ مدينى للواحدة
١٢ ٪	١٠٪	—	—	—	٦ - ٦٠ للجرة
—	٤	٢	١	٣	٧٦ للبرميل

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مرايا	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
هاونات	—	—	—	—	—	—	—
مناديل سيدات	—	١٠	—	—	—	—	—
موسلين	١٠	—	—	—	—	—	—
موسلين مطبوع	٤	—	—	—	—	—	—
خراف	—	١١					
اماء سوداوات	—	—	—	—	—	—	—
بندق	٧	—	—	—	—	—	—
جوز	٥½-١١	—	—	—	—	—	—
جوز لصنع النارجيلات	١٠	—	—	—	—	—	—
بيض السمك المسمى كافيار	١٠	—	—	—	—	—	—
بصل	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	١١	١١	—	—	—	—	—
ذهب لميع	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
كافورية	—	١١	—	—	—	—	—
قرب	—	—	—	—	—	—	—
ورق	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
بطيخ من يافا	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	—	—	—	—	—	—	—
أمشاط خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود وفراء	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٢ للواحد
—	٤	٢	—	—	٥ — ١٠ للواحد
١٠	١٠	—	—	—	٣ — ٤٠ للقطعة
١٢	٥	—	—	—	٣ — ٤٠ »
—	—				
١٨ مدينى للواحدة	—				
١٢٪	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٣٠ للبرميل
١٥ مدينى للقفة					
١٢ ٪	١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للعلبة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
٣ مدينى للواحدة	١ م للواحدة	—	—	—	١ للواحدة
٢ - ٣ مدينى للرطل	٤ ٪	٢	١	٣	٣٩ — ٧٦ للبالة
١٠ ٪	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١ مدينى للجلد الواحد	٤	—	—	—	١ — ٣ للجلد
١٢ ٪	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	١٧ — ٣٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد العرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
صوانات البندقية	—	١١	٣—٥	—	٣—٥	—	٥
ألواح وعوارض خشبية	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص	٥	—	٣—٥	٢—٥	٣—٥	٣—٥	٥
شعر ماعز	١٠	—	—	—	—	—	—
كثرى من عربان الطور	—	—	—	—	—	—	—
سمك مجفف وملح	—	١١	—	—	—	—	—
فلفل بالقرنفل	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
تفاح	—	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص بنادق	—	—	—	—	—	—	—
بودرة رصراص (للصق)	—	—	—	—	—	—	—
برقوق	٥½	—	—	—	—	—	—
قتيب (عقار طبى)	—	١١	—	—	—	—	—
ذيول الخيل	١٠	—	—	—	—	—	—
خردة وحدايد من كل صنف	٥	—	٣—٥	٢—٥	٣—٥	٣—٥	٥
عنب فى صناديق	—	—	—	—	—	—	—
عنب طازج	١٠	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	١١	—	—	—	—	—	—
مواقد طينية	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	١١	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	٤	٢	١	٣	٣٠ للبرميل الكبير
٢٩ مدينى لكل ١٠ ألواح	٤	٢	١	٣	١ — ١٥ للواحد
١٢٪	٤	٢	١	٣	٧ للكانلة
١٢	٤	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
٣٠ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١٠٪	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	—	—	—	—	———
١٢	٧	—	—	—	١٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	١	١	٣	٣٨ للصندوق
٣٦ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١٥ »
١٠٪	١٠	—	—	—	١٠ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	٥—٩ للسلة
١٠	١٠	—	—	—	١ لكل موقد
١٢	١٠	—	—	—	١٣ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	—	٥	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	—	—	—	—
صابون { عجين	١٠	١١	—	—	—	—	—
صابون { سائل	—	١١	—	-	—	—	—
فرشاة للصاغة	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
مناشير	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	—	—	—
سروج للركاب ، إلخ	١٠	—	—	—	—	—	—
مناشف (فوط)	٥	—	—	—	—	—	—
شراب السكر (شربات)	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
حرير	٥	—	—	—	—	—	—
حرير وارد بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير مطبوع وقيطان حرير	—	—	—	—	—	—	—
حراير	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
منفاخ	١٠	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	١١	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
أحذية	٥	١٠	—	—	—	—	—
لاوندة	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
سليماني	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
سكر	—	—	—	—	—	—	—
ودك (شحم الأمعاء)	—	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشترها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	—	—	٥½ للرطل
١٢	٤	—	—	—	١٨ للصندوق
القادم من سوريا ٣٠٪ البالة الصغيرة ومن دمشق ١٠٪	٤	٢	—	—	٣ - ٣٠ »
	٤	٢	—	—	٣ - ٣٠ »
٪٥	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٠	١٠	٢	—	—	٤٠ للصندوق
١٠	—	—	—	—	
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	١٠	—	—	—	١ - ٣ للواحدة
—	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١١ - ٢٠ مدينى للرطل	٤	—	—	—	٢ - ٧ للرطل
—	٤	—	—	—	٢ - ٧ »
٪١٢	١٠	—	—	—	٥ للعلبة
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ - ٦٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	٦ لكل ١٦٥ رطلا
١٢	٤	—	—	—	٢ لكل زوج
—	١٠	٢	١	٣	٩٨ البرميل الكبير
—	٤	٢	١	—	٨٠ لكل ٧٥ رطلا
١٢					
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
أحزمة سرج صوفية	—	—	+	—	—	—	—
تبغ	١١	—	—	—	—	٣—٥	—
سجاجيد للأرائك	٥	—	—	—	—	—	—
« من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
دردى	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
لوازم النسج	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من بيروت وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
Taiole	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الضهور وبغداد وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الهند	١٠	—	—	—	—	—	—
« حريرية	٥	—	—	—	—	—	—
« منقوشة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
تنباك (نوع من التبغ)	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم النارجيلة	٥½ - ١٠	—	—	—	—	—	—
مصنوعات زجاجية	١٠	—	—	—	—	—	—
« « وكريستال	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
نبيذ	—	—	—	—	—	—	—
خل	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣ ٥	٣ - ٥	—	٥
أحذية قديمة	١٠	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	إلى بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	من تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١½ — ٢½ مدينى للسرج	٤	—	—	—	٣ - ١٢ للواحد
من تركيا ١٠٪ ، من سوريا ٢ - ٤ للأقة؛ لسعوط ١٢٪	٤	٤	١	—	٢٧ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٢ - ٥ للواحدة
١٠	٤	٢	—	—	٥ - ١٢ »
—	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل
١٠	٥	—	—	—	٣ - ١٥ للقطعة
٥	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠٪	٤	٢	—	—	١ لكل أربعة
١٠	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٣ - ٤٠ »
١٠	٤	٢	—	—	١ - ١٢ »
١٠	٥	٢	١	٣	٤ - ٢٠ »
١٢	١٠	—	—	—	٢٨ للبالة
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	٤	٢	١	٣	٧ للقنطار
١٠	—	—	—	—	—
٥٠ مدينى للبرميل	—	—	—	—	—
—	٤	٢	١	٣	٧٥ للبرميل الكبير
١٠٪	٤	—	—	—	٢ للزوج

تجـــارة الجزيرة العربيـــة والهنـــد

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
ألوة (صبر)	١٦٥ مديني للقنطار
عنزروت	١٦٥ » »
حتليت	٩٩ » »
مرهم من مكة	١٦٥ » »
صمغ جاوة (لبان جاوة)	١٦٥ » »
خشب هندى	٩٩ » »
خشب عطرى	لا يسدد أى رسوم
خشب الصندل	١٦٥ مديني للقنطار
خشب فرنامبوك	٦٦ » »
بن من موخا	٤٠٠ مديني للفرد
بن بقشره	٨٢ » »
قرفة	١٦٥ » »
قاقلة (بذور تنتج زيوت عطرية)	٣٤٠ مديني للقنطار
أحزمة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
شيلان	شرحه
ششم	٦٦ مديني للقنطار
جوز الهند	٢٥ » »
حلويات	لا تسدد أى رسوم
كوبال (صمغ للطلاء)	١٦٥ مديني للقنطار
البوصير (ثمرة سم السمك)	٦٦ » »
غزل قطن هندى	لا يسدد أى رسوم
—	٩٩ مديني للقنطار
سن السمك	٢٦ » للأردب
—	لا يسدد أى رسوم
—	شرحه

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
بخور	٢٣ مدينى للقنطار
أقشة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
—	١٦٥ مدينى للقنطار
أقشة قطنية	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
تنباك (نوع من التبغ)	لا يسدد أى رسوم
زنجبيل	٦٦ مدينى للقنطار
صمغ	لا يسدد أى رسوم
صمغ	١٦٥ مدينى للقنطار
صمغ لك(عصارة راتنج لصبغ الجلود)	٣٢ « «
بذور سوداء	لا تسدد أى رسوم
حب الملوك (بذور مسهلة)	٢٩٦ مدينى للقنطار
أصابع هرمس	٦٦ « «
نيلة وارد الهند	١٩٨ « «
خولان (عقار طبى)	١١٠ « «
كركم	٦٦ « «
—	٦٦ « «
ليف	لا يسدد أى رسوم
موسلين	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
إهليلج	٦٦ مدينى للقنطار
مر (أو صبر)	١٦٥ « «
جوز ضد القيء	٣٢ « «
جلود ماعز وخراف	لا يسدد أى رسوم
جالونات وارد الهند	٦٦ مدينى للقنطار
فلفل	١٣٢ « «
فلفل بالقرنفل	٩٩ « «
خزف	قطعة عينا عن كل ٢٠ قطعة

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
جذور (نبات) لتنظيف الاسنان	لا تسدد أى رسوم
راوند	٩٩ مدينى للقنطار
ريتة (ثمرة شجر الصابون)	٣٢ « «
زرنيخ أحمر	١٦٥ « «
قاتل الدود (دواء)	٩٩ « «
سنامكى	لا يسدد أى رسوم
لاوندة هندى	٦٦ مدينى للقنطار
تربد (جذور عشب مسهلة)	٩٩ « «
جذور الزعفران	٦٦ « «

الصـــــادرات

تجـــارة ســـنار ودارفور وفـــزان

السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة	السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة
عنبر مرجان سن السمك مذهبات أجواخ أقشة حريرية قرنفل	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل	نصال سيوف محلب مرايا ذهب لميع خردةوحدايد لاوندة أقشة قطنية	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل

تجـــارة اوربا وآســـيا وبلاد البربر

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية[1]			فى دمياط[1]
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
الصلب	—	—	—	١٠
ألوة (صبر)	٥	٢٢ مدينى للقنطار	٣	١٠
ينسون	—	—	—	١٠
حتليت	٥	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
أطباق من الخزف	—	—	— —	١٠
مرهم من الهند	١٠	-	—	—
قمح	--	—	-	—
خشب الألوة	١٠	—	—	
خشب هندى	—	—	—	١٠

(١)(١) كانت الرسوم التى تحصل فى الاسكندرية ودمياط تفرض دون تمييز على التجار من كل الجنسيات وكانت تتم جبـايتها طبقـا لتقدير السلع المصـــدرة ادنى من قيمتهـا الأصلية .

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى البلاد السلطانية والبربر وأوروبا
	٪	٪	٪	٪
خشب عطرى وخشب للصباغة	—	—	—	١٠
خيوط وبر .	—	٢ مدينى للقطعة	—	—
مشاقة (وبر) حرير	—	٣٠ » »	٣ ٪	—
وبر صنع القاهرة	—	١٥ » »	٣	—
وبر عادى	—	٢٥ » »	٣	—
وبر أحمر	—	٣ » »	—	—
بن	٣٠ مدينى للقنطار	١٦ ½ مدينى للقنطار	٣	٣ مدينى للقنطار
قاقلة	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
رماد الصودا	٢ مدينى للقفة	—	٤٠ مدينى للقفة	—
أطواق (إطارات)	—	—	—	٢٠ مدينى لكل ١٠٠ إطار
شيلان صوف من الفيوم	٣ مدينى للواحد	—	—	٣ مدينى للواحد

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
شيلان وأقمشة من الهند	١٠	—	—	١٠
خمارات (خمار)	—	—	—	١٠
ششم	٥	٣٣ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى للقنطار
مسامير (حجم كبير)	—	—	—	٪ ١٢
القرمزية	—	—	—	١٠
ثمار جوز الهند	٥	—	—	١٠
. . . .	—	٣٣ مدينى للبالة	—	—
كوبال (صمغ للطلاء)	٥	٪ ٨٦	٣	١٠
ثمرة البوصير (سم السمك)	٥	١٢٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
قرون الثيران والماعز	—	—	—	١٠
قطن على هيئة لوزات	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى بلاد البربر	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى بلاد النصارى	... فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
قطن فى شكل رزم	—	٢٧ ½ مدينى للقنطار	٣	١٠
غزل قطن من الهند	١٠	—	٣	—
غزل قطن أحمر	—	٣٠٠ مدينى للقنطار	—	—
غزل قطن أزرق	—	٢٠٠ » »	—	—
غزل قطن أبيض	—	٥٥ » »	٣	—
أغطية حمراء	٤ مدينى للغطاء الواحد	—	—	—
أغطية وسجاجيد من الهند	—	٢٠ مدينى للقطعة	—	—
أغطية من سوريا	—	٦ » »	—	—
شعر عرفة الخيول	—	—	—	١٠
جلود جاموس	٤ مدينى للجلد	٦ مدينى للجلد	٣	٣ مدينى للواحد
جلود بقر وجمال وثيران	٢ » »	٦ » »	٣	٣ مدينى للواحد
عجوة	٣ مدينى للقفة	١٣ مدينى للقنطار	٣	٢ مدينى للقفة

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠٠٠ فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
بلح مجفف (تمر)	١٢—١٣ مدينى للقنطار	١٣ مدينى للقنطار	٣	٤٥ مدينى للقفة
سن سمك	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	—
ديميتى منقوش وهو أقمشة قطنية تسمى نانكين أو بازان ويسميها الإنجليز ديميتى	—	٢ مدينى للقطعة	٣	—
ماء الزهر	—	—	—	١٠ ٪
بخور	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
عبيد سود	٢٥ مدينى للواحد	—	—	—
عقاقير طبية من كل نوع	٥	٦ مدينى للقنطار	٣	١٠
قصدير	—	—	—	١٠
أقمشة صوفية تسمى زعبوط		—	—	٥ مدينى للقطعة
أقمشة حريرية من الاسكندرية والمحلة الكبرى	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	٠٠٠ فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
زنك	—	—	—	١٠
حديد على هيئة قضبان	—	—	—	١٠
زنجبيل	٥ ٪	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
صمغ	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—
صمغ الك	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
بذور كمون	—	—	—	١٥ مدينى للأردب
كتان خشن	—	—	—	٢ مدينى لكل حولة
حناء (لصبغ أظافر وشعر النساء)	٤–١٦ مدينى للجوال تبعاً لحجمه	٦½ مدينى للبالة	—	٨ مدينى للبالة الصغيرة
أصابع هرمس	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪
النيـــلة: درجة أولى	—	—	—	٨٠ مدينى للقنطار
النيـــلة: درجة ثانية	—	—	—	٦٠ مدينى للقنطار
النيـــلة: درجة ثالثة	—	—	—	٤٠ مدينى للقنطار
عاج	٥ ٪	١٢٥ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪		٪	٪
كلخ	—	١١٠ مدينى للقنطار	—	١٠
خولان (عقار طبي)	—	١١٠ » »	—	١٠
كركم	٥	٨٦ » »	٣	١٠
صوف	—	٢٧ » »	٣	١٠
خضروات وحبوب وعلف	—	١٦ مدينى للإردب	١٦ مدينى للإردب	١٠٠ مدينى للإردب
كتان	٥	٤ مدينى للبالة	٣	١٨ مدينى لكل ١٠٠ رطل
كتان مغزول	—	٦ مدينى للبالة الصغيرة	٣	٢٦½ » » » »
حواشي جوخ	—	—	—	١٠ ٪
قدور نحاسية	—	—	—	١٠
موسلين من الهند	١٠	—	—	١٠
اهليلج	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
مر	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
صدف لؤلؤ	—	٦٦ مدينى للبالة	٣ ٪	—
ملح النطرون	—	٣٣ مدينى للبالة	٤٠ مدينى للقفة	—
حصر	—	—	—	٢ مدينى للواحدة
بندق	—	—	—	١٠ ٪
بندق من الهند	١٠	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
جوزة القيء	٥	٨٦ « «	٣	١٠ ٪
جلود	١ مدينى لكل جلد	—	--	١ مدينى لكل جلد
جلود رقيقة	٨ « « «	—		٣ مدينى لكل جلد
ريش النعام	٥ ٪	—	٣	١٠ ٪
حمص	—	—	—	٩ مدينى للإردب
سمك مملح	٤١ مدينى للبرميل الكبير	—	—	—
سمك مجفف	٨ مدينى للبرميل	—	—	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
فلفل	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
خزف	١٠	—	—	—
رصاص بنادق	—	—	—	١٠ ٪
مسحوق لصباغة الخيول	—	—	—	٣٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
أرز	—	٤ مدينى للأردب	١٣٣ مدينى للأردب	٧٠ مدينى للأردب
عباءات صوفية للفلاحين	٢ مدينى للواحدة	—	—	٣ مدينى للقطعة
زهور جافة	—	٢٧½ مدينى للقنطار	—	—
زعفران	—	—	—	٦ مدينى لكل ١٠٠ رطل
ذكر —	٥	١٣ مدينى للبالة	٣	١٠ ٪
ملح	—	—	—	٢٥ مدينى لكل ١٠ أرادب
ملح النوشادر	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١ مدينى للرطل
ملح البارود	—	—	٣	١٠ ٪
بذور اليسر	—	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠٠٠ فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
سنامكى	٥	—	٣	١٠
خيش	—	١ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع دمشق	—	٦ - ١٢ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع القاهرة	—	٦ مدينى للقطعة	—	—
كبريت	—	—	—	١٠
سكر	٥	٢٠½ مدينى للقنطار	٣	١٠
سكر مكرر	٥	٤١ مدينى للقنطار	—	١٠
تبغ	١٠	—	—	١٠
بودرة تبغ (سعوط)	—	—	—	١٠
تفتاز	—	—	—	١٠
تمر هندى	٥	٤٥ مدينى للقنطار	٣	١٠
مناخل (منخل) ناعمة	—	—	—	١٠
فناجين من الخزف	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية				... فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى		الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪		٪
لوازم النسج	—	٣٧ ½ مدينى للقنطار	٣		—
أقشة همايونى	—	٤٠ مدينى للقطعة	—		—
صلصال لصنع النارجيلات	—	—	—		٥
أقشة عاتكى	—	١٥ مدينى للقطعة	—		—
« زرقاء	—	٣ « «	٣		—
« ضابولى من القسطنطينية	—	٢٠ « «	—		—
« « من مصر	—	٥ « «	—		—
« « عادية	—	١٠ « «	—		—
« من القطن	—	—	٣		٣٠٠ مدينى للبالة
« « الكتان	—	—	٣		—
« « « للقمصان	٢ مدينى للقطعة	—	—		—
« من الهند	—	—	٣		١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: الى بلا السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
أقشة ملونة	—	٦ مدينى للقطعة	٣	—
» فيتللى درجة أولى	—	٤٠ » »	—	—
» فيتللى عادية	—	٣٠ » »	—	—
» فيتللى شعبية	—	٢٠ » »	—	—
» حبشى	—	٣ » »	—	—
» للأرائك	—	٤ » للبالة	٣	—
» للقلاع	—	—	—	١ مدينى للقطعة
» سهن	—	٣ مدينى للقطعة	—	—
عمائم	—	٣٠ » »	—	—
خراطيم نارجيلات على شكل أعواد	—	—	—	١٠
جذور الزعفران	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	١٠

تجارة الجزيرة العربية والهند

السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس	السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس
صلب ابر عنبر أصفر سلفور الرصاص زرنيخ قمح مواسير بنادق قرمزية ومصنوعات زجاجية من كل نوع أجواخ شعبية حديد فول أسلاك حديد	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم	أسلاك نحاس أصفر نصال سيوف عدس مرايا ذهب لميع ورق ناعم مصقول قروش أسبانية رصاص أرز جنيهات ذهبيةمن البندقيه كبريت تالارى (ريال) امبراطورى نحاس قديم أملاح معدنية	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم

وكانت الواردات القادمة من ممالك سنار ودارفور وفزان تبلغ النيل عادة عند اسوان او سيوط . وقد لا يكون بوسعنا أن نضفى أية صبغة من الشرعية على الرسوم التى قررت العادة سدادها فى الولايات التى تعبرها هذه الواردات قبل أن تصل الى القاهرة ، ولقد أدى سلوك الحكام الذين فرضوا هذه الرسوم بشكل استبدادى الى نشأة مبدأ خلاصته أن من المستحيل ان يدع واحد من البكوات قافلة تمر بولايته دون أن يخضعها لأداء ضريبة له . ولقد تحولت هذه المطالب التى كانت تعسفية فى الأصل ، بسبب تقادمها وبسبب مراعاة أولئك الذين قرروها لعدم المبالغة فى مقدارها حرصا على مصالحهم ، وحتى لا تؤدى الى توقف التجارة التى تتحملها — تحولت فى السنوات الأخيرة الى اتاوات مستقرة ومعترف بها . ومن المعروف ، أنه بخلاف الرسوم التى كانت تسدد فى جمرك مصر العتيقة :

كان يدفع عن اي عبد او امة		٤٨٠	مدينى
والجمل المحمل بالصمغ		٩٠٠	»
»	» بريش النعام	١٫٩٨٠	»
»	الذى لا يحمل شيئا	٢٤٠	»

ومنذ أصبحت مصر فريسة للانقسامات الداخلية ، ومنذ أصبح الصعيد هو مأوى الحزب الذى تدور عليه الدوائر ، وجرجا هى المقر المعتاد للبك الموكل بأمر احتواء هذا الحزب ، بدأت القوافل التى كانت تصل الى أسوان لتعبر على التوالى الولايات التى يحتلها كلا الحزبين المتنافسين تتعرض لسداد ضعف الرسوم المعتادة .

وبخلاف هذه القوافل ، كانت هناك قوافل أخرى تصل الى بولاق ، قادمة من الطور ومن وسط افريقيا ومن سوريا .

وكانت الأولى ، وهى تتألف من عربان يقطنون جبل سيناء ، تنقل الى القاهرة والى كل مصر السفلى الصمغ والفحم والكمثرى ، وكانت هذه السلع تخضع لرسوم دخول مقررة فى جمرك بولاق (١) .

---

(١) لم يكن الفحم يدفع اى رسوم .

أما الغرض الرئيسى للقــافلة فكان هو الحج الى مكة ، وكانت تبدأ من أقاصى امبراطورية مراكش متخذة طريقها الى القاهرة ، ضامة اليها فى طريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس ثم تكمل رحلتها مع قافلة مصر سابقة أياها أو متخلفة عنها بمسافة مسيرة يوم واحد .

وكانت هذه القافلة تضم بعض التجار يحملون الى الجزيرة العربية سلعا صــغيرة الحجم مثل الأجواخ والقرمزية الخ ، ويجلبــون منها البن المشهود له بأنه أجود أصــناف البن ، وذلك بسبب عدم مروره بالبحر ، كما يجلبون كذلك الشيلان والبخور ، وبصفة عامــة كل ماخف حمله وغلا ثمنه . ولم يكن هؤلاء التجار يسددون أى رســوم جمركية ، ذلك أن كل السلع التى تصــدر أو ترد مع قافلة الحج ، كانت معفاة من كل الرسوم.

وعندما تكون الملاحة خطرة ، كانت تصل من سوريا بعض القوافل ، حاملة نفس السلع التى تمد بها هذه البــلاد مصر عن طريق دميــاط ، وفى هــذه الحالة كانت صــادرات مصر الى سوريا تصل اليها عن نفس الطريق ، وكانت رســوم الدخول والخروج تقتصر على تلك التى تحصل فى جمرك بولاق .

وكانت التجارة مع أوربا تنهض مستقرة على اسس اتفاقيات تحــدد الرسوم التى ينبغى عليها أن تسددها،وتعود أقدم هذه الاتفاقيات طرا ، وهى تلك التى عقدت مع الفرنسيين والبنادقة ، الى فترة قريبة من وقت فتح مصر على يد السلطان سليم ، وبعد ذلك تمتع بنفس هذه الامتيــازات كل من الألمــان والانجليز ، ثم على التوالى كل الأمم الأوربية التى تحالفت مع العثمانيين ، ويكفى أن نقــارن الرســوم التى كان رعايا السلطــان يدفعونها ، بتلك الرسوم بالغة الاعتدال والتى تحصل من الأوربيين ، كى نتبين المزايا التى كان الآخرون يتمتعون بها ، ولم تكن ثمة ســوى حالة واحدة يحظى فيها المصريون أو الأتراك بمعاملةافضل من معاملةالأوربيين، هى حالة شرائهم السلع من الاسكندرية بقصــد ارسالها الى القــاهرة ، فقد كانوا عندئذ يخضعون لسداد رسم ثابت بسيط عن كل بالة أو قطعـــة ، يؤدونه فى بولاق ، فى حين كان الأجنبى الذى يفعل نفس الشىء يدفع رسما قدره ١ أو ٢٪ ، وهو نفس الرسم الذى يخضع هو له حين تصــله نفس هذه السلع من اوربا أو تركيا .

لكن ذلك لا يحول بيننا وبين ان نتبين الى اى حـد كانت التجـارة الأوربيـة تحت السيطرة الاسـتبدادية للماليـك ، تتعـرض للابتزازات وللمعاملات السيئة ، وقـد يكون تقـدير السلع لايزال حتى اليوم ادنى من قيمتها الفعلية « عند تقدير الرسوم » ، ومع ذلك فان مطـالب التجار التى تنهض على اسس اتفاقيـات تسليم تتعـارض مع كل تغيـير فى السلع لم تكن لتحول دون تقييم هذه السلع بشكل يتنـاسب مع قيمتهـا المـالية ، ولقـد كان من المتفق عليه بجلاء ان السفينة الافرنكية «الأجنبية» التى تسدد الرسوم فى احد ثغور الامبراطورية (العثمانية) تتمتع باعفـاء كامل فى بقية الثغور بمجرد ابرازها التـذكرة « تذكرت » التى حصـلت عليها من الجمرك هنـاك ، ومع ذلك فلم يكن هناك من يعترف بهذا البند فى الاتفاقيات ، فكانت المراكب الأوربيـة القـادمة من ولايات السـلطان تعامل وكأنها حملت فى الموانى التى قدمت منها ، سواء أبرزت أو لم تبرز « تذكرت » الجمارك .

وكان محظورا تصـدير الغلال والأرز والبن على السفن الأوربيـة وكذلك على السفن اليونانيـة برغم انها من رعايا السلطـان ، وان ظل التدليس يهيىء على الدوام لهذه السلع ان تدخل ضمن حمولات هذه السفن مقابل بعض الهدايا ، لكن تصدير القمح والأرز كان اكثر من ذلك صعوبة ، وكان الأمر يتطلب خرقا اكبر للوائح التى تمنع تمام ذلك عن طريق سـفن مسيحية حتى ولو كانت هذه الحبوب متجهة الى احدى ولايات الامبراطورية «العثمانية » ، ومع ذلك فحيث امكن استصدار فرمان خول لنا حق نقلها بحرا فى حالة انعـدام وجود سفن مسلمة ، فقد توصلنا عن طريق هذه الحيلة الى نقل هذه الغلال الى اوربا بعد ان كانت سفننا تقوم بجولة لواحد من الثغور التركية ، وهكذا امكن لفرنسا خلال عام ١٧٩٣ والأعوام التالية ان تستورد الـكثير من السلع الغذائية من مصر . وكانت كل حمولة من هذا النوع تدفع من ١٣ الى ١٥ الف مدينى رسوما جمركية ، وبالمثل فقد ادخلت العـادة رسم تخليص على الحمـولات التى تتكون من سلع اخـرى كان تقديرها يتم بالاتفاق بين رجال الجمارك وقبطان السفينة . وكانت سفن راجوزة تخضع بالاضافة الى ذلك لرسم قدره ٢٪ لصالح حكومتها ، التى كانت تترك ١/٢ هذا الرسم للجمرك حتى تكفل لرعاياها وسـائل شـحن سهلة . ومع ذلك فان هذه البـدع التى كان الافرنج يخضـعون لها حتى يحصلوا على عمليات تجارية مربحة أو يقوموا بجولات كانت محظورة عليهم

لم تكن مجحفة او ضــارة بالتجارة الا فى انها كانت الأساس الذى هيــأ لنشأة اتاوات اخرى باهظة بشكل حقيقى .

وفى عهد حكومة على بك قام حنا فخر ، المسيحى السورى ، والذى كان قــد حصل على التزام جمرك دميــاط بكثير من المــكائد والدسائس حتى أمكنه الحاق الدمار باليهود،ففقدوا التزام الجمارك الذى كانوا يديرونه منذ زمان لاتعيه الذاكرة .

وقــد سبق لنــا القول بأن الرســوم التى تحصــل عن السلع فى الاسكندرية أو دمياط لم تكن لتعفيها من أن تسدد رسوما جمركية أخرى فى بولاق عندما تصل الى القاهرة ، ولما كان ملتزمو الجمركين الأولين متوحدى المصالح مع ملتزمى جمرك بولاق فقد كانوا يزودون التجار بوسائل تمكنهم من التخلص من جزء من الرسوم واجبة الأداء فى الجمرك الأخير ، ولــكن حين أصبح حنــا فخر ملتزما عموميا فقد أبطل امور التدليس هذه وذلك بأن وضع تحت أمرته عوائد جمارك الاسكندرية ودميــاط وبولاق(١) ، ومــع ذلك فان عدم حرصه على أن يحتفظ لــكل جمرك باختصاصاته المتميزة ، بالاضــافة الى لا مبالاته التى كان يرى معها أنه سيحصل ولابد فى بولاق على ما كان ينبغى ان يحصل عليه فى الاسكندرية أو دمياط ــ كل ذلك قد القى بالشكوك حول العــائد الخاص الذى يحققه كل جمــرك ، وفى نفس الوقت فان اضطراب هذه العوائد ، وهــو الأمر الذى جر معــه اضطرابا فى الرســوم الجمركية نفسها ، قــد أدى بالضرورة الى انعدام التوافق أو التلاؤم الذى كان ينتظر حدوثه من وراء ادخالها (الجمارك) ضمن التزام شخص واحد . ولقد فرضت تحت ادارته ، وتحت ادارة الذين أعقبوه ، رسوم باهظة على كل الرحلات الى ليفورينو وتريستا ، كمــا خضعت السفن التركية والافرنجية التى كانت تشحن فى دمياط ، بالاضافة الى ذلك ، لأداء اتاوة تــدرها ٢٠٠ بوطاقة ، ظلت تتضاعف خلال السنوات الأخيرة حتى بلغت نصف رسوم شــحن ، وحيث لا تقدم أية ذرائع لتبــرير مثل هذه المظالم الاستبدادية ، فقد كان بمقدور التجار أن يجــدوا دوافع

---

(١) لم يكن جمرك بولاق مستقلا عن جمرك مصر العتيقة فيما يختص بتسديد الميرى ، ومع ذلك فقد ضمن الأول فى عقد مدير عموم الجمارك فى حين ظل الجمرك الثانى فى عهدة وكيل خاص .

حقيقية لالقاء اللوم على وكلاء الامم الأوربية فى تساهلهم فى هذه الأمور لولا انهم يدركون كيف انه من العسير على هؤلاء أن يصارعوا بنجاح ضد رجال الجمارك فى مصر . ولقد كانت المكاسب التى يهيئها رجال الجمارك لهؤلاء البكوات تضمن لهم سطوة تجعل كل شىء رهن مشيئتهم فى المواقع والثغور التى يتم فيها تحصيل الرسوم ، وكان السردارات والأغوات والضباط العسكريون الآخرون الذين يتولون القيادة هناك يجازفون بمناصبهم أو بتعريض انفسهم للعقاب اذا هم ساروا على غير هوى هؤلاء . وكانت الوسائل العديدة التى فى حوزتهم والتى يستطيعون بها تسهيل أو تعويق أو حتى منع عمليات الشحن تخضع التجار والأمر كذلك لسطوتهم (١) .

أما فى جمرك السويس فلم ترتفع الا الرسوم المقررة على البن ، فمنذ نحو سبعين عاما أمر الباب العالى نفسه بأن تزيد هذه الرسوم لتبلغ ١٤٦ مدينى عن كل فرد لصالح أمير الحج ، كما فرض الكخياوان ابراهيم ورضوان لحسابهما خمس بوطاقات أخرى عن كل فرد ، اما على بك الذى تلاهما فى الحكم فقد غالى فى هذه البدعة ، وأخيراً وصل بها مراد وابراهيم الى ١٨ بوطاقة (عن كل فرد) حين توقف صندوق الجمرك عن ايراد اية حصيلة .

ونقدم هنا بعض لمحات عن الأسباب التى ادت به الى هذه الحالة من الافلاس . فعندما حصل البكوات على نصيب من دخول الجمارك لم يتغير شىء فى الأسلوب المتبع فى تحصيل الرسوم . فبمجرد أن تلامس السفن المحملة بسلع الجزيرة العربية والهند شاطىء السويس كان افندى الادارة فى الجمرك — وهو يحمل اسم قاضى البحار — يرسل الى المرفأ كاتبا موكلا بتقدير واردات البن ، وبأن يحرر بيانا بأسماء التجار الذين وردت هذه السلع لهم : ويرسل هذا البيان الى قاضى البحار ليتخذ منه اساسا لتقدير وتوزيع الرسوم واجبة السداد والتى قررها الباشا والبكوات . وكان تسليم البن يتم فور تمام هذا الاجراء

---

(١) فر احدهم وهو انطون قسيس فرعون من مصر ليستقر فى تريستا بعد أن كدس ثروة طائلة تتكون من عدة ملايين من حصيلة التزام الجمارك .

ويقوم التجار الذين اصبحوا ملاكا لهذا البن بسداد الرســـوم التى قدرت عليه ، وقـــد استفاد قادة الحكومة من نظام للامور جعلهم فى علاقة منفعة مع التجار فحصلوا لأنفسهم منهم على قروض ، وأدت التســـهيلات التى قدمت لهؤلاء لاستيفاء ديونهم عن طرق خصـــومات تتم على مقدار الرسوم التى كان عليهم أن يسددوها طبقـــا لارساليات البن التى جاءتهم ، بالاضافة الى ربح (القروض) البـــالغ ٢٠٪ الذى وعدوا به والذى كان يضـــمن الحساب بالفعل — ادت بهؤلاء الى ان يصبحوا المساهمين والملتزمين لهـــذا الجمرك . ولم تلبث كل دخولهم أن أصبحت تعتمد اعتمادا تاما على هذه المنشأة . وهكذا كفت واردات البن عن أن نصبح وفيرة ، وتناقصت تبعا لنسبة الرســـوم التى حملت بها ، وكف التجار الأجانب عن ادارة الجمرك (أى الذين لا يتعاملون معها بالقروض) عن المضاربة على هذه السلعـــة الغذائية ، وحين رأى الأوربيون أنهم سيحصـــلون على فـــوائد اكبر اذا ماجلبوا هذه السلعة عن طريق رأس الرجاء الصـــالح فقد أخرجوها من طريقها المعتاد ، بل ان الشرقيين انفسهم أخذوا يفضـــلون استجلابها الى ازمير عن طرق Tokat والخليج الفـــارسى عن مواصلة التزود بها عن طريق السويس (١) ، وحين لم تعد رسوم البن تهيىء وسيلة أكيدة لتغطية القروض التى لم يكن البكوات يكفون عن أن يجعلوا منها مصدرهم الثابت للدخل أصبح خراب المساهمين أمرا يستحيل تجنبه ، وبعد بضع سنوات شعر البكوات خلالها بمدى الخسارة الهائلة التى لحقت بهم، إذ كانت الأرصدة التى تهيئها الجمارك قـــد ضاعت ، وظل سداد القروض معلقا .

وعندما طرد القبطان باشا حسن البكوين ابراهيم ومراد من القاهرة، وولى مكانهما اسماعيل بك ، فقد أراد الأخير اعادة قيـــام تجارة البن فثبت رسوم الجمـــارك بـــ ٢٢ بوطـــاقة عن الفرد (*) وفى نفس الوقت فقد ضمن هذا الرسم الـــ ٥٤٦ مدينى المخصصة للبـــاشا وأمير الحج وكذلك الـــ ٩٠٠ مدينى اللازمة للوفاء بالديون المستحقة للتجار (على البكوات) وقد ادت هـــذه اللائحة الى احيـــاء الثقة ، وجدد التجـــار المصريون (٢)

---

(١) وهذا برهان جديد على ان التجارة تستطيع فى النهاية أن تشق لنفسها طريقا آخر كى تتملص من المظالم الخرقاء .

(*) كما سبق القول فان الفرد هو بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

(٢) لم يكن التجار الأجانب المقيمون بمصر يتلقون أية ارسالية بن من الجزيرة العربيـــة ، بل كانوا يشـــترون من التجـــار المصريين البن الذى يصدرونه الى أوربا .

معاملاتهم ، واوشكت الواردات ان تماثل فى حجمها الكبير ماكانت عليه فى الماضى ، ومع ذلك ولسوء الحظ فقد مضت التجربة دون أن يستخلص منها الاستبداد الجشع والنهم الدرس الواجب استخلاصه ، فما أن استقر ابراهيم ومراد بالقاهرة مرة اخرى حتى بدءا ابتزازاتهما من جديد ، وأعادا الأمور تريبا من الحالة التى وجدها عليها اسماعيل ، ولم يتغير عائد الجمرك (اى لم تزد حصيلته) بسبب الرسوم الباهظة التى فرضاها ، لسكن الواردات هى التى اصبحت بالغة الضآلة .

ولم تكن السلع الأخرى التى تصل عن طريق السويس تدفع شيئا آخر بخلاف الرسوم التى انشأها السلطان سليمان ، ولسنا نجد سببا يفسر هذا الاعتدال الذى يتناقض كثيرا مع الاساليب المعتادة فى الادارة المصرية .

وبخلاف ذلك كانت تجبى فى كل مكاتب تحصيل مصروفات جمركية بلغت حدا من الكثرة انها كانت تشكل عائدا ضخما للملتزمين وتغطى مصروفات المكاتب ورواتب الكتبة ، فقد كانت كل السلع تخضع لهذه الرسوم حتى تلك السلع التى كانت تجارتها حرة . وكانت هذه المصروفات اقل جسامة بالنسبة للاوربيين عنها بالنسبة لابناء البلاد .

وكان رجال جمارك بولاق ومصر العتيقة والاسكندرية والسويس قد اكتسبوا ميزات وظائفهم بحصولهم من الباشا على الفرمان الذى انشأ أو اعترف لهم بالمراكز التى يشغلونها والذى أخضعهم لدفع الميرى :

فكان جمركا مصر العتيقة وبولاق .

يدفع . . . . ٢٠٨٠ر٢ مدينى

وكان جمركا الاسكندرية يدفع . . . ٢٧٠٤٠ر٢٧

وكان رجال الجمارك بالسويس يدفعون :

بالنسبة للشخص المقيم منهم بالقاهرة ١٦٣ر٤٣٣

بالنسبة للشخص المقيم منهم بالسويس ٤١٠

عن الموزان ٥١٠

الاجمـــالى . . . . ١٩٣ر٤٧٣ مدينى

تعادل ٥ر١٥ س ٦ر٩٠٩ جنيها توريا ، وتعادل بالفرنكات ، ٤٦ س ٦٨٢٤ر٦ فرنكا فرنسيا .

وحيث شغل المدير العمومى للجمارك المعين فى عهد على بك كل هذه المراكز فيما عدا مركزى مصر العتيقة والسويس فقد سدد الميرى المقرر عليها ، ولا نعرف لماذا لم يسلك الباشا نفس السلوك تجاه مدير جمرك السويس ، خصوصا منذ أصبح هذا الجمرك مضمنا عقد الملتزم العمومى.

وقد انشأ البكوات المماليك جمركين آخرين فى القصير ورشيد .

وقد حال الاتجاه الذى سارت فيه حكومة القاهرة لجذب تجارة الجزيرة العربية الى السويس ، دون ان يكون حجم انزال السلع فى القصير كبيرا ، وكانت الرسوم الجمركية تحصل هناك (فى القصير) لصالح كاشف قنا لعادة قررها هو نفسه أو ورثها عن أسلافه .

ولم يكن الغرض من انشاء جمرك رشيد تقرير رسوم جديدة ، بقدر ما كان الهدف منه هو التحقق مما اذا كانت لم ترتكب أية عمليات خداع او تدليس فى جمركى بولاق والاسكندرية ، وهناك ، كان يتم التحقق من أن كمية ونوع السلع قد جاءتا مطابقتين للمخالصات الجمركية التى كان لابد من ابرازها وذلك بجعل حمولات السفن القادمة الى هذا الموقع تنتقل (من مراكبها) الى مراكب أخرى . وقد توصل رجال الجمارك — قبل مجىء الفرنسيين بسنوات قليلة — لأن يلحقوا بعمليات المراجعة والفحص هذه فرض رسم على كل كميات السلع ، وان كان الأوربيون قد تمسكوا بامتيازاتهم ولم يخضعوا مطلقا لهذه الرسوم ، وفى نفس هذا الوقت، سمح مراد بك ، بعد أن أغرته المكاسب الهائلة التى سوف تعود عليه من تصدير الحبوب الى العالم المسيحى ، بتصدير هذه الحبوب مقابل تحصيل رسم قدره زر محبوب واحد (عملة ذهبية) لكل أردب ، وادت عمليات الشحن البحرى التى كانت تتم فى رشيد الى نشأة جمرك ، جنى منه مراد ، وهو الذى كان يديره لحسابه الخاص ، أموالا طائلة .

وحيث لم يكن يدفع أى مال ميرى الى الخزينة عن جمركى القصير ورشيد فان من الضرورى أن نشير اليهما باعتبارهما عبئا مضاعفا على حركة التجارة ، وليسا باعتبارهما يشكلان جزءا من عوائد السلطان .

ولابد أن نضع فى نفس هذه المرتبة تلك الرســـوم التى كانت تفرض على التجارة الداخليـــة ، والتى كانت تعرف فى بولاق والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس باسم جمارك صغرى ادت الى نشاة ضرائب أو مكوس على الاستهلاكات (التجارة) ، وكان التزام هـــذه المـــكوس يعطى عادة لرجال الجمارك الذين كانت لديهم المعرفة التامة بطبيعتها وتنوعاتها المعقدة .

ونقدم فيما يلى جدولا بهذه الرسوم ، حصلنا عليه عن طريق هـــؤلاء الـــكتبة أو الموظفين الذين استبقيناهم فى وظائفهم بعد وصولنا .

تعريفة الرسوم التى تحصل باسم جمارك صغرى فى مصر
على السلع القادمة من الخارج
وعلى السلع القـــــادمة من داخل مصر

---

١ — سلع قادمة من الخـــارج

السلـــع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المـدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس
أبا قدار (نوع من البذور)	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عجين المشمش (قمر الدين)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	٤٥ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
إبر	—	—	—	شرحه	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ألوة (الصبار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صبر	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
صوفان	—	—	—	١٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوز	—	—	—	٢٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عنبر	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هلب مراكب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
فضة سبائك	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أسلحة	—	—	—	—	—	—	٩- ٢٤ مدينى للحمولة	—	—	—	—	١٠

سلفور الرصاص	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حتليت	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
طباشير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للصباغة	—	—	—	٢٠ للقنطار	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قلنسوات حمراء	—	—	—	٤٥ للصندوق	١٦م للعلبة	—	—	—	—	—	—	—
شمـــوع	—	—	—	٩٠ للصندوق	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
أساور زجاجية	—	—	—	٢٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—		—
زفت	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بن	٥٠م للبالة	—	—	—	٣٠م للقنطار إذا لم يدفع فى بولاق	—	٣٠ مدينى للقنطار	—	٢٢ إلى ٩٠ مدينى للبالة	—	—	—
خروب	—	—	—	١٠ للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
أحزمة مطرزة	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
خمارات (خمار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
شال صنع أنقرة	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
لحم	١م الجوال	٦م للقفة	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
كستناء	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي: مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية: مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مليمي								
مقصات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حسامير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مسبحات خشب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قرمزية	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
جوز الهند	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
من البندقية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوصيرى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبرميل	—	—
مرجان	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حبال	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
شكاكين شمبية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوتقات للصاغة	—	—	—	٢٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حلى من الزجاج والكريستال	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—

نحاس	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مطهر للأذن	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	٧ م للحمولة	—	—	٦٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن السمك	—	—	—	٤٥ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
أجواخ	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	شرحه	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
ماء قرنفل	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بخور	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٠ـ٦٠ للبالة	—	—
دبابيس	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية من بلاد البربر	—	—	—	٤٥ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوانيس زجاجية من البندقية	—	—	—	٥ للسلة	—	—	—	—	—	—	—	—
زنك	—	—	—	٤٥ للبرميل	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
حديد في شكل قضبان	—	—	—	٢ للقضيب	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تين	—	—	—	—	شرحه	—	٢ م للقفص	—	—	—	—	—
ورود اللاوندة	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
فواكه جافة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
بنادق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زنجبيل	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قرنفل	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ الكثيراء	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ عربى	—	—	—	٦٠ للقفص	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صمغ الطلاء	—	—	—	٩٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قطران	—	—	—	—	شرحة	—	—	—	—	—	—	—
زيت زيتون	—	—	—	١٠ للجرة و ٣٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خلاصة العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

مصابيح زجاجية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
محالب	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
رخام	—	—	—	٢٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
مربعات رخام	—	—	—	١ م للمربع	—	—	—	—	—	—	—	—
سلع فى صناديق	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
جلد فاسى أحمر وأصفر	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مستكة	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
رحى طاحون	—	١٤م لكل ٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
مرايا	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هاونات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
موسلين	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مر	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
صدف لؤلؤ	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
بندق	—	—	—	١٥ للجوال	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عفصة	—	—	—	٢٠ «	—	—	—	—	—	—	—	—
جوز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ذهب خام	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ذهب براق	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
قرب للمياه	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
شباشب واردالقسطنطينية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ورق واردجنوة	—	—	—	٢٢-٤٥ م للبالة	١½ م للرزمة	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
« « البندقية	—	—	—	شرحه	٦ م للرزمة	—	شرحه	—	—	—	—	—
جلود مصبوغة	—	—	—	٢٠ م للكوم	—	—	—	—	—	—	—	—
قداحات للبنادق	—	—	—	٢٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
فستق	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
رصاص	—	—	—	٥ للسبيكة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ريش النعام	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

فلفل	—	—	—	٩٠ للصندوق	٤٠ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	٣٠ م للقنطار	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
رصاص للبنادق	—	—	—	—	١٥ م للجرة	—	—	—	—	—	—	—
حدايد وخردة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
								—	—	—	—	—
جذور نبات الفوة	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
جذور السحلب	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	—	—	—	٢٠ للصندوق أو ١٠ للعلبة	—	—	—	—	—	—	—	
« « لصنع الخمور	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
راتنج	—	—	—	١٣م لكل ١٠ اقراص	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—
زعفران	—	—	—	—	٩٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—
سحلب	—	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—
فشاغ	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—
صابون	—	—	—	—	٢٠ للصندوق أو الجوال	شرحه	—	—	—	—	—	—
حرير	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندماتخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
حرابر	—	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—
منافيخ	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	١٨م لكل ١٠٠رطل	—	—	—	—	—	—	—
أحذية	—	—	—	٤٥ للبالة	١½ م للزوج	—	—	—	—	—	—	—
تبغ وارد سوريا	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
« « تركيا	—	—	—	٤٣-٨٠ للبالة	٤٨ م للقفة	—	—	—	—	—	—	—
أكياس نشوق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تفتاز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تمر هندى	—	—	—	—	٤٠م لكل ١٠٨رطل	—	—	—	—	—	—	—

سجاجيد للصلاة	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
سجاجيد بوبرة ومساحات قطم	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
دردى	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
تنباك	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم للنارجيلة	—	—	—	١٠ للكوم	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أكواب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
نبيذ				٤٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
زجاج نوافذ	—	—	—	٣٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—

٢ — سلع قادمة من داخل مصر:

أبسنت جاف	—	—	—	١٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
ثوم	١٣ م للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥م للقنطار	—	—	٩٠ للبرميل الكبير	—	—	—	٣٠للجوال	—	—	—	—
ينسون	٨ م للأردب	—	—	٣٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
أطباق	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مديني						مديني		
مراكب محملة بالمأكولات أو حطب الوقود	من ٤ - ٤٥ عن المركب الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سمن	٥ — ٤٠ م للجرة	٥ للجرة	—	٢٠ للجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
قمح	٧ م للأردب	—	—	—	—	$\frac{1}{24}$ عيناو ٢ م للأردب	١ م للأردب	—	—	—	—	—
أبقار	١٢ مديني للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خشب من الصعيد	٣٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
طواق بيضاء	واحدة من كل عشرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

ثيران	—	—	—	—	—	٩٠م للثور	—	—	—	—	—	—
قصب السكر	٢٨٠ المركب الكبيرو ٢٠ م لسكل ١٠٠ حولة صغير.	٣٠ مديني للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
كزبرة	٤م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان سوداء	—	٣م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان من الفيوم	١٩ – ٠٦٢ لكل ١٠٠ شال	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—
شمع من صنع البلاد	—	١٠٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حبال من لحاء الشجر	١٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون أبقار	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون ثيران	—	—	—	—	—	—	—	١٠ مديني للحزمة	—	—	—	—
قطن على شكل لوزات	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
قطن على شكل وبر	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	٩ — ٢٤ م للحمولة	—	—	٤٥ للبالة	—	—
قطن مغزول	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	٩٠ البالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد مدينى	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
أغطية صوفية	١٢م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« قطنية	١٠٣م لكل ١٠٠ قطعة	١٠-٢٥م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« للخيول	١م للغطاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جرار كبيرة (بلاص)	—	—	—	—	٤٦م لكل ٤ بلاليص	—	—	—	—	—	—	—
جلود أبقار وجاموس	١٣٧م لكل ١٠٠	—	—	—	٢م للواحد	—	—	١م للواحد	—	٣م للواحد	—	—
جلود من دمنهور	—	—	—	—	٢م للواحد	—	—	—	—	٣م للواحد	—	—
نحاس قديم	٣ — ٥٠م للقطعة	٢٤م للقنطار	—	٣٠م للبالة	٦ %	—	—	—	—	—	—	—
كمون	٦م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

بلح عجين (عجوة)	—	—	—	١٠م للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
بلح جاف (تمر)	١٢ - ٦٢م للقفة	—	—	٢٢-٤٥م للصندوق	١٠ م للقفص	٢٤م للقفص	—	٣٠م للجوال	—	٤ للقطعة	—	—
ديمتي منقوش (أقمشة)	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أغطية فراش مطرزة من دمياط	—	٢٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « «	—	١٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عقاقير طبية	—	—	—	٦٠ للبالة	٦ ٪	—	٩ — ٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
								—	—	—	—	—
ليف النخل	٥ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر الرمان	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة	—	—	—	—	—	—	٩ — ٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
								—	—	—	—	—
أقمشة من دمياط والمحلة الكبيرة	—	١ ٣/٥ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة عنبرى شغل الاسكندرية ودمياط	—	٢ ١/٤م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية	١٢٠ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية سوداء	٤٧ ١/٢ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس
أقمشة الحبرة من صنع المحلة	—	٢¼ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دقيق	٦ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فول	٧ م للاردب	—	—	١٠ للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—
فراء من الجلد	٩٠ إلى ٣٦٠ م للواحد	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوط وارد دمياط	—	١½ — ٥ للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جبن	٦ م للجرة	٢ - ٤٠ م للطرد	—	٢٠ للطرد	—	٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—	—
حنطه نابتة	٦ م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فواكه من الفيوم	٣ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

صمغ إنتاج محلى	٢٧٠ للقفة الكبيرة و١٠ للصغيرة	٨٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	٣٠ م لملء الحصيرة	—	—	—	—
بذور القطن	—	—	—	—	—	—	٨ م للاردب	—	—	—	—	—
« اللفت	١٢م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« زرعة	١ م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« النيلة	٢٠ م البالة	—	—	—	—	—	٣٦٠ م للاردب	—	—	—	—	—
« الكتان	½ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
الرمان	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
علف من أصناف مختلفة	¾ إلى ١٥ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حب العزيز[١]	—	٩ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حناء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٠ لكل جوالين	—	—
زيت الكتان	٥٠٠-٣م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
زيت اللفت	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
زيت السمسم	٥ — ٤٠ م الجرة	٣ـ ١٦م الجرة	—	١٥ الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—

(١) درنات صغيرة تزرع فى مصر السفلى وتتقرب فى مذاقها من الكستناء .

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الإسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الإسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس
حبوب النيلة وارد الصعيد	٢٦ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
» » » القاهرة	—	—	—	—	—	—	٥ م القفة	—	—	—	—	—
سمار لصنع الحصر	١١ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
صوف	—	—	—	٢ لكل قفتين	—	—	٩ - ٤٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
عدس مجروش	—	—	—	—	—	—	٦ م الأردب	—	—	—	—	—
كتان	٢ م للبالة	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خشن	—	—	—	—	٢٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—
كتان مغزول	٥ م الحمولة	—	—	٢٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان على شكل رزم	١٠٠ لكل ٢٠٠ حزمة	—	—	١٠ للحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان معبأ فى أجولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٨ - ١٥ م الجوال	—	—
مكرونة وشعرية	—	—	—	—	—	—	٥ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—

سلع من كل نوع مصدرة إلى مصر العليا	—	—	—	—	—	—	٩-٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
قدور من الفخار	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عسل اسود	٥-٣٦م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شمام	٦٠ - ١٢٠ م للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عسل نحل	٥ - ٤٠ م الجرة	٢ - ٢٥ م الجرة	--	٢٠م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
مناديل حرير	—	٥م الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« للسيدات	—	٢٥ لكل ١٠٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خراف	—	—	—	—	—	كيلو لحم من كل واحد	—	—	—	—	—	—
حصر من الفيوم	٢ م الحمولة	—	—	—	—	—	٢٥ م لكل ١٠٠ حزمة	—	—	—	—	—
بيض	بيضة ومدينى لكل ١٠٠	٥م للسلة	—	—	—	٢٤ م للحمولة و ٥٠ بيضة لكل قفصين	—	—	—	—	—	—
بيض وارد جرجا	١٤٦م للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
بصل	٢ مدينى الجوال	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—	—
برتقال	—	—	—	—	٤٠ م الصندوق	—	—	—	—	—	—	—
شعير	٧ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
بطيخ	٥ م الحمولة	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—		—	—	—
جلود ماعز	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	٣٠ الحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود خراف	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	—	٣ مدينى لكل ١٠٠ جلد	—	—	—	—	—	—	—
جلود رقيقة	—	١ م لكل ٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود طازجة	—	$\frac{5}{8}$ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حجر كدان (حجرهش)	٢٠ قرشا البالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

سمك ملح	—	—	—	—	—	—	٩- ٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
سمك جاف	١٠ ٪	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دجاج	—	٢م للقفص	—	—	—	دجاجة لكل قفص	—	—	—	—	—	—
عنب	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مواقد فخارية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	٣٠-١٢٦م م للبالة	—	—	١٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	..	—
أرز	—	٢½ - ٥ مدينى للجوال	—	—	—	—	٦٠م الأردب	—	—	١¼ إلى ٢٠ م للجوال	—	—
زعفران	١ رطل للقنطار ١ مدينى للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—			
ملح	—	—	—	—	٢ م الأردب	—	٩ إلى ٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
ملح النوشادر	—	١ ٣/٤ م للقالب	—	—		—	—	—	—	٦٠ البالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فانها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فانها تخضع للرسوم التاليـة					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ملح الشبة	٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ملح النطرون	٤٠ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سنامكى	١٢م الحصيرة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ البالة	—	—
خيش	—	—	—	٢٠ البالة	—	—	—	—	—	٢ اللفة	—	—
سمسم	١٥ م الأردب	١٠ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سكر	٣½ إلى ٢٢م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ البالة	—	—
أحزمة سرج صوفية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تبغ إنتاج محلى	٢٠ إلى ٢٧٠ م البالة	١٠ - ٣٠ م البالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر بلوط لتجهيز الجلود	٤ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فناجين من الخزف	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوازم الخياطة	—	—	—	—	٤٥م البالة	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة بيضاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—

نشة زرقاء	—	—	—	--	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—
« قطنية	—	١¼ — ٤ م القطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« كتانية	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« ناعمة	٤ — ١٤ م لكل ١٠ قطع	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
نارات للسيدات (خمار)	—	٢¼ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

ولكى تصبح الفكرة التى نقدمها عن تجارة مصر تامة ، كان لزاما علينا ان نتقدم فى جدول اخير الارقام الدقيقة لعوائد الجمارك ، بالاضافة الى قيمة وحجم وطبيعة الواردات والصادرات التى تمت هناك خلال الاثنى عشر عاما التى سبقت وصولنا الى هذه البلاد ، وان كان المديرون الفرنسيون الذين عيناهم فى كل ديوان عقب وصولنا ، لم يقدموا لنا بشكل يبعث على الرضـــا ، ما طالبناهم به من بيـــانات مستخلصة من السجلات التى كانت توضـــح دخول وخروج السلع خلال هذه الحقبة من الزمن . وقد أخبرنا المدير الفرنسى لجمرك الاسكندرية ان مراقبى الصحة قد احرقوا أوراق سلفه وأوراق الجمرك كله لان سلفه هذا قد مات اثر اصابته بالطاعون . اما مديرا جمركى دمياط والسويس فقد سلما الينا بيانين لا يشيران مطلقا الى قيمة او طبيعـــة او حجم السلع الموردة او المصدرة ، وان كنا نستطيع استنادا اليهما ان نتعرف فقط على حصيلة الرسوم التى حققها هذان الجمركان منذ العام ١٢٠١ وحتى العـــام ١٢١٢ من الهجرة أى العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية (١٧٩٧) ، وبيان هذه الحصيلة كما يلى :

السنة الهجرية	دمياط واردات	دمياط صادرات	دمياط إجمالي	السويس واردات	السويس صادرات
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	
١٢٠١	٨,٤٢٧,٩٠٧	٥٣٢,٠٠٣	٨,٩٥٩,٩١٠	٤١,٦٥٧,٥٢٧	لم تكن
١٢٠٢	٨,٩٠٧,٥٤٠	٨٤٥,٢٤٤	٩,٧٥٢,٧٨٤	٤٣,٣٧٥,٩٤٣	الصادرات
١٢٠٣	٨,٠٠٦,٩٢٠	٦٨٨,٧٢١	٨,٦٩٥,٦٤١	٥٠,٠٩٦,٦٨٢	تخضع لأى
١٢٠٤	٧,٣٨٣,٠٨٥	١,٣٠٩,١١٣	٨,٦٩٢,١٩٨	٢٨,٤٨٤,٣٥٨	رســـوم
١٢٠٥	—	—	—	٣٥,١٧٦,٨٩٩	
١٢٠٦	١٠,٧٥٨,٩٨٤	٣,٠٢٤,١٠١	١٣,٧٨٣,٠٨٥	٣٩,٥٢٦,٤٩٢	
١٢٠٧	١٢,٠٢٨,١٧٧	٤٦٦,٣٠٢	١٢,٤٩٤,٤٧٩	٤٣,٧٨٣,٢٩٢	
١٢٠٨	٩,٦٣٥,٤٠٥	٣١٢,٨٨٢	٩,٩٤٨,٢٨٧	٢٧,٣٥٧,٢٨٦	
١٢٠٩	١١,٨٩٥,١٠٨	٨٣,٦٨٨	١١,٩٧٨,٧٩٦	١٧,٢٥٤,٩٨٥	
١٢١٠	١٣,٨٠٢,٧٤٥	٨٧٣,٣١٧	١٤,٦٧٦,٠٦٢	٤٤,٣١٠,٨٥٨	
١٢١١	١٤,٦٣٣,٧٢٨	٢,٠٣١,٤٥٦	١٦,٦٦٥,١٨٤	٣٦,٥٩٤,٦١٢	
١٢١٢	١٠,٧٣٧,٤٨٨	٦٤٥,٢٣٢	١١,٣٨٢,٧٢٠	٣٤,٤٩٥,٥٧٥	
	١١٦,٢١٧,٠٨٧	١٠,٨١٢,٠٥٩	١٢٧,٠٢٩,١٤٦	٤٤٢,١١٤,٥٠٩	
المتوسط السنوى	١٠,٥٦٥,١٩٠	٩٨٢,٩١٤	١١,٥٤٨,١٠٤	٣٦,٨٤٢,٨٧٦	

ملاحظـــات :

(١) لم تحقق السنة القمرية ١٢٠٥ من الهجرة أى عائد فى دمياط لأنها واحده من السنوات التى اكتشف المحاسبون المصريون انهم يفتقدونها كل ٣٣ سنة لأنهم لا يقدرون الضرائب الا بحساب السنوات الشمسية . ومع ذلك فلم تكن أى من هذه السنوات القمريه الاثنتى عشرة فيما يختص بجمـــرك السويس هى تلك التى تفقدها الادارة التركيه للجمرك كل ٣٣ عاما بالمثل .

(٢) اذا كان المماليك يجنون فى السنوات الاخيرة ستة ملايين من التزام الجمارك ، كما اكد لنا البعض ذلك ، فلابد أن رجال الجمارك كانوا يرتكبون الكثير من المظالم ، اذ ان حصيلة الرســـوم المسجلة ، وفقا لمـــا لدينا من بيانات ، لم تتجاوز اكثر من ثلاثة ملايين .

وتساوى معا ٤٨ر٣٩٠ر٩٨٠ مدينى ٤٨ر٣٩٠ر٩٨٠

ويزعم تجار القاهرة ان حصيلة جمرك الاسكندرية هى نفسها تقريبا نفس حصيلة جمرك دمياط ، واذا تبنينا هــــذا الرأى نجــــد لدينــا ١١ر٥٤٨ر١٠٤

الرسوم المحصلة فى الجمارك بما فيها عوائد جمركى بولاق ومصر العتيقة والتى يقال انها تصل الى نحــــو ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠

فلا تنتج ســـنويا ســـوى ٧٤ر٩٣٩ر٠٨٤

تعادل بالجنيهات الطورية ١٨ ر٣٥٣ر٦٤٣ر٢(١)

وبالفرنكات ٩٠ ر٧١٩ر٦١٠ر٢

ثانيـــا ـــ رســـوم متفرقة

أما الرسوم الأخرى التى أنشأها السلطان سليمان ، نهى تلك التى نوضحها فى الجدول التـــالى :

البحرين : وهو خاص بأوجاق العزبان والذى يدفع عنه لخزينة السلطان ميرى قـــدره . . . ٩٩٢ر٩٦٤(٢)

الخـــردة : وهـــو خاص بنفس الأوجـــاق الذى يســـدد عنه ميرى قـــدره ١٧٤ر٩٠٨

رسوم على لبســـنط العنبر والسنامكى وهى

---

(١) كان المماليك فى المدة الأخير يحصلون ضرائب من الجمارك تصل إلى ستة ملايين – كما ضمنا نحن ذلك لأنفسنا .. وطبقنا لرؤيتنا الخاصة ، فقد كانت الرسوم المدونة لا تصل إلى ثلاثة ملايين ، وعلى ذلك فقد استخدم موظفى الجمارك نوعا من الابتزاز والضغط

(٢) لكن هذا الاوجاق لم يكن يدفع عن هذا الرسم من مال مــــيرى سوى ٨٠٤ر٩٩٢ مدينى ، لأن الباشا قد استجاب لطلبات هـــذا الأوجاق واعفاه من مبلغ ١٦٠ر٠٠٠ مدينى .

(وكانت هذه ملاحظة وضعت بجوار الارقام ، وقد حولتها الى هامش زيادة فى التبسيط . المترجم)

خاصة بأوجاق الانكشارية الذى يدفع عنها مال ميرى
قــــدره . . . . ٩٠،١ر٦٦٦
رسوم على الجزارين فى الاسكندرية وتخص
اوجاق الجاويشية الذى يدفع عنها ميرى قــــدره ٤٣ر٢٥٦

اجمالى المال الميرى المقرر على هذه الرسوم ٢ر٨١٨ر٥٨٨ مدينى

	د	س	
تعــادل	٢	١٧	١٠٠ر٦٦٣ جنيها توريا
وبالفرنكات		١٤	٩٦ر٤٢١ فرنكا فرنسيا

ومن المفترض أن رسوم البحرين قد وصلت الى القيمة التى وجدناها عليها عند وصولنا الى مصر ، عن طريق زيادات متتابعة . وقد وجــدناها تنقسم الى خمسة فروع : الأول والثانى والثالث وتشتمل على رســـــوم الغــلال التى تصل الى بولاق ومصر العتيقة ، أما الرابع والخـــامس فيشتملان على رسوم على كل المراكب التى تعمل على النيل وفى الثغــور والبحــيرات .

وكانت الخردة تحصـــــل على عروض اللهو العمــومية والمهرجين والمشعوذين والعوالم والطبالين وكذلك على الاضرحة وعلى كل الصــناع والتجار فى مدن كثيرة . وهذه الرسوم المضمنة داخل هذا البند والتى كانت تتضاعف دونما حد فى عهد البكوات لم تكن معروفة على ســـبيل الحصر بالنسبة للادارة الفرنسية ذلك انه عندما انشىء التزام لهذه الأنشطة لم يوضح ما كان يحصل منها لسداد الميرى المستحق عنها .

أما الرسوم المقررة على لب السنط والسنامكى فتعطى (لدافعهــا) الحق المطلق فى حصد هذين المحصولين وبيعهما . وينمو السنامكى تلقائيا عند مداخل الصحراء الممتدة الى جنوب اسوان . وكان يعهد بحق جمعــه عادة الى اشخاص يقومون بتداوله كسلعة تجـــارية . وكانت المراكب المستخدمة فى نقل هذا العقار الطبى تتمتــع ببعض الاعفـــاءات . وفى السنوات الأخيرة ، كان ثمة عائلة واحدة من اسنا تتعامل مع ملتزم الحكومة بخصوص جمع لب السنط ونقله الى القاهرة . وسواء يعود الأمر الى نقص فى الانتاج أو تم بسبب مضاربات كانت تستهدف رفع سعره فقد أصبحت

شحناته اقل حجما ، ذلك أن مصر كانت تهيىء لاوربا فيما مضى أكثر من الف وخمسمائة قنطار من السناكى فى حين تقلصت صادراتها الحالية منه الى ٨٠٠ أو ١٠٠٠ قنطار فقط . وكان لب السنط يخضع لنفس الاحتكار ، وكان ملاك الاشجار التى تنتجه مضطرين لبيعه للملتزم الذى حصل على حق التزامه من البكوات . وقلما كان يصدر الى العالم المسيحى لب السنط الذى تنتجه مصر ، اذ هو اقل جودة بكثير من ذلك الذى يصلنا من المستعمرات لأنهم فى مصر يجمعونه قبل تمام نضجه ، وتكاد تركيا تستهلك كل انتاجه .

وتتكون الرسوم المفروضة على جزارى الاسكندرية والقاهرة من أطراف وجلود ورءوس .. الخ الحيوانات التى تذبح هناك .

وقد اصبحت الحصيلة الموضحة فى الجدول الآتى بيانه مادة لالتـزام مشابه للالتزام الذى انشىء للرسوم التى انتهينا من الحديث عنها بمجرد أن اقرها السلطان ، عندما اقر أولئك الذين استحدثوها على دفع ميرى عنها .

وسندخل فى بعض التفاصيل حول هذه الرسوم لأن البيانات الواردة بالجدول قد لا تكون كافية للتعريف بها .

	الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على دمغ الذهب والفضة . .	١٠ر٤٠٠	فى القاهرة
على مبيعات العبيد السود . .	١ر٦٢٢	«
على الحمامات التركية الخاصة .	١٢ر٦٨٥	«
على صنع ملح النوشادر . .	١ر٥٠٠	فى بولاق
على وكالة الزعفران . . .	٥ر٠٠٠	«
على سبعة محلات جزارة لبيع الضأن	٥٠٠	«
على وكالة السمك المملح (السردين والفسيخ)	٣١٢	«
على الصيد فى البحيرة . .	٤٤ر٧٨٣	فى دمياط
على شيخ الدلالين . . .	١٥ر١٤٣	فى رشيد
على وكالة الباشا . . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالة البهار . . .	٦٣ر٠٠٥	فى السويس
على الموقع الذى تصل إليه مراكب النيل	١٠٠	المحلة الكبيرة

	الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على وكالات القطن :		
. . .	١٣ر٢٣٦	فى بولاق
. . .	٥٠٠	فى دمياط
. . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالات الأرز :		
. . .	١٨٢ر٢٢٥	فى دمياط
. . .	١ر٠٨٤	فى رشيد
الإجمالى . . .	٣٥٤ر٢٥٨	د س جت ويعادل ٥ ١ ١٢٫٦٥٢ س ف وبالفرنكات ٩٠ ١٢٫٤٩٥

وكان الرسم المقرر على دمغ الذهب والفضة يذهب الى ملتزم يحصل على اتاوة تفرض على تصنيع هذين المعدنين ، وكان هذا الملتزم يرسل قطع الذهب والفضة-بعد أن يستوثق من انهما بالعيار المطلوب – الى دار سك النقود حيث يختمها الاغا بخاتم الدمغة الذى فى حوزته . وكان الملتزم يجرى اختبارا للعمال الذين يريدون احتراف مهنة الصاغة ، ويفرض رسما على من يتقبلهم داخل هذه الحرفة . وكانت عوائد هذا الرسم فى مدن الاسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة وبلبيس والسويس تدخل فى دائرة التزامه ، وكان يحصل هذه العوائد بنفسه فى القاهرة حيث كان كل الصاغة فيما مضى يلزمون بالعمل هناك تحت رقابته فى وكالة واحدة .

وقد بدأ الصاغة محاولتهم التملص من هذه العادة التى تهدف الى منعهم من تزييف أو تحريف صنف المجوهرات والمصنوعات الذهبية التى يتداولها الناس حين حصلوا على اذن يسمح لهم بالعمل فى بيوتهم ، وبعد ذلك بدىء فى التغاضى عن تلك الضرورة التى كانت توجب عليهم أن يخضعوا مصنوعاتهم لدار سك النقود ، ومع ذلك فحين أخذ سكان الريف ينفرون من شراء أشياء ذهبية أو فضية غير مضمونة ، فقد التمس الملتزم الاذن له بحمل خاتم دمغة خاص به ، وحين تحقق له ذلك بدأ القوم يقبلون

بكل ثقة — وقد خدعهم التشابه بين هذه الدمغــة وبين الدمغة القــديمة — على شراء مجوهرات وحليا طبعت عليها هذه الدمغة ، وهكذا بدات اشــياء تبـــاع باعتبارها ذهبا أو فضة خالصين فى حين أن تسعة أعشار سبيكتها مزيف ، وهكذا أيضاً بدانا نرى الملتزم متواطئا مع الصاغة ليثرى بفعل هذه الخيانة الصارخة .

وبالمثل فقد كان الرسم المقرر على بيع العبيد حكرا على احد الملتزمين، فلم يكن بالامكان بيعهم الا فى وكالة بعينها ، حيث كان وكيل هــذا الملتزم يحصل على الرسم مقابل تسليم الحجة اللازمة لتسجيل البيع . وكان من الضرورى أن يوقع الملتزم هذه الحجة التى تبين جنس واسم العبد ، ومكان واسم البائع والمشترى ، وكانت تنتقل الى أيدى من يتناولون شراءه بعد ذلك، ثم تسلم الى العبد نفسه عندما يمنح حريته . وكان يكفى اعلان بعتقه يتم فى حضرة شهود ، كى يجعله متمتعا بكافة الحقوق الممنوحة لكل رعايا السلطان، ولم يكن هناك سوق ولا رسوم بالنسبة للعبيد البيض لأن المماليــك الذين لا يتكاثرون الا عن طريق الشراء (*) كانوا يجدون من مصلحتهم أن يسهلوا عملية البيع .

أما رسم حمام الخاصة فيستمد اسمه أصــلا من تلك الكراهية التى سيطرت طيلة الأزمان بين الاتراك وابنـــاء القـــاهرة ، لذلك فقد أمر أحد البكوات بانشاء حمام عند سفح القلعة كى يتفادى المشاجرات التى كانت تنشب بين رجاله وبين المصريين فى الحمامات حيث كان الوضوء الذى حتمه القرآن يجذب الى هناك هؤلاء واولئك . وقد عهد بملكية هذا الحمام الذى بنى لتفادى هذه اللقاءات الى أحد الملتزمين شريطة أن يجعل اســتخدامه مقصورا على الأتراك . لكن صيانة هذا الحمام لم تكن تقع على عاتقه.

وكانت ٥٠٠ر١ مدينى يدفعها للخزينة ملتزم ملح النوشادر تكفى لمنحه امتيازا تاما بصنع هذه المادة وبيعها ، وفيما مضى كانت توجد عدة مصانع مشابهة فى مصر السفلى ، لكن الامتياز الذى منح لمصنع بولاق قد الــغى وجــودها .

(*) تذكر بعض دراسات فى وصف مصر أن جو مصر لم يكن مناسبا لهؤلاء ، مما كان يترتب عليه أنهم لا ينجبون أو أن تموت الغالبية العظمى من ذريتهم . انظر المجلد الاول من الترجمة العربيـــة ، الفصل الخــاص بالمماليك . (المترجم)

أما زعفران مصر العليا القادم الى القاهرة ، فلم يكن بالمستطاع أيداعه الا فى وكالة تسمى وكالة الزعفران ، وتقع فى بولاق ، وكان يباع هناك بعد ان يجبى مالكها الرسوم المقررة عليه والتى كانت تجعل من حقه تلك الالاف الخمسة من المدينى ، التى كان يسددها للخزينة .

وكان الميرى المقرر على محلات الجزارة السبع ، لبيع الضأن يمنح أصحابها الحق فى بيع هذه السلعة الغذائية ببولاق بدون منافسة .

وتصل الى بولاق كمية هائلة من السمك المملح القادم من دمياط . ويتمتع صاحب الوكالة التى ينبغى أن يباع فيها ، بعد دفعـــه ميرى يبلغ متوسطه ٣١٢ مدينى يسدده للخزينة بحق تحصيل بعض رسوم بســيطة يدفعها اليه تجار السمك .

أما الصيد فى بحيرة دمياط (المنزلة) ، فهو احتكار كامل ، يدفــع الملتزم عنه لخزانة السلطان ميرى قدره ٤٤٫٧٨٣ مدينى .

وقد استحدثت فى رشيد ،تقليداً لما هو حادث فى القــاهرة ، وظيفة شيخ الدلالين ، ويقوم هذا الرجل بتحصيل رسم على كل السماسرة الذين يقومون ببيع الملابس والبياضات والهلاهيل فى الأسواق العامة .

وكانت السلع التى تصل الى رشــيد ، والتى كانت تودع فى وكالة الباشا ، تخضع لدفع رسم يسمى رسم اقامة لصالح ملتزم هذه المنشأة .

أما السلع التى كانت تصل الى السويس فلم يكن بالمستطاع تخزينها الا فى وكالة البحار حتىتقوم القوافل بنقلها الى القاهرة ، ومقابل هذا التخزين، كان يتم تحصيل رسم لحساب الباشا ، على يد كاتب يرسله الى السويس للتعرف على أحجام الواردات ، وهــذا الرسم مستــقل عن المصروفات الجمركيـــة .

وتخضع المراكب التى تقوم بالملاحة النيلية والتى تصل الى المحلة الكبيرة لدفع رسم بسيط لصالح الملتزم الذى يدفع عنذلك مبلغ الـــ ١٠٠ مدينىالمقرر كمال ميرى مقرر (على حصيلة هذا الرسم) .

وينطبق ما قلناه عن وكالة الزعفران ببولاق على وكالات القطن والارز الواقعة ببولاق ودمياط ورشيد . ولم يكن بمقدور هذه السلع ان تودع وان تباع الا فى هذه المخازن حيث كان الملتزمون الذين يقومون بدفع المــيرى المقرر والمبين (بالجدول) يحصلون على رسوم ايجار أو اقامة انشئــــت لصـــالحهم .

وعادة ما كانت الجمارك (الصغرى) والرسوم المتفرقة الاخرى التى انتهينا من تناولها والتى انشأها السلطان سليمان ، أو تلك التى أدخلهـا خلفاؤه توكل الى أفراد كانوا هم ملتزميها . وحيث أن الباشا والاوجاقات الذين كانت هذه الرسوم قد فرضت فى الأصل لصالحهم قد بدأوا يفقدونها على التوالى ، رسما بعد آخر ، بسبب تزايد سطوه البكوات ، فقد باتت هذه الرسوم غنيمة للمماليك الذين كانت لهم القوة والنفوذ والاعتبار ، ومع ذلك فان هؤلاء المماليك ، على ما يبدو ، لم يغيروا من اغراض تلك الرسوم أواهدافها ، لأن هؤلاء حين شغلوا الرتب العليا فى كل اوجاق لم يخصوا انفسهم بتلك العوائد التى آلت اليهم الا باعتبارهم قد خلفوا الذين كانوا يشغلونها قبلهم ، وبخضوعهم كذلك لدفع الميرى (المقدر على حصيلة هذه الرسوم) .

وكانت توجد بالاضافة الى هذه الرسوم ، رسوم اخرى لم تكن تخضع لدفع الميرى ، وليست لها اية صلة بخزانة السلطان ، ومع ذلك فحيث كانت تشكل فيما يبدو جزءا من رواتب البكوات وآخرين من قادة المناطق ، وهم الذين انشأوها ، وحيث اعتاد الناس على سدادها ، فقد وضعها الفرنسيون فى مرتبة الرسوم التى أنشأها أو اقرها السلطان ، وواصلوا تحصيلها ، وسنوضحها فى الجدول التالى : ولقد كانت لهذه الرسوم نفس طبيعة الرسوم التى تخضع لدفع الميرى . ولم يكن هناك فرق بين هذه وتلك الا فى أن الأخيرة كان قد أقرها السلطان ، فى حين لم تكن تنقص الأخرى سوى موافقته.

وسنقدم بعض التفاصيل حول الرسوم التى لا تتيسر معرفتها على النحو الكافى فى البيانات الموضحة بالجدول .

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسم قاصر على بيع الملح ، . .	فى بولاق
رسوم تسمى رسوم الاسكاليات وتفرض على السلع التى تصل فى مراكب قادمة من القرى الواقعة على شواطئ الفرع الشرقى للنيل فى مصر السفلى.	»
رسوم سبك الفضة :	فى القاهرة
» على سوق الأغنام ودواب الحمل .	»
» على دباغة الجلود وتبيض الأقمشة .	»
» على نقش الأقمشة البلدية . .	»

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسوم على احتكار يقتصر على النطرون .	فى الطرانة بولاية البحيرة
« على الصيد :	
فى النيل . . .	فى القاهرة وبولاق ومصر العتيقة
فى بحيرة المعدية .	فى الإسكندرية
فى البوغاز . . .	فى رشيد
« على صنع وبيع المشروبات الروحية .	فى القاهرة والاسكندرية ودمياط والمحلة الكبيرة
« تسمى السردارية والجاويشية أو رسوم الحاكم	فى دمياط ورشيد
« الحلة أو رسوم على الأسواق . .	فى رشيد ودمياط والمحلة الكبيرة وسمنود والمنصورة
« احتساب أو رسوم على السلع الغذائية الداخلة إلى	الإسكندرية ، رشيد ، المحلة الكبيرة
« على الحبوب التى تدخل إلى المدن الموضحة لكى تباع هناك . .	باب الشعرية ، وهى سوق القاهرة ، الإسكندرية ، ودمياط ، رشيد
« تسمى إيجار أو إقامة وتقرر على السلع الموضحة وتحصل فى الوكالات المسماة :	
الصابون وبذور النيلة .	فى القاهرة
السكر	فى بولاق
الأرز	«
النيلة . . .	«
بذور البرسيم والكتان والزعفران . .	«
تقاوى هذه المحاصيل .	«
زيت الكتان .	فى دمياط
البلح الجاف (التمر) .	«
« تحصل عند دخول القطن . .	فى بولاق ودمياط والمنصورة
« على خروج الأقمشة المصنوعة .	فى المحلة الكبيرة
« على الحبوب والكتاكيت التى أفرخت فى المعامل	

ولا يصنع الملح الا على سواحل مصر السفلى وبخاصة فى رشيد. وكان الفلاحون الذين يلتقطونه الملتزمون بتسليمه بسعر محدد الى ملتـزم عينته الحكومة ، كان هو — صاحب الامتياز الوحيد فى توزيعه فىبولاق بسـعر اعلى ، لكنه محدد بالمثل . وقد الحقت بهذا الامتياز رسوم لم يكن هنـاك حد لزيادتها على المأكولات والاعلاف والمواشى والفواكه . . الخ التى تباع فى اسواق عدد كبير من القرى . وليس لدينا ما يفسر هذا الخلط والتعقيـد فى سياسة فرض الرسوم ، و يعتقد البعض ان احتكار الملح كان يدخـل فيما مضى ضمن الخردة ، وان الزيادات المستجدة التى الحقت بهذا الرسم (الخردة) هى التى جعلته هائلا لهذا الحد ، وعندما تم تقسيم هذا الرسم بين اثنين من المماليك الأقوياء فان الذى جاء احتكار الملح منهما ضمن نصيبه، لم يعد ملزما بدفع الميرى .

وكان يتم تجهيز الذهب والفضة المخصصين لاعمال التطريز وغيرها من الأشغال ، فى مكان يتوفر به كل ما هو ضرورى لذلك ، ويدفع الصانع الذى يشتغل فيهما للملتزم رسما يعرف باسم كحل الفضة . أما الرسوم التى تفرض على سن الفيل واصداف الحلى وقرون الكركدن الخ فكانت تحمل نفس هذا الاسم دون أن ندرك ما الذى يجمع بين أشياء كهذه لا تربطها فيما بينها أية رابطة .

ويؤخذ النطرون من البحيرات التابعة لقرية الطرانة ، ويدفع الفلاحون الضرائب المقررة عليهم (عينا) من هذا الملح ، وهم بذلك يزودون الملتزم بدخل اكيد ، اذ ان كل قرى مصر السفلى كانت ملزمة بشراء كمية محددة منـه سنويا وبسعر محدد . ومنذ بضع سنوات ، حين أصبحت فرنسا وايطاليـا وانجلترا تتزود بالنطرون من مصر ، أعطى البك الملتزم التزام تحصيل رسم النطرون الى المسيو روزتى Rosetti التاجر البندقى الذى توسع فى استغلال النطرون بدرجة هائلة ، والذى كان يبيعه فى اسواق التجـارة الخارجية بسعر أدنى من السعر الذى يفرضه على أبناء البلاد وينظر الى النطرون فى مصر ، باعتباره مادة ذات ضرورة أولية ، بسبب استخدامه فى تبييض الكتان والأقمشة .

ولم تكن المشروبات الروحية والمسكرة عموما تصنع الا فى بيـوت الاقباط واليهود ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تبيح تداولها اذ يحرم القـرآن

تناولها على المسلمين ، لكن اغا الانكشارية ، بعد أن حصل على اتاوات هائلة ، لم يكن ليخشى على الاطلاق ان ينتهك شريعة النبى ، وبدأ يتغاضى عن بيعها داخل حانات غير ظاهرة .

وقد يستحيل علينا ان نجد ضربا من ضروب الصناعة او التجارة يعفى من رسوم مشابهة أو مماثلة لتلك التى انتهينا من التعريف بها . وكان الملتزمون والبكوات والسردارات والاغوات حكام المواقع يضاعفون من هذهالرسوم فى المناطق التى تخضع لسلطتهم ما ان يجدوا الفرصة سانحة لذلك . من هنا كان هذا التعقيد المحير والذى لا يدع لنا الوسيلة الواضحة لتبين الاعباء التى أثقل بها هؤلاء وأولئك كاهل المصريين . وكانت الرسوم التى يفرضها الملتزمونعلى مواد الاستهلاك فى تراهم ضئيلة الأهمية، وتعرف باسم حملة. وعلى العموم فلقد كانت تكبل التاجر والزارع فى كل خطوة يخطوها اتاوات وضرائب باهظة . لكن الفرنسين لم يجبوا الا تلك الضرائب التى انتهينا من بيانها ، فلقد أهملوا تحصيل العدد الاكبر من الرسوم أما لانها لم تكن معروفة لنا على الاطلاق ، واما لاننا وجدناها استبدادية تجاوزت كل حد مفترض ، وبالمثل فقد عدلوا عن تحصيل رسم الحملة فى كل القرى التى اصـــبح الفرنسيون ملتزمين بها .

الفصـــل الرابـــع

الضرائب على الاشـــخاص

يخضع رعايا السلطان من غير المسلمين لضريبة شخصية تســـمى الخراج (الجزية) طبقا لنص وارد فى القرآن ، يخضع لهذه الضريبة سكان البلاد التى تخضع لاتباع محمد ، حين لا يعتنق هؤلاء الدين الاســـلامى . وهناك تقدير بأن ضريبة الخراج كانت مفروضة على ٩٠٫٠٠٠ (تسعين الف) نفس ، ويقوم بجبايتها اغا ترسله القسطنطينية كل عام . وكان يصل الى مصر ومعه عدد مماثل من الحوالات أو صكوك السداد ، مؤشرا عليها بالأحرف الأولى ومسجلةومدموغة فى وزارة المالية ، وعليها ختمه وختم اثنين من الشهود يصحبانه كمساعدين له . وكانت هذه الصكوك تجدد كل عام ، وتكون الوانها على التعاقب حمراء ، أو بيضاء ، أو صفراء ، وقد صممت هذه البطاقات بحيث تكون :

٩٫٠٠٠ بوطاقة منها مخصصة للطبقة الغنية .

و ١٨٫٠٠٠ بو طاقة منها لمحدودى الدخل ؛
و ٦٣٫٠٠٠ بو طاقة منها للمعــوزين .

ويقوم الاغا بتسلم هذه الصكوك الى المولين بعد أن يسجل اسماءهم وبياناتهم ، محصلا ٥٥٣ مدينى عن كل واحد من الطبقة الأولى ، و٢٨٣ مدينى عن الواحد من الطبقة الثانية ، و١٤٣ عن الفرد الواحد من الطبقة الاخيرة. لكن اللوائح لم تكن تلزمه أن يسدد من هذه الضريبة ، طبقا لعادة روعيت فيها مصالحه ، وتبعا لهذا المعدل ، سوى : ٤٤٠ مدينى ، ٢٢٠ مدينى، و ١١٠ مدينى (على التوالى) .

وكانت صكوك السدادتبقى بأيدى المولين من الاقباط واليهود ، وكانت تشكل بالنسبة لهم وعلى نحو ما نوعا من الحماية ، فلم يكن لهم أى حق فى حماية السلطان اذا ما اهملوا الاحتفاظ بها .

وعندما كان يتم تحصيلها ، كان الاغا يتولى تنظيم حســـاباته مـــع الروزنامجى . وكانت الـــ ٩٠٫٠٠٠ حوالة أو صك تحسب طبقا للمبـــالغ التى كان من المقرر أن تعود بها بحسب معدلاتها المبدئية(١) . وكان يستنزل من هذه الحوالات :

١ ــ الحوالات التى لم يتم استخدامها .

٢ ــ مصروفات وراتب أفندى الجوالى المكلف بالتحصيل .

٣ ــ المعاشات التى يحددها السلطان خصما من حصيلة الخـــراج وتبلغ ١٦ كيسة مصريا أو ٤٠٠٫٠٠٠ مدينى .

وبعد ذلك يسدد الاغا الميرى المقرر على وظيفته وقدره ٢٫٥٠٩٫٠٨١ مدينى تساوى ٩ د ٨٩٫٦١٠ جنيها توريا أو ٧٥ س ٨٨٫٥٠٣ فرنكا .

---

(١) ٩٫٠٠٠ بواقع ٤٤٠ مدينى . . . . ٣٫٩٦٠٫٠٠٠ مدينى
١٨٫٠٠٠ بواقع ٢٢٠ مدينى . . . . ٣٫٩٦٠٫٠٠٠ مدينى
٦٣٫٠٠٠ بواقع ١١٠ مدينى . . . . ٦٫٩٣٠٫٠٠٠ مدينى

الاجمالى . . . . ١٤٫٨٥٠٫٠٠٠ مدينى

وقد يدفع هذا الميرى على الاعتقاد بأنه كان يستقى الفائض لصالحه اذا ما بلغت الحصيلة لحد أعلى من المقرر لها ، ومع ذلك فمن الثابت أنه لم تكن له أى مكاسب الا رسم العادة الذى قدمنا تفاصيله من قبل ، كما أن المبالغ التى كانت تتجاوز الأرصدة التى تمنصها مصروفات التحصيل وكذا المعاشات والميرى ، كانت تضاف الى الخزنة التى ترسل الى السلطان.

وعادة ما كان الاغا يعطى التزام تحصيل الخراج المقرر على اقبــاط ويهود مصر العليا الى البك حاكم جرجا ، دون ان يسلمه الحصة المحددة من الحوالات التى كان يحملها، لكن أقباط ويهود هذه المنطقة كانوا يحصلون من هذا البك على حوالات خاصة لها نفس الثمن ونفس الفاعلية اللتين كانتا لتلك التى يوزعها الاغا . وكان الأخير ، حين يحتسب قيمه هذه الحوالات التى احتفظ بها لنفسه ، عند تقديمه الحساب الى الروزنامجى ، يتمكن من زيادة دخوله بشكل هائل عن طريق عملية التدليس هذه .

وكان عدد الحوالات التى ترد عن الباب العالى يتخذ أساسا لتقدير عدد الشعب القبطى على نحو تقريبى(١) دون أن يدخل فى ذلك ما انتهينا من قوله عن مصر العليا وعن الاعفاءات التى كانت تمنح بسهولة بالغة لأى واحد من الأقباط او اليهود التحق بخدمة المسلمين وقناصل الدول الاوربية. ومن الضرورى بخلاف ذلك أن نلاحظ أن النساء والأطفال ، الذين تقــدر أعمارهم بأقل من١٢ عاما ، لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة . وكانت غيبة سجلات خاصة بالمواليد تؤدى لأن يتم تقدير أعمارهم عن طريق قيــاس قامتهم(٢) .

ولم ندخل فى عداد الضرائب التى تجبى لصالح السلطان رسما يسمى بيت المال ، كان يتشكل من اجمالى تركات رعايا السلطان ، اقباطا كانوا أم يهودا أو مسلمين ، حين يموتون دون أن يتركوا ورثة ، ذلك لأن هذا الرسم لم يكن يفسح مكانا لأى ميرى ، وفيما مضى ، كانت حصيلة هذا الرسم ترسل

---

(١) لن نتحدث عن يهود أو اروام سوريا والارخبيل بسبب ضــآلة عددهم ، كذلك لن نتناول الافرنج لأنهم لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة .

(٢) كان مع المحصل حبل صغير بطول قامة طفل أقل من ١٢ سنة. وكان كل وأولئك الأطفال الذين تتجاوز رءوسهم طول هذا الحبل يدخلون فى عداد المولين .

الى القسطنطينية حيث لا يستطيع السلطان ان يستخدمها الا فى اغراض الدفاع عن الاسلام . وقد نص القرآن على تحصيل هذا الرسم وبين طريقة استخدامه . أما فى الأزمنة الأخيرة ، فكان البكوات يأمرون بجبايتها دون مبالاة بالباب العالى ، فما أن كان يموت أحد السكان الموسرين بعض الشىء حتى يسارعوا بوضع مسمار ضخم على باب بيت المتوفى بغض النظـــر عما ان كان له أو ليس له ورثة ، وفى الحالة الثانية كانت تؤول اليهم كل تركته ، أما فى الحالة الأولى فكانوا يفرضون مبلغا كبيرا من المال مقابل رفع هذه الحراسة (القضائية) .

الفصـــل الخـــامس

موجز بدخول الســــلطان

لم تكن مبادىء الادارة العثمانية ، التى هى مختلفة عما لدينا ، والتى كانت تجلب لصناديق الخزانة العامة اجمالى دخول الدولة ، لتسوق الى هذه الخزانة الا الاموال التى تخصص اما لانفاقات بعينها ، واما للتوفير ، ويبدو ان عملية الجباية ، وهى التى كانت تترك لوكلاء السلطة واصـــحاب الاقطاعيات (الملتزمين) ، لم تكن لتشغل الحاكم الا بخصوص ما يطلبـــه هو من هؤلاء التابعين له ، أما ما يتبقى معهم بعد الوفاء بمال السلطــــان وبعد تغطية الانفاقات التى كان يضعها على عاتقهم ، فكان يترك كله لصالحهم الخاص . وعلى هذا ، فاننا عند قيامنا باجراء مطابقة لمختلف الجداول التى قدمناها لكى نتبين اجمالى حصيلة الضرائب التى تجبى من مصر ، تبين لنا ان دخول السلطان لم تكن تشتمل الا على عوائد الميرى ، ويتكون على النحو التـــالى :

	بالمديني	بالجنيه التوري	بالفرنك
عن الميرى المقرر على الأطيان :			
القرى . . . . ٨٠٫٠١٧٫٨٩٠			
الأوقاف . . . . ٤٤٢٫١٧٨			
عن الميرى المقرر على الوظائف	٨٠٫٤٦٠٫٠٦٨	د س ١ ١٧ ٢٫٨٧٣٫٥٧٣	س ٦٣ ٢٫٨٣٨٫٠٩٧
عن الميرى المقرر على الصناعة والتجارة	١٠٫٨٧٠٫٧٧٣	١٠ ١٧ ٣٨٨٫٢٤١	٧٩ ٣٨٣٫٤٤٨
:			
من الجمارك . . ١٩٫٤٤٥٫٤٨٦ / ١٩٣٫٤٧٣ } ١٩٫٦٣٨٫٩٥٩			
من رسوم أنشأها السلطان . . ٢٫٨١٨٫٥٨٨			
من رسوم لم ينشئها ولكنه أقرها . ٣٥٤٫٢٥٨			
. . . . . .	٢٢٫٨١١٫٨٠٥	٥ ٦ ٨١٤٫٧٠٧	٣١ ٨٠٤٫٦٤٩
عن الميرى المقرر على الأشخاص	٢٫٥٠٩٫٠٨١	٩ — ٨٩٫٦١٠	٧٤ ٨٨٫٥٠٣
الإجمالي	١١٦٫٦٥١٫٧٢٧	١ ٢ ٤٫١٦٦٫١٣٣	٤٧ ٤٫١١٤٫٦٩٩

ومهما يكن شأن فائض الضرائب العامة ، فحيث كان يتم تحصيلها لحساب البكوات والشخصيات الأخرى ، الذين يفترض أن السلطان قد خصصها لهم ، فان هذه الحصيلة لم تكن لتنشىء الا ادارات و تنظيمات خصوصية .

ويقودنا هذا التوضيح ، الذى يفصل بطريقة محددة بين دخول السلطان ، وعوائد الملاك وحكام المناطق ، الذين يعهدون بجبايتها وادارتها الى مباشرين أقباط ، والذى بدونه ، لن نجد فى حوزتنا سوى خليط مضطرب ومشوش عن الادارة المصرية ، يقودنا الى بعض التفاصيل حول وظائف الروزنامجى ، وهو الجابى العمومى لأموال السلطان ، وكذلك حول وظائف الافندية الموكلين بالجباية .

كان الروزنامجى يعين من قبل الباشا بترشيح من الديوان ، وكان يختار من بين الروزنامة ، اى هيئة الافندية التى ادخلها فى مصر السلطان سليمان لادارة مالية الباب (العالى) . وكان يصب فى صندوقه المال الميرى المقرر على الاراضى وعلى الوظائف وعلى الصناعة والتجارة عن طريق الابداعات التى كان يضعها الملتزمون وحكام المواقع بين يديه ، اما الضرائب على الاشخاص فكانت تصل حصيلتها الى خزينته عن طريق الاغا الموكل بجباية هذه الضريبة بصفة خاصة . وكانت عمليات الروزنامجى تدار بمقتضى لوائح توزع مختلف فروع اختصاصه على افندية تابعين له .

وقد سبق لنا أن سمينا وظائف اهم هؤلاء ، مثل أفندى الشرقية ، وأفندى الغربية ، وافندى الشهر وافندى الغلال الخ كما سبق أن بينا بالتفصيل مختلف الوظائف ومختلف الرسوم التى كانت تخضع لدفع المال الميرى والتى دونت فى سجل يمسكه أفندى يسمى حلفا . ولم يكن الملتزمون الجدد ، عند كل عملية نقل حيازة (بالشراء أو الارث) يحصلون على حق التمتع بالرسوم والعادات التى كان يتمتع بها أسلافهم الا بعد حصولهم من الباشا على حجة تسمى تذاكر التمكنات ، كان لابد أن يسجلها هذا الموظف ، وكان هؤلاء الأفندية يخطرون المولين بما عليهم أن يسددوه ، لكنهم لم يكونوا يحصلون شيئا بأنفسهم ، وكان عملهم يقتصر على تسليم مخالصة للممولين توضح أنهم قد دفعوا للروزنامجى الميرى المقرر عليهم . وكانت اخطارات الدفع الموجهة الى الملتزمين تبين اجمالى الضرائب المقررة عليهم ، لكن الروزنامجى لم يكن

ايقر هذه الاخطارات الا بعد ان يقوم بمطابقتها ، اذ كان من الضرورى أن تنطبق بيانات هذه الاخطارات مع السجل العام للملكيات والرسوم الخاضعه للميرى ، وهو السجل الذى يمسكه الباش حلفا ، أى الموظف الاول لدى الروزنامجى ، اذ أن الدفاتر التى كان يستخدمها الأفندية أساسا لتوزيع الضرائب لم تكن سوى اجزاء منسوخة من هذا السجل .

وحيث قد أوضحنا حصيلة الضرائب العمومية التى تؤول الى كل من السلطان والباشا والبكوات والكشاف حكام الولايات والموظفين الآخرين فى الدولة فانه يدخل فى موضوعنا هنا أن نعرف بالانفاقات العامة التى تقع على عاتق هؤلاء وسنعرض لذلك فى الباب التالى .

الباب الثاني

الإنفاقات العامة

الفصل الأول

انفاقات تقع على عاتق السلطان وتدفع خصما من الميرى

سوف نطابق الحصيلات من كل نوع ، والتى بيناها فى الموجز الذى قدمناه عن دخول السلطان ، مع الانفاقات المطلوبة .

وسوف نقدم حسبما تسمح لنا المعلومات التى بين ايدينا تفسيرات موجزة او مستفيضة عن اصل وغرض وبنود الانفاقات التى قد لا يتيسر لنا الالمام الكافى بها من مجرد تعدادها .

أولا : رواتب قررها السلطان لموظفين مختلفين ، بالاضافة الى الامتيازات من كل نوع ، والتى كانوا يتمتعون بها :

الى الباشا :

تقاوى البرسيم اللازم لعلف خيوله

فى كوم الأحمر	١٧٠ر١	مدينى
لحم ضأن	١٢٦٫٨٣٠	
خشب	٥٫٨٥٤	
ملح	٣٫٥٥٩	
ارجل ورءوس الخ الثيران والابقار		
التى تذبح للجزارة	٩٫٨٣٥	١٦٧٤٤٧
صابون	٣٫٧٩٣	
جرار (جرة)	١٫٠١٠	
لوكيل خراجه (مدبر اقامته) . .	١٥٫٣٩٦	

إلى الباشا : أطلاق ولاية الجيزة ١٦٫٦٦٦

حبوب يحصل على ثمنها نقدا بشكل
منتظم من ببنها ٤٣٫٢٠٠ مدينى تؤخذ
من الخــزنة . . . . . . ٧٢٣٫٨٧٥

اجمالى ما يدفع للباشا . . . . ٩٠٧٫٩٨٨

الى البكوات :

تقاوى برسيم لعلف الخيول فى الاراضى
التى جنبت لهم لهذا الغرض . . . . ١٦٫٢٩٤

الى أوجاق المتفرقة :
فى ولاية البحيرة . . . ١٠٤٫٨٥٧
فى قرية سرنهـــاى خصما
على الخزينـــة ٤٨٤
الاجمـــالى . . . . ١٠٥٫٣٤١

الى أوجاق الجاويشـــية . . . . ٩٨٦٫٤٤٤

الى الوالى اغا الشرطة بالقـــاهرة . . . . . ٣٠٩٫٠٠٠

الى أمين الاحتساب . . . . ١٩٫٤٩٧

الى الروزنامة أو هيئة الأفندية :
الى الروزنامجي والأفنـــدى
المحتسب خصما من مشتريات الكتان ٢٨٫٠٠٠

الى الكتبة فى مكتب الروزنامجى . ٧٤٫٨٢٥
كجراية من الحنطة والشعير :

للروزنامجى	٢٧٫٦٥٠
للكتبـــة	٢٥٤٫١٠٤
للباش حلفـــا	٦١٫١٧٢
لأفندى الشرقية	١١٫١٢١
لأفندى الغربية	٣٣٫٣٦٧

لافندى الشـــهر ٥٤٤ر٦٤

لافندى الغلال ٣٩ر٩٩٠

اجمالى الجراية ٤٩١ر٨٥٨

اجمالى ما يدفع للروزنامة ٥٩٤ر٦٨٣

الاجمالى العام للنفقات التى تقع على عاتق السلطان ٢ر٩٣٩ر٢٤٧

د س

وهى تعادل ٢ . ٢ ١٠٤ر٩٧٣ جنيها توريا

وبالفرنكات ١٤. ١٠٣ر٦٧٧ فرنكا

وعلى الرغم من أن الراتب المخصص للباشا فى مقابل الاستهلاكات المتنوعة التى أوضحناها بالجدول جاء مقدرا بالمدينى ، فان السلطان كان قد قرر أن تسدد عينا . وكان مدير جمرك بولاق ، والمين الاحتســـــاب ، وملتزم دمياط ، وهم الموكلون بتوفير السلع التى يتكون منها هذا الراتب ، يحصلون فى مقابلها على المبالغ المذكورة ، وعندما كانت قيمة هذه الأشياء تتجاوز المبلغ المعتمد لهذا الغرض كان على الباشا أن يحيطهم علما بذلك ، وكان على بقية الموظفين الذين يحصلون على جراية من الغلال أن يسلكوا نفس هذا السلوك .

وقد سبق لنا القول أن الاطلاق (أو الاسلاق) هى الاراضى المعفاة من كافة الضرائب ، وانها كانت تخصص لتوفير العليق لخيل الباشا والبكوات. وحيث طلب الملتزمون الذين تدخل اراضى الاطلاق هذه ضمن زمام قراهم ان يضموا هذه الاراضى الى أراضى الوسايا فقد خولوا ذلك مقابل مبلغ سنوى قدره ١٦ر٦٦٦ مدينى أوردناها بالجدول ،وقد ادخل هذا المبلغ ضمن المال الميرى المقرر على ولاية الجيزة .

وفى العام ١١٧٩ من الهجرة منح السلطان مصطفى للباشا راتبـــا اضافيا على نفقة الخزينة ، ويبلغ ١ر٧٢٨ أردبا من الحبوب تقدر قيمتهـــا بواقع سعر الاردب الواحد ٢٥ مدينى بـــ . . . ٤٣ر٢٠٠ مدينى

واذ كان هـــذا المبلغ يشـــكل زيادة على الـــ . ٦٨٠ر٦٧٥

وهى حصته من الميرى العينى المقرر على مصر
العليا والذى يقدر بـــ ٢٧٫٢٢٧ أردبا بواقع سعر
للاردب يعادل نفس السعر السابق ، فان هذا
المبلغ يصل باجمالى الدخل الذى كان يتمتع بهالباشا
الى . . . . ٧٢٣٫٨٧٥ مدينى
وهو المبلغ الموضح بالجدول .

وحيث قد أمر هذا السلطان نفسه ، فى نفس العام ، الا يدفع ثمن مشاقة الكتان التى ترسل كل عام الى القسطنطينية خصما على أرصــــدة الخزنة ، فقد اضيف ثمن هذه السلعة المشتراة الى مصروفات الميرى فى مقابل ٧٠٥٫٣٥٠ مدينى . وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة ، عندما لاحظ القيطان باشا الذىاستحوذ علىالسلطة المطلقة فى مصر، انهذا المبلغ غير كاف، وان الباشوات كانوا قد أدخلوا عادة أن يستكملوا ثمن هذه السلعة خصما من الخزنة ، فقد أعاد من جديد النظام الذى كان متبعا قبل السلطان مصطفى. اى انه امر بان يخصم ثمن مشاقة الكتان التى قد يطلبها السلطان منالخزنة اى من الاموال التى ترسل اليه . ولم يدع متبقيا على عاتق المال الميــرى سوى الــ ٢٨٫٠٠٠ مدينى التى خصصها السلطان للروزنامجى والافندى المحتسب كخصم ((تنزيل) يتم لحسابهم من المبالغ التى كانوا يستخدمونها فى القيام بمشتريات من نفس النوع .

ثانيا ـــ مصروفات الجيش

رواتب :

البــــكوات	٦٦٦٫٢٤٨
الفرق الظافرة أو الاوجاقات . .	٢٦٫٢٥٨٫٠٢٦
حاميات القلاع والطــوابى . .	٢٫٧١٩٫٤٨٧
حاميات قلاعالواحاتبالقربمنأسوان	١١٣٫٧٣٠
اجمـــالى الرواتب	٢٩٫٧٥٧٫٤٩١

المــؤن :

البـــــارود	١٠٩٫٧٤٦
الخشب كوقود لافران الخبز . .	٤٫٤٢٠

الاضـــــاءة ٠٠٠ر١
اجمالى نفقـــات المـــؤن ١٦٦ر١١٥

ويذا يبلغ اجمالى مصروفات الجيش ٦٥٧ر٨٧٢ر٢٩

	د	س	
وهى تعادل	١	١٢	٨٨٠ر٠٦٦ر١ جنيها نوريا
وبالفرنكات		٣١	٧٠٩ر٠٥٣ر١ فرنكا

وكانت اعتمادات الجيش توزع بطريقة يبلغ معها راتب كل جندى فى العام الواحد ١٨٢ ١/٢ مدينى ، فى حين كانت رواتب الضباط تتناسب مع رتبهم ، فكانوا يحصلون على ضعف أو ثلاثة أمثال هذا المبلغ بأقساط قيمة الواحد منها ١٨٢ ١/٢ مدينى تستحق الدفع بتفويضات على الخزينة العامة تسمى أوراق الجامكية (أى اوراق مرتبات) . وكان كل واحد من البكوات يحصل على ٦٦٦ر١ مدينى من هذه الاقساط بحيث تبلغ المعاشـــات التى كانوا يحصلون عليها فى الأصل : ٠٨٠ر٢٩٧ر٧ مدينى . ويؤكد البعض أن مرتبات (جامكية) الاوجاقات كانت تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ مدينى . وكان البكوات والاوجاقات ينظرون الى هذه الجامكية باعتبارها ملكية خاصـــة وليست رواتب مستحقة لوظائفهم ، وحين قام هؤلاء ببيع او بالتنازل عن الجزء الاكبر منها فقد انتهى بها الامر أن تحولت الى سندات مستحقة لكل الحائزين لها فى حين أصبح من بين ملاكها أطفال ونساء . وان المرء ليجهل لماذا كانت الحكومة والباشا يتسامحون فى مثل هذه المبيعات ، وان كان لا يخامرنا شك فى أن المثال الذى قدمه كل من سليم وسليمان حينما خصصا أوراق مرتبات (أوجامكية) لمصالح المساجد و المنشآت الخيرية ، قد برر فيما يبدو للاخرين أن يسلكوا سلوكا مشابها . ومهما يكن الأمر فان أوراق الجامكية الخاصة بالبكوات والاوجاقات ، والتى كانت لا تزال تبـــاع وقت مجىء الفرنسيين لم تكن تتجاوز المبالغ التى بيناها . ومن جهة أخرى فاننا لم نفصل عن هذه رواتب حاميات القلاع والطوابى الا لأن السلطان قـــد خصص مبلغا معينا ينفق خصيصا فى هذا الغرض . وتشكل هذه الحاميات جزءا من أوجاق المتفرقة ، لكن هذا الاوجاق لم يكن هو الذى يكون حاميات قلاع الواحات ، وكان القائد يجند لهذه الخدمة اتراكا وبربرا ومغاربة ، كان يدفع رواتبهم من المبالغ الناتجة عن أوراق الجامكية التى كانت تعطى له .

وتوضح ضآلة المبالغ المخصصة لنفقات المؤن والتموين ان السلطان كان قد وضع الجزء الأكبر من المصروفات المطلوبة على عاتق حكام المواقع . ويمكن لنا أن نحدس كذلك ان الكثير من المصروفات المماثلة قد ابطلت بعد زوال المؤسسات أو الأنظمة التى اوجبتها .

ثالثا — مصروفات متنوعة

المقياس :

للصيانة . . . . . . ٩٧٦ مدينى

للستائر ٤٣٩

لشيخ المقياس . . . . . ١٫٠٧٤

اجمالى نفقات المقياس . . . . ٢٫٤٨٩

مجرى العيون والآبار التى أقيمت عليها سواقى فى مصر العتيقة :

اجور العمال المستخدمين فى الآبار بما فى ذلك ٤٫٠٠٠ مدينى تؤخذ خصما من الخزينة . . ٤٤٫٤٣٦

تبن للتبران المستخدمة فى الآبار بالاضافة الى مصروفات صيانتها ٦٨٫١٢٠

اجمالى مصروفات الآبار . . . . . ١١٢٫٥٥٦

جسور لترع بحيرة تنيس والنوارة . . . . ٣٦٫٦٢٣

ازالة الطين المتراكم تحت القناطر . . . ٨٦٠٫٧٩٨

مشاعل مقامة على شواطىء الترع لمنع تحويل مجراها . . . . ١٫٧٥٩

محطة ابدال مقامة فى العريش لبريد السلطان(*) ٧٫٨٠٠

قفاطين يوزعها الباشا على من يتولون المناصب ٧٤٢٫٠٠

صيانة الحمام التركى الموجود أسفل القلعة (حمام الخاصة) . . . . ٩٫٦٦٧

جرار للمياه يستخدمها الديوان ١٥٠

(*) حيث يتم ابدال الخيول أو الدواب المستخدمة فى نقل البريد . (المترجم)

تغليف (تجليد) سجل الميرى العام . . . . ٢٫٢٨٢
للسقايين بالسويس . . . . ٢١٫٦٦٠
لكاشف ولاية البحيرة مقابل صيانة الترعة
التى تنقل مياه النيل الى صهاريج الاسكندرية ١٦٫٠٠٠
سبيل حسن باشا بقلعة القاهرة . . . . . ١١٫٠٠٠
بئر يوسف أفندى بالقلعة خصما على نفقة الخزنة ٣٫١٠٠
سبيل ابراهيم الكخيا . . . . ٥٫٠٠٠

مشتريات للباب العالى :
شربات يدفع من ثمنه ٧١٫١٢٤
مدينى خصما على الخزنة . . ١٠٦٫٦٩٠
أرز وعدس خصما على الخزنة ٧٠٢٫٩٦٩
. . . . ٨٠٩٫٦٥٩

الاجمالى العام ٢٫٦٥٣٫٥٨٥ مدينى

	د	س	
ويعادل هذا المبلغ	١٠	١٧	٩٤٫٧٧٠ جنيها توريا .
وبالفرنكات		٩٠	٩٣٫٦٠٠ فرنكا .

ومن المعروف ان مقياس النيل كان يقام داخل سور يسهل اتصاله بالنيل ، اقيم عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وكانت حراسة وصيانة هذه المنشأة امتيازا وراثيا لشيخ من نسل ذلك الشيخ الذى سبق أن وكله بذلك السلطان سليم. ويقوم هذا الشيخ ، عندما تنخفض مياه النيل ، بازالة الطمى الذى يتراكم على سفل المنشأة . أما الممر الداخلى الذى يسيطر على حاشيته فكانت تحميه فيما مضى ستائر ظل دفع الاعتماد المخصص لتجديدها مستمرا حتى عندما زالت هذه الستائر .

وبمجرد ان يبدأ النيل فى الارتفاع(١) ، يأخذ الشيخ فى الاعلان عن المقياس الذى بلغه ارتفاع المياه يوميا عن طريق منادين يجوبون الشوارع ، ويقفون بكل البيوت . وكان السكان يجدون سعادتهم فى تقديم الخبز والنقود الى هؤلاء المنادين .

---

(١) عند نحو بداية انقلاب الصيف .

وكان هؤلاء يتجمعون عند ظهيرة كل يوم فى مسجد يقع الى القـــرب من مصر العتيقة لكى يعلن لهم شيخ المقياس مقدار الفيض الذى بلغـــــه النيل منذ العشية(١) .

اما الخليج فكان يفتح الى الشمال من مصر العتيقة على فرع النيل الصغير الذى تصنعه جزيرة الروضة ، وهو يعبر القاهرة ويمضى ليروى ولايتى القليوبية والشرقية(٢) . وكان البك مكلفا بأن يصنع فى داخل هـــذا الخليج جسرا يمتد لمسافة خمسين قدما لكى يمنع مياه النهر من ان تتوغل فيه وبذلك تصبح مياهه اعلى مما كان ينبغى ، كما كان مكلفا بالعمل على ازالة الطين المترسب فى المساحة القائمة بين هذا الجسر وبين مجـــــرى النيل ، فى مقابل حصوله على الـ ٤٢٠ر١١ مدينى المرصودة لهذا الغرض. ويتم قطع سدة الخليج فى الخامس عشر أو الثلاثين من اغسطس ، ويصبح الموعد اكثر اقترابا من التاريخ الأخير عندما تكون هناك خشية من حدوث فيضان مدمر . وفى عشية هذا اليوم يرحل امين البحرين(٣) من بولاق فى قارب تزينه البيارق والاعلام ، ومجهز بأربعة مدافع تطلق نيرانا مستمرة ، يمضى ليأخذ مكانه عند فتحة الترعة ، وما أن يحل الليل حتى تطلق الالعاب النارية على ضـــــفافه ، وفى هذه الليـــلة تكف الشرطة عن ممارســة قساوانها المعهودة ، فلا تعتقل أو تضايق احدا ، ويبدى الناس وهم يتدفقون فى الاحياء المجاورة فرحة طاغية بعيد يضمن لهم ما يعود عليهم به النهر ، صانع حياتهم ، من فوائد ومباهج ، وتنتشر الفرحة والبهجة على سـطح المياه مع ما يسبح فوقها من قوارب عديدة تغطيها ، بل أن النسوة انفسهن،

---

(١) اليكم مقياس فيضانات النيل اثناء مدة اقامة الفرنســـيين بمصر ابتداء من اقصى انخفاض له :

العام السابع (من قيام الجمهورية الفرنسية — ١٧٩٨) ٢٢ قدما و٦ بوصات — جيد .

العام الثامن ٢١ قدما وبوصتان — متوسط .

العام التاسع ٢٤ قدما و٨ بوصات — جيد جدا .

وطبقا لما يقوله المسيو لوبير فان النيل لا يهبط مطلقا لأدنى من ٥ اقدام .

(٢) تستخدم هذه الترعة فى ملء اسبلة المدينة ، كما انها تحول الى برك صالحة للملاحة الميادين المسماة الازبكية وبركة الفيل الخ ، حيث يحلو للمواطنين ان يتنزهوا بالقوارب .

(٣) اى ملتزم الرسوم التى تحمل هذا الاسم .

وهن اللاتى يقضين طيله العام قابعات خلف اسوار حريم ، يشـــاركن فى هذه البهجة العامة ، فيندفعن منفصلات عن الرجال فى زوارق ينبـــح لهن الغناء والموسيقى التى تعزف فيها لحظة من السعاده . وعند نهاية النهار يقلل الوالى من سمك السد ، ويتوجه كثير من الشيوخ الى المقياس ليمضوا الليل فى تلاوة القرآن واقامة الصلوات كى يبارك الاله فيضان النيـــــل ، ويتجه البكوات وكل الموظفين الى شاطىء الخليج ، وهناك يعسكرون مع كل بيوتهم ، وعند انبلاج نهار اليوم التالى يتخذ الباشا مكانه ، تحيط به حاشيته ، فى سرادق مقام على شاطىء مدخل الخليج . حيث يلحـــق به القاضى وكل اصحاب المناصب ، ويعلن شيخ المقياس فى حضرة ممثـــــل السلطان ، يحيط به الديوان المهيب ، أن ارتفاع النيل قد بلغ الـــ ١٥ ذراعا المطلوبة (٢٥ قدما)(١) ، ويحرر القاضى حجة تشهد فى الوقت نفسه أن المياه قد بلغت الارتفاع اللازم لفتح سدة الخليج ولجباية المال الدر ، ثم يوقع هذه الحجة بعد أن يسجل أن الباشا وكبار ضباط الولاية قد شهدوا تحريرها ، ويتم الاسراع بقطع السد ، ويعاون عمل النهر عمل العمـــــال فيختفى السد ، ويتهادى أول ما يتهادى قارب والى مصر السنبقة فوق المياه التى تندفع مدومة فى الخليج ، فاذا ما حدث أن انقلب قاربه بفعل اندفاع المياه فان القهقهات الصاخبة تعلو من جمهور الناظرين ،ويملأ كل سكان القاهرة البيوت المجاورة للخليج أو ينتشرون على شاطئيه ، ويهـــرع الى هناك الجميع ، رجالا ونساء واطفالا ، مع اندفاع المياه التى تستحوذ على مشاعرهم ، وينسب الناس جميعا الى هذا المجرى ، وقد اصبح صاخبا ، الكثير من المعجزات ، فتلقى به النسوة خصلات من شعرهن أو بقطع من مزق ملابسهن وهن يأملن فى الحمل والانجاب أو اية مطالب نافعة ينتظرن تحقيقها من وراء هذه القرابين . ويلقى الباشا ومعيته بقطـــع من الذهب والفضة وبحفنات من المدينى الى العمال الذين ساهموا فى قطع السـدة ويراقبون حركة المياه ، ويحصل هؤلاء ، من عدد كبير من النظارة على هبات

---

(١) لم يكن الفيضان الفعلى يبلغ فى ذلك الوقت وفقا لمـــا يقـــوله المسيو لوبير سوى ١٢ ذراعا (٢٠ قدما) ، ولم يكن هذا الفيضان ليصبح كافيا لرى المساحة العظمى من الأرض لو أنه قد ظل عند هذه النقطة ، فلقد كان الفيضان فى العام الثامن من الجمهورية (١٨٠٠) ضعيفا برغم بلوغه ٢١ قدما وبوصتين .

مماثلة ، يتسابقون للحصول عليها مع من يزاحمونهم من الجمهور ، وكان هؤلاء يختارون على التعاقب من بين الاتراك واليهود ، وينتهى الحفل بتوزيع القفاطين التى يخلعها الباشا على ولاة القاهرة ومصر العتيقة وبولاق ، وكذلك على كبار ضباط الاوجاقات الذين يحضرون الحفل(١) .

ونادرا ما تكون البيانات المعلنة والتى تسبق دخول المياه الى الخليج مطابقة للحقيقة ، وان كانت تلك التى تعلن بعد ذلك هى التى توضح بدقة اجمالى الفيضان والحالة اليومية لارتفاع مياه النهر ، ويتوقف اعلان هذه البيانات بدءا من أوائل اكتوبر ، وهو المدى المعتاد الذى يتوقف عنده تزايد المياه(٢) .

وتصل مياه النيل الى سفح قلعة القاهرة عن طريق مجرى يأخذ مياهه من جنب فم الخليج ، بفعل ثلاثة آبار تعمل عليها سواق ترفع المياه الى المستوى اللازم لبلوغها هذا المجرى ، اما الآبار (أو الاسبلة) التى تنتهى اليها فتؤمن استهلاك السكان وحاميات القلعة . وهناك افندى موكل بصيانة الحبال والدواب وتقديم الاجور الى العمال الملحقين بهذه المنشاة ، اما أمين الشون (شونة) فيوفر التبن اللازم لطعام الثيران . وفى عهد السلطان مصطفى ، زيدت الأموال المخصصة لهذا الضرب من ضروب الانفاق ، على نفقة الخزينة ، بمبلغ ٤٫٠٠٠ مدينى ، ضمناها فى المبالغ الموضحة .

---

(١) عندما يتم تنظيف فم الخليج ، يترك فى الوسط عمود من الطين يسمى العروسة ، أى الفتاة المقبلة على الزواج ، ويشعر الناس بالبهجة الغامرة اذا ما حملت المياه بغتة هذه الكتلة من الطين، أما إذا قاومت هذه الكتلة فعل المياه لوقت طويل ،فان الناس يشعرون بالغم والكدر كما لو ان الأمر نذير بأن الفيض لن يكون سعيدا . وتحمل هذه العادة ذكرى خرافة بشعة عن المصريين الوثنيين حين كانوا يضحون بشابة صغيرة كانوا يقدمونها للنهر على انها زوجة له .

(٢) يشكل العيد الذى يحتفل به الاقباط على شرف الصليب ، والذى يتم فى نفس هذه الفترة على وجه التقريب حفلة حلت فيما يبدو محل خرافة قديمة من خرافات المصريين القدماء ، فيبدأ البطريرك ، يتبعه رجال الدين وبقية شعبه ، المسيرة من دير يقع الى جنوب مصر العتيقة ، وبعد ادعيات طويلة ، يذهب البطريرك ليلقى فى النيل بصليب صغير من خشب ، ويحذو حذوه كل تابعيه ، ويسر المسلمون كثيرا بهذا العيد ، ولابد أنهم سيأسفون كثيرا لو حدث أن توقف .

وتقام فى كل عام سدود لفتحات ترع بحيرة تنيس والنوارة التى تصب مياهها فى السهول الرملية المتاخمة لدمياط ولطابية العزبة حتى لا تتوغل فى مجارى هذه الترع مياه البحر . وكان أغا الطابية او الحصن يحصل على ٣٦٫٦٢٣ مدينى فى مقابل بناء هذه السدود .

ويجد المرء فى كل انحاء مصر قناطر مبنية بالحجارة مقامة فوق ترع الرى ، ويمكن للطمى الذى يتراكم حول اقواس هذه الترع ان يعوق مجرى المياه . وكان حكام الولايات ملزمين بالعمل على ازالته (او تجريفه) ، وهم يقتسمون الأموال المرصودة لهذا العمل طبقا للتوزيع الآتى :

سيوط	٧٥٫٠٠٠ مدينى
منفلوط	١٤٫١٦٤
بنى سويف	٣٧٫٥٠٠
الفيوم	٢٩٫١٣٢
الجيزة	١٢٥٫٠٠٠
القليوبية	٤٠٫٤١٠
الشرقية	٦٧٫٦٧٥
البحيرة	١٢٥٫٠٠٠
المنصورة	٧٣٫٩٨٥
الغربية	٢٥٠٫٠٠٠
المنوفية	٢٢٫٩٣٢
اجمالى مطابق	٨٦٠٫٧٩٨

وكان محرما انشاء قنوات أو مساق (مسقى) ترفد عن النيل او الترع التى تتفرع عنه أثناء الفيضان ، ويسهر على ذلك ليلا ونهارا حراس يختارون من أوجاق الشراكسة ، ويحصل هؤلاء على المبلغ الموضح لكى يقيموا على الشواطىء مشاعل تسهل عملية الرقابة التى يمارسونها .

ولا تصل مياه النيل الى السويس ، فكل المياه التى تستهلك هناك تغترف من عيون موسى ، وتمضى الى داخل صهريج واسع للمياه حيث تخزن مئونة المياه اللازمة للمدينة طيلة العام . وقد خصص السلطان سليم للسقائين المستخدمين فى نقل هذه المياه ، المبلغ الذى أوضحناه .

وقد قام أحد الباشوات واسمه حسن ببناء خزان مياه عمومى (سبيل)

بقلعة القاهرة ، لا يزال حتى اليوم يحمل اسمه ، وينفق لملء هذا الخـزان كل عام من الأموال التى رصدها لخدمة هذا المرفق .

ويحدث الشيء نفسه لبئر يوسف أفندى ، الذى خصص السـلطان مصطفى لصيانته ٣٫١٠٠ مدينى ، تؤخذ خصما على نفقة الخزنة .

وقد فرض اسماعيل بك ميرى قدره ٥٫٠٠٠ مدينى على وكالة الزعفران ببولاق ، وخصصت لصيانة سبيل ابراهيم الكخيا فى القلعة ، وهذا السبيل واسع لحد أن الجيش الفرنسى قد استخدمه لتخزين مؤنه (من المياه) اثنـاء الحصـار .

ويرسل الباب العالى سنويا الى القاهرة شوربة جى (شوربجى) باشى الموكل بصنع صنوف من الشربات للسلطان ، فيشترى المواد اللازمة ، ويصنع بنفسه هذه المشروبات الحلوة ، وكان يعطى له طبقا للوائح سليمان مبلغا قدره ٣٥٫٥٦٦ مدينى مقابل نفقاته ، وفى عام ١١٧٩ من الهجـرة أمر السلطان مصطفى برفع هذه النفقات الى ١٠٦٫٦٩٠ مدينى(١) ، ويعطيـه الباشا بخلاف ذلك مبلغ ١٠٫٢٠٠ مدينى لينفقها فى شراء مواد عطرية تعطى لهذه المشروبات رائحة مستحبة ومذاقا أفضل . وتقضى العادة كذلك أن يقدم له الباشا هدية تبلغ ٤٫٠٠٠ مدينى ، كما شاء السلطان مصطفى أن يخصص مبلغ ٨٧٥٫٩٧٢ مدينى لمصروفات شراء وارسال السكر الى الباب العالى ، ولم نشر نحن الى ذلك مطلقا لأن القبطان باشا قد حذف هذا المبلغ فى عام ١٢٠٠ من الهجرة من الانفاقات التى تقع على عاتق الميرى ، وأمر بأن يؤخذ هذا المبلغ خصما من الخزنة اذا ما ارسل السلطان فى طلب السكر ، وان كان فى نفس الوقـت قد أبقى على تصرف السلطان مصـطفى *الذى* تضى باعتماد مبالغ تؤخذ من أرصدة الخزنة ، وتخصص للاغراض التى نوردها فيما يلى :

٢٫٠٠٠ أردب من الارز من انتاج قرية فارسكور
والقرى المجاورة . . . . ٣٢٠٫٠٠٠ مدينى
١٫٠٠٠ اردب من أرز دميـاط . . . . ١٦٠٫٠٠٠

---

(١) أخذ منها اذن مبلغ ٧١٫١٢٤ خصما على نفقة الخزنة .

١٥ر٠٠٠ اردب من عدس القـــاهرة ١٥ر٠٠٠
مصروفات شحن الارز والعدس ١٨٢ر٣٠٦
خصم (أو تنزيل) يتم لصالح الروزنامجى والكتبة ٢٥ر٦٦٣

اجمالى مطابق للمبلغ الوارد بالجدول ٧٠٢ر٩٦٩ مدينى

وكان الروزنامجى يشترى هذه السلع الغذائية من ملتزمى الجهـات التى ينبغى عليها توفيرها ، ويسدد اثمانها بالأسعار التى اوردناها . وحين اصبح مراد ملتزما لدمياط وعثمان ملتزما لفارسكور، توقفت هذه التوريدات كما توقفت توريدات عدس القاهرة ، ومع ذلك فقد ظلت هذه تدخل ضـمن انفاقات الميرى لأن مراد وابراهيم طلبا الى الروزنامجى ان يضـمها الى الدخول المخصصة لهما .

رابعا : المعاشات والمرتبات

اجرى سليم وسليمان معاشـات أو رواتب متنوعه لرجـال الديانة الاسلامية والارامل والايتام . ولاشـخاص منفرقين ، وحذا حـذوهما خلفاؤهما بل ، وكذلك ، الباشوات والبكوات ورجال الاوجاقلو (العسـكر) العاديون ، الذين انتهى بهم الامر ، حتى يضمنوا وصول هذه الرواتب الى الاغراض المخصصة لها ، الى تكليف الروزنامجى باستلام الأمـوال التى نزلوا عنها وان يتصرف فيها طبقا للنوايا التى ابدوها .

واليكم جدولا بالمصروفات التى كانت قائمة عند وصول الجيش الفرنسى الى مصر :

الى المشـايخ والعلماء . . . . ١ر٢٩٥ر٥٣٤ مدينى
للايتـام ٢ر٨٢٤ر٦٦٢
للارامـل ٣ر٢٨٦ر٣٤٨
للشـيوخ :
عطاء الله السكندرى ٤٠
ابو السـعود ٩٨
بهى الدين المجدود ٩٨
محمـد الجـاكى ٩٨
محمد ابو طرطور ٣٩١
المجموع ٧٢٥

الى عائلة سليمان افنــدى . . . . ٢٧٫٠٠

الى اشخاص متفرقين كمعاشات تسمى رزق

نقــــدية :

فى ولاية القليوبية	٣٥٤٫٥٨٠
فى ولاية الجيزة	٦٥٠٫١٤٥
المجمــوع	١٫٠٠٤٫٧٢٥
الاجمــــالى	٨٫٤٣٨٫٩٩٤

	د	س	
وتعـــــادل	١٠	١٢	٣٠١٫٣٩٢ جنيها توريا
وبالفرنكات		٧٧	٢٩٧٫٦٧١ فرنكا

وكانت المعاشات او الرواتب التى اجريت للمشايــــخ والعلماء تعطى لهم فى شكل اوراق مرتبات . ويبدو ان هذه المعاشات لم تكن تشكل فى عهد سليمان مثل هذا الحجم الكبير ، لكن الوازع الدينى قد دفع بالملاك الى تخصيص ارصدة من نفس النوع اضيفت لتلك العطاءات التى خصــصها السلاطين ، وهو الذى بلغ بها الحجم الذى بيناه .

و يمكن أن نقول نفس الشىء فيما يختص برواتب الايتام ، أما معاشات الأرامل التى أصبحت من نصيب نساء الاتراك الذين لاقوا حتفهم عنــــد فتح مصر ، فلم تتناولها اية زيادة ، وان كانت هذه وتلك قد عانت من اهتزاز الثقة فى أوراق المرتبات (الجامكية) التى كانت تتشكل منها ، فى الوقت نفسه الذى ظلت قيمتها فى بنود الانفاق الواقعة على عاتق الميــرى على حالتها نفسها ،ذلك ان البكوات المماليك الذين حصلوا عليها بابخس الاثمان، قد انتحلوا لانفسهم حق الحصول على قيمتها من صندوق الروزنامجى .

ويحكى أن السلطان سليم ، بعد أن استعطفت مراحمه جماعة من الشحاذين الشيوخ ، قد خصص لهؤلاء تلك المبالغ الزهيدة الواردة بالجدول، ثم جاءت ذريتهم ، مستندة الى عادة الزامية معظم العطايا الاختيارية ، لتطالب بها ، ولا يزال هؤلاء يتمتعون بها حتى اليوم .

وكانت الوظــائف المتميزة التى شغلها سليمان ، الافنــدى الســابق

لاوجاق المتفرقة ، قد جعلته مستحقا لراتب قدره ٢٧٫٠٠٠ مدينى خصصها له الباشا خليل ، وظل هذا الراتب يصرف لاحفاده .

اما الرزق (النقدية) التى فرضها السلطان سليمان على الكثيرين من ملتزمى الجيزة والقليوبية ، فقد خصصها لاشخاص بعينهم اراد — هو — ان يكافئهم . وحيث أن هذه الرزق وراثية وقابلة للتحويل ، فانها لا تختلف عن الملكيات الخاصة الا فى ان الروزنامجى هو الذى كان يحصلها ، ويتصرف فى عائدها الذى كان يدخل ضمن الميرى المقدر على هاتين الولايتين .

خامسا : الأعمال والمنشآت الخيرية

صيانة المقابر :

جورماز الاتابكى	٢٫٥٠٠
الشيخ الدمناوى	٤٫٠٠٠
زاوية برقوق	٣٫٠٠٠
حصرون باشا	٣٫٠٠٠
الشيخ احمد الطحاوى . .	٥٫٥٣٨
الشيخ تاج الدين . . .	٨٠٠
الشيخ أحمد النجار . . .	١٫٠٠٠
الشيخ الشهيد	٣٠٠
الشيخ سعد الدين الجمبوى	٢٠٠
الشيخ يوسف العباسى . .	٨٠٠
سيدى ابراهيم الدسوقى .	٥٥٠
عطوان الصيفى . . .	٢٫٠٠٠
الشيخ سويدان . . .	٦٨٣
الشيخ السادات . . .	٣٫٠٥٢
الشيخ احمد المنير . .	٣٠٠
الشيخ عمر الدنبنى . .	٣٩١
الشيخ على ابو النور .	١٩٥
زاوية سنقر . . .	١٩٥
الشيخ عبد الله الجبوشى .	٥٠
الشيخ سويدان . . .	٢٠٥

زاوية المشايخ (عدة اضرحة) ١٢٤ر٦٨
القاضى زين العابدين
(على نفقة الخزنة) . . ٣٠٠
الشيخ محمد كريم الدين
الخلوتى (على نفقة الخزنة) ٠٠٠ر٢
المجموع ١٨٣ر٩٩
مساجد ، اديرة ، دراويش ، شحاذون ، عجزة . ٣٥٨ر١٠٩ر١٣
الجامع الازهر :
العلماء ، الشيخ والمدرسون
الاساتذة ٠٣٠ر٥٧٦
شموع لقارىء
القرآن والخطيب ٧٧٧ر١
أرز وعسل يوزعان
سنويا على الفقراء ٤٨٩ر٢٠
٢٦٦ر٢٢
المجموع ٢٩٦ر٥٩٨
عمائم تعطى لمن يعتنقون الاسلام ٨٤٤٠ر٥
مياه عذبة توزع على الذاهبين لتشييع الجنازات ٨٠٠ر٧
للشيخ البكرى مقابل ما ينفقه فى الاحتفال
بمولد النبى ٥٣٨ر٢
مولد السيد احمد البدوى فى طنطا :
للفقراء { جبن وبصل ٤٦٨ر١
صدقات ١٧٥ر٢
للشيخ العشرة ١٥٠
لعائلة الشناوى
(على نفقة الخزنة) ٠٠٠ر١
المجموع ٧٩٣ر٤
ارساليات الى أورشليم (القدس) :
مصروفات نقل العدس . ٠٠٠ر١
الصرة أو المعاشات . . ٣٢٠ر٣٥
حصر (حصيرة) للمسجد . ٩٥٧ر٩
المجموع ٢٧٧ر٤٦

انارة محراب سيدنا يوسف . . . . . . ٢٫٨٩٥
معونات لايتام المارستان ٢٥٠
صيانة خلوات الدراويش ، ناظم الدين صفهانى ١٢٫٠٠٠
للشيخ الذى يتلو القرآن ليلة فتح الخليج . . ٣٤٢

تيران تستخدم فى ادارة سواقى الآبار التى توجد بمساجد :
الامام الشافعى . . . ٣٧١
الشيخ عمر بن الفارض . ٤١٥
الغورية ٤١٥
سارية الجبل . . . ١٫٢٣٠
المجموع . . . . ٢٫٤٣١

قرب مياه تعطى لـ :
جامع الشيخ عمر بن الفارض ٤٤
أوجاق الجاويشية . . ٤٤
أوجاق مستحفظان . . ٤٤
المجموع ١٣٢

الاجمالى . . . . ١٣٫٨٩٢٫١٣٩ مدينى

	د	س	
تعادل	٥	١٦	٤٩٦٫١٤٧ جنيها توريا
وبالفرنكات		٥٤	٤٩٠٫٠٢٢ فرنكا

ويولى المسلمون عظيم احترامهم للموتى ، ويتوجهون كل جمعة ، وهو يوم الصلوات (كذا) لزيارة مقابر ذويهم ، أو اضرحة اولئك الذين ماتوا تحيط بهم هالة القداسة ، وقد أدت العناية بمقابر هؤلاء وكذلك المصابيح التى تضىء هذه الاضرحة الى انشاء بنود انفاق وردت بالجدول .

أما الأموال التى رصدها سليمان لصالح المساجد والأضرحة والدراويش والشحاذين والعجزة فهى عبارة عن أوراق مرتبات (جامكية) ، ولقد تزايدت هذه الاوراق وتدهورت قيمتها وقلت الثقة فيها على نفس النحو الذى سبق لنا أن لاحظناه فيما يختص ببقية الرواتب التى اجريت على الشيوخ والايتام الـخ ، كذلك فان نفس الدوافع (التى سبق لنا بيانها)

هى التى أدت الى استمرار سداد قيمتها للبكوات المماليك ، الذين آلت — هى — اليهم .

والجامع الازهر هو اشهر المدارس التى تدرس بها النظريات الدينية الاسلامية ، وهى المدرسة الوحيدة بالقاهرة ، ومصر كلها ، التى يحصل منها الدارسون على شهادة عليا ، أو شهادة العالمية ، وقد اختصه سليمان — بشكل جزئى — بأوراق مرتبات ، وبرسوم (أو عادات) على نطرون الطرانة ، وبالاضافة الى ذلك كان الازهر يتمتع بعوائد عدد كبير من القرى، ولذلك فان تدهور قيمة أوراق المرتبات لم تحرمه من الاحتفاظ بدخل هائل . وفى خلال شهرى شعبان ورمضان ، يضاء لخطيب الجامع ، وهو العالم الذى يتلو ويفسر القرآن ، اثنان من الشمعدانات الضخمة ، يضم كل منهما خمسا وعشرين شمعة ، وأوصى سليمان بأن يشترى كل ذلك على نفقة الميرى ، وكان الفقراء والعميان ، المترددون على الجامع، يحصلون خلال شهر رمضان ، عقب غروب الشمس على جرايات من الارز والعسل ، رصدها لهم عبد الرحمن الكخيا .

أما المبالغ المخصصة لشراء العمامات التى تقدم لمن يعتنقون الاسلام ، فكانت تودع مع خازن الباشا ، الذى كان يستبقيها لحسابه عندما لا تتم مثل هذه الاعتناقات .

ويتسلم وكيل الخراج ، ويتصرف كذلك فى المبلغ المرصود لدفع أجور السقائين الذين يحملون الماء الذى يوزع فى المقابر على الأشخاص الذاهبين لتشييع جنازات الموتى والصلاة على أرواحهم .

ويحتفل أهل القاهرة بمولد النبى بكثير من الابهة ، فتضاء المساجد والبيوت طيلة ثمانية أيام متصلة ، ويحصل الشيخ البكرى ، زعيم سلالة أبى بكر صهر محمد ، على مبلغ لا يتناسب فى كثير مع الانفاقات التى اعتاد القيام بها . ويزوره فى هذه الايام المسلمون ، وبخاصة الاولياء منهم ،

ليؤدوا الصلاة معه ، وتكلفه هدايا البن والحلوى التى يقيمها لضيوفه ، وكذا الأنوار التى تزين مداخل مقره والمناطق المحيطة به اكثــر من ۰۰۰ر۱۰۰ مدينى(١) .

ويتسبب أولياء عديدون فى نشأة موالد او أعياد اقل اهمية ، واهم هذه الموالد هو المولد الذى يحتفل به فى طنطا على شرف السيد احمــد البدوى . وكان هذا الحفل يقام بالفعل فى زمن السلطان سليم ، الذى امر بأن توزع هناك صدقات واطعمة على من يوجد بالمولد من الفقــراء ، كما خصص ١٥٠ مدينى لشيخ العشرة لكى يتوجه الى طنطا ويتكفل بالاضاءات المعتادة . وكان سليم يرنو من وراء هذه العطايا المختلفة الى تســـهيل سبل التجارة التى يمكن أن تنهض فى سوق تقيمها (تلقائيا) هذه الافواج من الحجاج (الزوار) . وحيث كانت عائلة الشناوى تتميز بالحماسة التى تبديها فى زيارة ضريح هذا الشيخ ، وفى الاسهام فى نفقات هذا الاحتفال فقد أمن لها معاشا قدره ۰۰۰ر١ مدينى على نفقة الخزنة .

ويعد الحج الى القدس عملا بالغ الجدارة من جانب المســـلمين ، وبخاصة من جانب العرب منهم ، الذين برون فى هذه الزيارة ، وهم الذين ينسبون أنفســـهم الى اسماعيل ، عملا يقصد من ورائه تبجيــل ابراهيم واسحاق ويعقوب المدفونين طبقا لمعتقداتهم فى مسجد الرحمن . وكما هو

---

(١) فى ترميدور من العام السابع ، تلقى القائد العام دعوة من الشيخ البكرى لحضور هذا الحفل ، وقد صحبته الى هناك هيئـــة أركان حربه ، وكنت بالمثل فى معيته . وقد لاحظنا ان العبادات كانت تقتصر على ترتيــل رتيب لبعض آيات من القرآن ، وتلاوة نسب الشيخ البكرى ، الذى يدل على انه من أصلاب سلالة ابى بكر ، وبعد ذلك حصلنا على نصـــيبنا من عطاءات البن والحلوى . كنا نسلك سلوك المسلمين ، وقد تعشـــينا مع الشيخ ، ومع أولئك الذين شاركوا فى الوليمة التى أولمت لنـــا ، وقدمت الاطباق على صوانى واسعة من النحاس ، واكانا على طريقة الشرقيين ، لكن النبى حرمنا من نبيذ العشاء (أى لم يقدم لنا بسبب ما تقضى به الديانة الاسلامية) ودارت علينا المياه فشربنا كلنا من نفس البردق . وقد قســـم المدعوون الى عدة مجموعات ، وكان بجلس مع الشيخ القائد العام والجنرال برتييه Berthier (فى مجموعة مستقلة) ، وكانت لكل مجموعة صينية خاصة بها ، وتختلف هذه الطريقة فى تقديم الطعام قليلا مع الاســـاليب المعتادة عند المصريين ، اذ تمر المائدة نفسها — فى العادة — على التوالى لتنتقل من السادة الى اهل البيت ، وهكذا حتى تصل الى الخدم .

معروف ، فان محمدا نفسه قد قام برحلة الحج هذه ، ولذا فان الورعين من اتباعه يجدون واجبا عليهم ان يحذوا حذوه . وكان مدير هذا المسجد ، يتصل بنائب أو وكيل عنه ، كلف بالقيام بمشتريات العدس اللازمة لاطعام خدم المسجد ومن يلوذ به من الفقراء ، وأخذ سليم على عاتقه سداد نفقات نقل هذه الاطعمة ، كما خصص لنفس المسجد صرة أو معاشا سنويا ، بالاضافة الى اعتماد رصد لشراء الحصر التى تغطى ارضه .

ويقع محراب سيدنا يوسف داخل ارض أورشليم ، وقد بنى على بئر يظن انها البئر الذى سجن فيه على يد اخوته ليبيعوه بعد ذلك الى تجار اسماعيليين . وقد خصص سليم ، على نفقة ميرى مصر ، ما يكفى لتوفير اضاءة وصيانة لهذا المكان المقدس .

وتدعو ضآلة المبلغ المخصص لليتامى المقبولين فى مستشفى المارستان الى الاعتقاد بأن السلطان لم يدر بخلده أن يقدم لهم عونا حقيقيا بقدر ما شاء ان يقدم لهم بعض صدقة . وكانت لهذه المنشأة دخول تتناسب مع الانفاقات التى تقوم بها .

وحيث تقع مساجد الامام الشافعى والشيخ عمر بن الفارض والغورية قريبا من المقابر التى يدفن فيها الكبار (طبقة الحكام) ، فقد كان يتوجه للصلاة فيها حلق كثيرون.وقد خصص السلطان سليمان اعتمادات لشراء وايواء الثيران التى تستخدم فى نزح مياه الابار الموجودة بالقرب من دور العبادة هذه . اما جامع سارية الجبل الموجود بقلعة القاهرة فكان بالمثل يحصل على تسهيلات واعانات . ويجعل الوضوء ، الذى يسبق عادة صلوات المسلمين ، من الاقتراب من بعض الابار أمرا ضروريا ، لكننا نجهل السبب فى اعطاء ثلاث من القرب الى كل من جامع الشيخ عمر بن الفارض، واوجاقى الجاويشية ومستحفظان ، وهو الأمر الذى قرره السلطان سليم.

سادسا : محمل مكة

كسوة للكعبة فى مكة ، منها ٢٦٤ر٨٠٧ مدينى على
نفقة الخزنة ٧٩٠ر٨٠٧
الصرة (رواتب او معاشات) :
نقدا ، لمكة والمدينة منها ١٤٣ر١٤٥
مدينى على نفقة الخزنة . ٢٢٠ر٩٨٥ر١٥

مصروفات لشراء صناديق وزكائب
وتبن ...... الـخ . . . ٤٨٦ر٤
مجموع الصرة ١٥ر٩٨٥ر٧٠٦

لأمير الحـج :

للآلاى ، أى لذهاب المحمل . ٣٤٩ر٠٣٣
مصاريف مطبخ ٩١٩ر٩٢٤
. . . . ١ر٢٦٨ر٩٥٧
اضافى منحه اياه خلفاء سليم منه ١٠٧ر٥٨٧ر١٢
مدينى على نفقة الخـزنة ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
للعربات التى تقل حاملى المدافع ١٢ر٠٦٩
شـــعلات للمذكورين ١ر٢٧٩
لحراس خيمة أمير الحج ٢١٥
للسياس (سايس) ٤ر٧٠٧
لشراء الزيت والكبريت اللازمين لدهن الجمـــال ١ر٤٠٤

للسردارات :

للسردارات أنفســـهم . . ٣٦٦ر٨١٤
اضافى تقرره لهم الســـلطان
مصـــطفى على نفقة الخـزنة ٥٦٣ر٧٢٧
. . . . ٩٣٠ر٥٤١
لبغـــال السردارات . . ٤ر٨٧٩
للجبن والبصل الذى يقدم لهم ١٦ر٦٦٧
المجمـــوع ٢١ر٥٤٦
تعويضات للجنود الذين يكونون حامية قلعـــة
المويلح ، على نفقة الخزنة ١٨٠ر٤٤٠
مصروفات متناثرة تتم عند رحيل المحمل :
لادلاء (مرشدى) القافلة . ١ر٢٥٦
بريد جـــوال للقافلة . . ٥ر٥٥٩
بريد من راكبى الجمال للقافلة ٢ر٧٣٠
المجمـــوع ٩ر٥٤٥

لشراء مكاييل خشبية لكيل شعير خيول وجمال أمير الحج ومعيته فى القافلة	٧٩١	
صدقات توزع خلال السفر	١ر٣٦٧	
لتطهير الآبار الواقعة على الطريق	٢٣ر٥٦٢	
خيمة لتغطية الحوض الذى تؤخذ منه المياه . . .	١٣ر٦٥٩	
تبن للثيران المستخدمة فى الآبار ، وبخاصة بئرا النخل والعجرود	١٠ر٩٢٨	
التزود بالتبن فى بعض القرى التى يمر بها المحمل . .	٦ر٨٨٠	
المجموع		٥٧ر١٨٧
جمل للمبلغ فى جبل عرفات		٢ر٠٠٠

مصروفات تتم اثناء عودة المحمل :

ترفيهات للمحمل يقدمها أظلم باشى وعقبة باشى .	١٩٣ر٢٧٨	
موسيقى يقدمها اظلم باشى .	٨ر٥١٨	
فطائر وحلويات يقدمها اظلم باشى الى أمير الحج . .	١٧ر١٦٤	
المجموع		٢١٨ر٩٦٠

ارساليات تصل الى مكة عن غير طريق المحمل :

نقود فضية وارز لشريف مكة منها	١ر٢٠٠ر٠٠٠	
مدينى على نفقة الخزنة		١ر٧١٠ر٩١٧
نقود فضية الى الشريفة اورخانة	٣٦ر٠٠٠	
نقود فضية للشريفين حمزة وحسين بركة	١٩٧ر٠٠٠	
المجموع		٢٣٣ر٠٠٠

نقود نضية لأمير حاكم ينبع خصـــما على
نفقـــة الخـــزنة ١٨٠ر٠٠٠
ودائع لدى الروزنامجى من الارصـــدة التى
خصصت فى الماضى لتوزيع المراكب التى كانت
تنقل الحبوب الى مكة والمدينة ١٢٠ر٢٢٣
مصروفات نقل الحبوب الى قضاة مكة والمدينـــة ٢٣ر٥٨١
حصر وزكائب تعبأ فيها الحبوب ٥٢ر٦٨٣
لشراء زيت القناديل لمســجدى
مكة والمدينـــة ١٠١ر٦٩٨
مصروفات نقـــل الزيت ومنها
١٥٠ر٨ مدينى على نفقـــة
الخـــــزنة ١٦ر٩٠٤
اثمان الصناديق التى يوضع
بها ومصروفات نقل هـــذه
الصناديق ١٥ر٣٣٤
. . . . ١٣٣ر٩٣٦
ثمن شمعدانات وصناديق لاحتوائها ، منه ٦٠ر٦٢٣
مدينى على نفقة الخزنة ١٢٣ر٨١٣
حصر من الفيوم مع مصروفات شـــحنها . . ٨ر١٣٨

الاجمـــالى . . . . ٤٢ر٠٧١ر٦٥٤ مدينى

	د	س	
تعـــادل	٥	١	١ر٥٠٢ر٥٥٩ جنيها توريا
وبالفرنكات		٨	١ر٤٨٤ر٠٠٩ فرنكا

والكسوة هى الاسم الذى يطلق على الطنافس والبسط التى تسلم لأمير الحج كى يكسو بها الكعبة ويزين قبر فاطمة بالمدينة ، وكانت هـــذه تصنع فى قلعة القاهرة . وقد رصد السلطان ســليمان مبلغ ٥٢٦ر٠٠٠ مدينى لنفقات صنعها ، وارتفع السلطان مصطفى بهذا الرصيد ، لكى يجعله كافيا ، الى ٧٩٠ر٨٠٧ مدينى وهو المبلغ الذى أوردناه بالجدول . ويدير ناظر الكسوة عملية صنعوتطريز الاقمشة ، لكنه لا يحيط سوى الباشـــا علما بكيفية انفاق المبالغ التى حصل عليها لهذا الغرض .

وطبقا للوائح سليمان ، فلم يكن يرسل مبدئيا الى مكة والمدينة ، بمثابة اعتمادات للصرة سوى ١٠٩ر٢٣٠ره مدينى كانت توزع على مساجد عدة ، وعلى شيوخ وسكان كثيرين فى هاتين المدينتين . ومنذ العـام ١١٣٨ من الهجرة ارتفع هذا الاعتماد بشكل هائل فى هيئة أوراق مرتبات (جامكية)، خصصت ، بموافقة باشا القاهرة ، للانفاق على مؤسسات مماثلة لتلك التى عناها السلطان سليمان ، وعندما تبين للكثيرين أن مخصصات الصرة كانت تسدد بدقة فى حين أن حصيلة أوراق المرتبات تبدو فى حكم العدم ، فقـد التمسوا أن يدخلوا فى عداد أصحاب المعاشات المستفيدين من الصرة ، وأن يحصلوا ، بهذه الصفة ، على عوائد أوراق النقد التى كانت فى حوزتهم . وقد أدى السماح بذلك من جانب الادارة الى اضافة المبالغ الآتية الى رصيد الصرة ، وهى المبالغ التى لا تزال تسدد الى اليوم الى الاشـخاص الذين سنشير اليهم :

فى القـاهرة :

الى اسرة الشيخ الجوهرى	٠٤٤ر٥٧٢
الى الشيخ البكرى	٩٠٠ر٢٦٠
الى الشيخ السـادات	٦٣٥ر١٤٨
لاوقاف عبد الرحمن الكخيا	٥٠٣ر٢٠٩
الى نقيب الاشراف	٢٩١ر١٦٥
الى الشيخ محمد المهدى	٠٦٤ر٢٢٥
الى السيد أحمد المحروقى (تاجر) . .	١٧٤ر١٩٦
الى ابراهيم افندى الروزنامجى	٠٠٠ر٤٠٠
الى الشيخ عبد الله الشرقاوى	٧٨٠ر١٩
الى يوسف افندى	٥٥٤ر٤٩
الى خليل افنـدى	٥٠٠ر١٣٧
الى حسين افندى	٢٠٠ر٧١
الى عدد لا حصر له من الاسماء رجالا ونساء	٣٩٩ر٤٦٩ر٥
	٠٤٤ر٩٢٥ر٧

فى مكة والمدينـــة :

الى كثيرين من الشيوخ والمساجد والسكان،
ويدخل فى هذا المبـــلغ ١٤٣ر١٤٥ مدينى
خصصها السلطان مصطفى خصـــما على
الخـــزنة ٢ر٨٢٦ر٠٦٧

الاجمــــــالى ١١١ر٧٥١ر١٠ مدينى

ونتيجة لذلك فان الصرة الحالية، عندما يضيف
اليهـــا مبـــلغ ١٠٩ر٢٣٠ر٥

الذى اعتمده سليمان ، تصل فى مجموعها الى ٢٢٠ر٩٨١ر١٥ مدينى

يرسل منها الى مكة والمدينة ١٧٦ر٠٥٦ر٨ مدينى ، أما الباقى وتقدره ٠٤٤ر٩٢٥ر٧ فيعطى لمستحقيه فى القاهرة .

وهناك امر يدو وكانه هو الذى قد سهل عملية ادماج أوراق المرتبات فى اعتمادات الصرة ، وهو ان السلطان سليمان قد انشأ هذه الاوراق ، شأنها فى ذلك شأن الرواتب التى اجراها على المساجد والارامل والايتام بفئة موحدة تدرها ٥ر١٨٢ مدينى ، وعلى نفس النسق الذى يتبع عند دفع أوراق المرتبات المخصصة للجيش . وقد كان بمقدور الأشخاص والمنشـــآت الذين خصصت لهم هذه الأوراق ، أو الذين آلت اليهم منذ عهده ، ان يبعوها أو يتصرفوا فيها . وعندما قامت ادارة مراد بك وابراهيم بك ، توقف دفع المعاشات أو الرواتب التى كان يحصل عليها ابناء القاهرة والتى أدخلت ضمن الصرة . وعندما كان المحمل يخرج من هذه المدينة كان الروزنامجى يتوجه الى بركة الحج — وهى الملتقى العمومى للمسافرين (الحجاج) — لكى يعـــطى للخطيب ، ولصراف الصرة الجـــزء من المعاشات أو الرواتب التى تدخـــل تحت هذا التحديد والتى ينبغى أن توزع طبقا له . وتعد النقود فى حضرة كل من الكخيا والباشا وأمير الحج ومفوض أو مندوب من قبل قاضى القاهرة، ثم توضع فى صناديق تسلم مفاتيحها للخطيب والصراف ، وبعد ذلك يعهد بالصناديق الى أمير الحج ليضعها فيما بعد تحت تصرف هذين الموظفين فى

مكة والمدينة لكي ينفقا الاموال التى تضمها هذه الصناديق فى الاغراض التى خصصت لها . ولم يكن لشريف مكة أى حق فى اى دخل بالمعنى المفهوم ، اللهم الا اذا كان حائزا على أوراق مرتبات (جامكية) يحصل على مستحقاته طبقا لهـا .

أما المبلغ المخصص لانفاقات الآلاى ، أى ذهاب المحمل ، فيسلم الى امير الحج الذى يتصرف فيه حسبما يتراءى له ، كما يحصل على ذلك المبلغ الذى خصصه له السلطان سليمان باعتباره مصروفات مطبخ .

وقبل عهد هذا الحاكم كان العربان يحترمون قافلة الحج ، التى كانت تنال ما تحتاجه من الحماية لمواجهة المخاطر المعتادة على يد السردارات الذين كانوا يتقدمونها ، فكان يراسها مجرد واحد من تجار القاهرة ، يتولى تدبير أمر الانفاقات التى تفرضها الظروف من المبالغ التى بيناها ، ولكن حين بات من الضرورى التصدى لسطو البدو ، فقد أدت ضرورة احتواء وقاحتهم واطماعهم النهمة الى انتقال منصب أمير الحج الى البكوات ، وبدأ الباشا وكبار ابناء القاهرة يدفعون بأنفسهم رواتب المماليك والمغـــــاربة الذين يستخدمون فى هذا الغرض . وحيث لم يكن لمثل هذا الاحتياط ان يحـــول بشكل تام دون ان يسلب المحمل فى العام ١٠٧٨ من الهجرة فقد استوجب الأمر استجداء مراحم السلطان كى يدبر الوسائل الكفيلة باكتراء حرس قوى له مهابته . وقد امر السلطان احمد بالحاق زيادة اضافية الى الميرى قدرها ١٫١٦٢٫٨٩٣ مدينى تخصص للانفاق على المحمل ، لكن هذا المبلغ كان اقل من أن يواجه متطلبات المحمل، لذا فقد اشترى امان الطريق، بعد ذلك بوقت قصير ، مقابل اتاوة قدرها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى كانت تعطى للعربان الذين يشغلون الصحراوات التى كان على قافلة الحجاج أن تجتازها . وفى العام ١١١٥ من الهجرة ، رصد السلطان محمد اعانة مالية جديـــــدة قدرها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى . واضاف السلطان مصطفى فى العـــام ١١٧٤ الى الاعطيات التى قدمها اسلافه ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ مدينى ، وحيث سلك هـــذان السلطانان (محمد ومصطفى) ، كى يحصلا على الارصدة المطلوبة ، نفس الطريق التى سلكها السلطان احمد ، فان مبلغ الـــ ٧٫٤١٢٫٨٩٣ مدينى الناتجة عن المنح التى قدموها مجتمعين ، يشكل زيادة فى المال المـــيرى

وزعت على كل قرى مصر ، وجبيت منها فى الوقت نفسه باعتبارها ضريبة(١) .
ومع ذلك فقد ظلت نفقات المحمل تتزايد بصفة دائمة ، ذلك ان الاتاوات المالية التى تدفع الى بعض القبائل العربية لم تكن تعفى امير الحج من اكتراء حراس يزيد عددهم مرة بعد اخرى بسبب الخيانات التى يرتكبها نفس البدو الذين تم الاتفاق معهم ، وكذلك بسبب اعتداءات لم تكن متوقعة من جانب بدو آخرين لم يحصلوا على نصيبهم (من الاتاوة) من القبيلة ، وبعد خمس سنوات من الاعانة التى رصدها السلطان مصطفى ، حصل باشا القاهرة من نفس السلطان على زيادة قدرها ١٠٧ر٥٨٧ر٢ مدينى ، واضاف السلطان عبد المجيد فى عام ١١٨٧ الى كل ذلك مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ مدينى ، بحيث بلغ اجمالى الزيادات التى الحقت بنفقات المحمل ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ مدينى ، أما مبلغ الـ ١٠٧ر٥٨٧ر١٢ مدينى التى تشكل الاعانات الثلاث الأخيرة فكانت تدفع خصما على نفقة الخزنة دون أن تتسبب فى تقرير أية زيادات على المال الميرى . وعلى الرغم من ان المبالغ التى يحصل عليها أمير الحج من مصادر مختلفة أصبحت أعلى بكثير من تلك التى خصصت له فى البداية ، وبرغم انه كذلك كان يرث كل متعلقات من يموتون من الحجاج أثناء الطريق ، فقد كانت مهمته هذه لا تعود عليه بنفع كبير ، اذ كان يلزمه أن يكترى المماليك والمغاربة الذين يشاركون فى الحرس ، كما كانت هناك الاتاوات التى يقدمها للقبائل العربية بالاضافة الى مصروفات توفير المؤن وتدبير وسائل النقل الواجب توفيرها لكل من الحق بالخدمة العامة بالمحمل ، ولم يكن هؤلاء يؤجرون على نفقة خزينة السلطان ، أو كانوا يؤجرون ولكن على نحو غير كامل ، كان كل ذلك بالمثل يقع على عاتقه هو ، حتى أن وجوه الانفاق هذه كانت تمتص الاعتمادات التى ينفق منها بشكل تام(٢) .

---

(١) تدخل هذه الزيادة كما سبق لنا القول ضمن بيان الميرى المفروض على كل ولايات مصر .

(٢) تميز كثير من البكوات بالذود عن قوافل الحج ، وكانت هذه القوافل لا تهاجم عادة الا عند العودة ، اذ أن العربان الذين يقدسون بدورهم حج الكعبة لا يريدون أن توجه اليهم تهمة منعه . وبرغم أن حسين بك كشكش قد رفض باصرار ان يعطيهم الاتاوة المعتادة فانهم لم يستطيعوا مطلقا أن يسلبوه جملا واحدا ، فكان يعد رجاله عند منافذ الطرق التى كان العربان يختارونها عادة لممارسة انتهاباتهم ، و يقتسم معهم الاتاوة المالية =

ويحصل شيخ نجارى العربات فى القاهرة على المبلغ الذى رصده له سليمان مقابل قيامه بصيانة عربات المحمل ، مع قيامه ، بالاضافة لذلك ، بتوفير العمال اللازمين لأداء هذا العمل .

ويحرس خيمة أمير الحج أثناء الليل خمسة مراقبين ، يتصايحون من وقت لآخر ، منادين بعضهم البعض ، كى يطردوا النوم عن جفونهم ، بعبارات : وحد الله ، صل على النبى ، وبخلاف الراتب الذى يجريه لهم أمير الحج يحصل كل واحد منهم على حصته من الـ ٢١٥ مدينى ، وهو الاعتماد المخصص لتدبير هذه الحراسة .

وقد أمر السلطان سليمان أن يتبع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات ومعهم سرايا من فرقهم العسكرية ، ويتولى سبعة من هؤلاء الضباط قيادة فرقة الحرس (حرس المحمل) ، أما الاخرون فيتوجهون الى جدة كى يتولوا قيادة الطابية ، وليحلوا محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق . ومنذ على بك ، توقف تعيين السردارات الذين عليهم البقاء فى طابية جدة . وكان السلطان سليمان قد رصد لهؤلاء ولاولئك ، على حد سواء ، راتبا سنويا قدره ٣٦٦٫٨١٤ مدينى ، تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات غير قابلة للتحويل (بالبيع أو التنازل) ، لانها تعد من ملحقات مناصبهم وليست ملكيات خاصة ، وقد حال ذلك دون تدهور قيمتها ، كما كان سببا فى أن السردارات السبعة الذين اقتصر على تعيينهم منذ التجديدات التى ادخلها على بك قد حصلوا على اجمالى هذا المبلغ ، وكان هؤلاء مثقلين بكثير من النفقات ، لحد أصبحت معه هذه المهمة عبئا عليهم ، برغم أن السلطان

= التى يطلبها أولئك اذا ما قاوموا المعتدين ، وقد نجحت هذه الوسيلة ، وانتهى الامر بانتفاء كافة الاخطار ، لكن العربان لم يستمروا على هذه الحال السيئة مع خلفائه ، بل انهم لم يصلوا فقط الى تأكيد حصولهم على الاتاوة مرة أخرى ، بل لقد استعادوا متأخراتهم ، أى ما كان كشكش بك قد رفض أن يسدده لهم ، وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة نهب بشكل تام المحمل الذى كان يقوده محمد بك المبدول ، وبعد ذلك بسنوات ست تعرض المحمل مرة ثانية لنفس الكارثة ، وان كان صحيحا ما يؤكده البعض من أن مراد وابراهيم قد ظاهرا العربان على ارتكاب عملية السطو هذه ، كى يتخذا منها ذريعة لابعاد عثمان بك طوبال ، قائد المحمل فى هذه السنة ، عن المناصب التى كان يشغلها .

قد رصد لهم على نفقة الخزنة اعتمادا اضافيا قدره ٥٦٣ر٧٢٧ مدينى . ومع ذلك ، فنادرا ما كانت ترفض هذه المناصب . فقد كان من الضرورى شغلها حتى يمكن الترقى الى وظائف أعلى .

وكان السردارات الذين يختارون من أوجاقات جامولیان ، وتفكجيان وعزبان ، ومتفرقة ، يحصلون على ٤ر٨٧٩ مدينى مقابل شراء البغـلات اللاتى يمتطونها خلال رحلتهم ، ويصرفون خلاف ذلك اعتمادا قدره ١٦ر٦٦٧ مدينى مقتسمين اياه مع السردارات الثلاثة الاخرين وذلك للتزود بالمؤن من بصل وجبن .

وكان أوجاق المتفرقة يوفر الحامية التى تشغل قلعة المويلح الواقعة فى الصحراء ، فى ثلث الطريق بين مكة والقاهرة . ويحصل الاغا ، قائد هذه الحامية ،من الروزنامجى على مبلغ ١٨٠ر٤٤٠ مدينى ، سـبق أن رصدها السلطان مصطفى خصما على نفقة الخزنة ، وذلك قبل رحيل المحمل بشهرين أو ثلاثة اشهر ، حيث كان يرحل فى ذلك الوقت المبكر ، كى يحل محل الحامية التى كانت تعمل هناكخلال السنة السابقة . ويوزع هذا المبلغ على الجنود كتعويض ، لكنه لم يكن ليحول دون حصولهم على رواتبهم المعتـادة .

وعند عودة المحمل الى القاهرة ، يرسل أمير الحج عند وصوله الى طابيتى العقبة ونخل مشاة يبلغون الباشا والبكوات بوصـوله . وفى الأحوال الأخرى ، كان يبعث بطلباته ورسائله عن طريق أربعة اشخاص من راكبى الجمال . ويحصل هؤلاء وأولئك من الروزنامجى على المبـالغ المبينة بالجـدول .

وعلى بعد مسيرة سبعة أيام من القاهرة ، يجد الناس فى قلعة نخل، وكذلك فى قلعة العجرود ، وفى بعض أماكن اخرى آبارا تستخدم لسقاية المحمل ولتجديد مئونته من المياه ، وقد رصد السلطان سليمان اعتمادات مالية لتطهير هذه الآبار وكذلك لتطهير احواضها التى تستقبل المياه التى تنزح منها . كما حرص على رصد أموال لشراء التبن الذى تتغذى عليـه الثيران المستخدمة فى نزح المياه . ويسبق المحمل ، السقاءون العاملون فى خدمة أمير الحج ، لملء الأحواض ، ولاقامة خيمة يقومون فى حمايتها بتوزيع المياه على الحجـاج .

أما المبلغ (بضم الميم وبكسر اللام مشـددة) فيعلن للمؤمنين أوقات

الصلاة ، ويكرر ما يلفظ به الامام . ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبـــل عرفات ، وطبقا لترتيب استنه سليمان ، كان لابد أن يتم تدبير الجمل الذى يركبه هذا الرجل ، بصفة عاجلة ، مقابل ٢٫٠٠٠ مدينى ،يتم التصرف فيها على يد الشخص الذى يقوم بجباية رسم الخردة ، فحيث كان لهذا الاخير حق التفتيش على أسواق دواب الجمل ، فقد كان بستطيع ، بسهولة اكبر مما يستطيع بها اى شخص آخر ، أن يقوم بهذه الخدمة .

ويعين الاظلم باشى (*)، وهو الموظف الذى عليه أن يسير أمام ركب المحمل ومعه المرطبات للامير وللحجاج ، من قبل الباشا وبترشــــيح من البكوات ، ويصل هذا الموظف الى منطقة اظلم عادة قبل وصول المحمل الى هذا المأوى أو المبيت بيومين ، وفيما مضى كان المحمل يصل الى طابية العقبة موظف آخر ومعه مؤن أخرى ، وعندما الغى على بك اعتماد هذا الأخير ، وجمع منصبى وراتبى هذين المبعوثين ، لم يعد الحجاج يجدون المرطبـــات التى حرص سليمان على توفيرها لهم الا فى اظلم . ويتولى الأظلم باشى شراء ونقل المأكولات التى يجلبها مقابل المبالغ الآتية :

على نفقة الميرى :

باعتباره يشغل وظيفة أظلم باشى .	١٣٤٫٣٥٨	
باعتباره يشغل وظيفة عقبة باشى .	٥٨٫٩٢٠	
. . . .		١٩٣٫٢٧٨

على نفقة مال الجهات الذى يشكل جزءا من الكشوفية القديمة :

من حاكم ولاية الجيزة .	٩٤٫٠٠٠	
من حاكم ولاية البحيرة .	٣٠٠٫٠٠٠	
من حاكم ولاية الغربية .	٢٠٠٫٠٠٠	
المجموع		٥٩٤٫٠٠٠

وعندما أراد محمد بك أن يجعل الاظـــلم باشى فى وضع يكون معه قادرا على الوفاء بالنفقات التى تقع على عاتقه والتى أصبحت بمرور الوقت اكثر تكلفة ، فقد كلف حكام الولايات المشار اليها فيما بعد أن تدفع له

(*) أظلم أو ازلم باشى ، نسبة الى قلعة الأزلم التى تقع الى جنوب العقبـــة . (المترجم)

المبالغ الآتية ، كمصـــــاف الى ضريبة
اســـلامية :

على نفقة مال الجهات :

من حـــاكم ولاية الشرقية ٢٥٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية القليوبيـــة ٢٠٦ر٥٥٠
من حاكم ولاية المنصورة ٣٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية الغربيـــة ٤٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية المنوفيـــة ٥٢٥ر٠٠٠

المجموع ١ر٦٨١ر٥٥٠

اجمالى ما يدفع على نفقة مال الجهات : ٢ر٢٧٥ر٥٥٠

وفى الأزمنة الاخيرة ، أعطى امير الحجالى الأظلم باشى من حصيلة الاعتمادات غير الاعتبادية التى كانت ترصد له على التوالى مقابل مصروفات المحمل ، مبلغ . . . ٧٥٠ر٠٠٠

الاجمالى العام لما يحصل عليه أظلم باشى . ٣ر٢١٨ر٨٢٨

وقد اخذ اظلم باشى على عاتقه ان بقدم كافة أنواع المعـــونات أو المساعدات التى كان يرغب اهل الحجاج فى ارسالها اليهم . وكان يحمى موكبه حرس بتكون من ستين مماوكا ، ومن ثلاث قطع من المدفعية ، ويصحب فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا ، وتشتمل على عدة طبول او صنادبق من احجام مختلفة ، وبوقين أو نفبرين ، ودفين ، ومزمارين ، وتطلق هذه الفرقة انغاما كثيرة عندما يصل المحمل الى الأزلم او الى العقبة ، وقد رصد اعتمادا قدره ١٧ر١٦٤ مدينى لشراء وتقديم الحلوى الى امـير الحج . والأظلم باشى هو على الدوام كاشف مملوك ، له حظوة لدى واحد من البكوات ذوى النفوذ . وفى الأزمنة الاخيرة ، كان يحصل عقب رجوعه من رحلته ، على حكم ولاية الشرقية ، باعتبار ذلك حقا قانونيا له .

ولم يكن المحمل المتجه الى مكة والمدينة هو كل ما كانت ترسله الى هاتين المدينتين أريحية السلاطين الخيرة ، فالنقود والحبـــوب والزيوت والشمعدانات والحصر التى تفرش فى دور العبادة او تخصص لاستخدام شريف مكة وعدد من السكان ، كان كل ذلك يصل الى هناك فى ارساليات متباعدة :

أما المعاش المخصص لشريف مكة فكان يبلغ فيما مضى ٣٤٠٫٠٠٠ مدينى
ويقدر الارز الذى كان يرسل له عينا بـ ١٧٠٫٩١٧ مدينى
وعندما اضاف الى ذلك السلطان مصطفى على
نفقة الخزينة مبلغ ١٫٢٠٠٫٠٠٠

فقد بلغ اجمالى المعاش المخصص له ١٫٧١٠٫٩١٧

أما المعاشات التى كانت من حق الشريفة اورخانة والشريفين حمزة وحسين بركة فقد احتفظت بنفس قيمتها المبدئية ، ومع ذلك ، فبدلا من أن يرسل لهؤلاء مبلغ ١٦٩٫٠٠٠ مدينى نقدا و ٢٨٫٠٠٠ مدينى عينا فى شكل أرز ، كما كان يحدث من قبل ، بات يعطى لهم ١٩٧٫٠٠٠ مدينى فى شكل مسكوكات (قطع نقدية) .

ويمر المحمل بينبع ، وهى مدينة وثغر تقع على البحر الأحمر فى منتصف المسافة بين مكة والقاهرة . وقد حصل حاكمها ، وهو دوما من اقارب شريف مكة ، من السلطان مصطفى على راتب سنوى قدره ١٨٠٫٠٠٠ مدينى ، على نفقة الخزنة ، دون أن يكون ملزما بأية انفاقات لخدمة المحمل .

اما الحبوب التى ترسل الى مكة والمدينة فكانت توفرها المخازن العمومية ، وطبقا للجدول الذى سبق ان قدمناه عن استخدامات الميرى العينى (اى الذى يسدد فى شكل حبوب ومواد غذائية) فقد كانت الحبوب المرسلة الى هناك تبلغ ٦٤٫٠٥٣ أردبا من الشعير تعادل عند تحويلها الى قمح ٤٢٫٧٠٢ أردبا، وكان افندى المتفرقة يحصل على ٧٦٢٫٣٦٩ مدينى مقابل نقلها من القاهرة الى السويس ، أما قبطان بك ، حاكم هذه المدينة، فيحصل على ٩٧٥٫٠٠٠ مدينى كى يرسلها الى جدة بالاضافة الى راتب قدره ١٠٠٫٠٠٠ مدينى ، وكانت تقوم بنقلها الى الميناء الاخير خمسة عشر صندلا يلتزم الباب العالى بتجديدها عندما لا تعود صالحة للعمل ، وتقع نفقات صيانة هذه العمائر وكذلك اجور بحارتها على عاتق حاكم السويس، وقد سبق لنا القول بأن هذا الضابط لم يكن خاضعا لاوامر حكومة القاهرة ، كذلك فانه لم يكن يحيط بتحركاته علما الا للسلطان ، وحين بذل على بك محاولاته لنيل الاستقلال لاذ القبطان بك بالفرار ، وبدلا من أن يقوم على (بك) بارسال حبوب الى السويس ، كتب الى شريف مكة كى يستعى

لتسلمها بالقاهرة ، وحين اقر القبطان باشا ذلك الترتيب الذى اعفى الادارة المصرية من نقل هذه الحبوب الى السويس ثم الى جدة ، ظل شريف مكة يعمل على تسلمها على نفقته ، وهكذا انخفضت المصروفات التى تتصل بهذا الأمر الى مبلغ الـ ٢٢٥ر١٢٠ مدينى التى أوردناها بالجدول باعتبارها خصما او تنازلا تم لحساب الروزنامجى مقابل الأجور التى كان يدفعها فيما مضى الى قائد السويس وافندى المتفرقة . أما مبالغ الـ ٣٦٩ر٧٦٢ والـ ٠٠٠ر٩٧٥ والـ ٠٠٠ر١٠٠ التى كانا يحصلان عليها فقد بقيت فى الخزنة مما زاد من حجمها بنفس هذا القدر ، منذ أن توقف استخدامها .

أما قاضيا مكة والمدينة فقد كانا ملزمين باستجلاب الحبوب المرصودة لهما من القاهرة ، ويحصلان فى مقابل مصروفات نقلها على مبلغ الـ ٥٨١ر٢٣ مدينى (التى وردت بالجدول) .

وحيث قد زادت أسعار الزيت منذ عهد السلطان سليمان ، فى حين لم تزد الأموال المرصودة (لشرائها) فان الكمية التىترسل منه اليوم هى ادنى بكثير مما كان يشتريه من قبل المبلغ المرصود لذلك ، وفيما مضى كان يمنح كمصروفات لشحن هذه المادة من القاهرة الى السويسمبلغ ٧٥٤ر٨ مدينى. ثم خصص السلطان مصطفى لذلك اعتمادا اضافيا قدره ١٥٠ر٨ مدينى على نفقة الخزنة .

ويبلغ عدد الشمعدانات المخصصة لمسجد المدينة اثنين ،ولابد أن يزن كل واحد منهما نحو ٥٠٠ رطل ، وكانا يوضعان بجوار قبر النبى، ولم تكن نفقات صنعهما وشحنهما لتتجاوز فيما مضى ١٩٠ر٦٣ مدينى ، وان كان هذا الضرب من الانفاق قد ارتفع الى الـ ٨١٣ر١٢٣ مدينى الواردة بالجدول ، وذلك عندما خصص السلطان مصطفى لهذا الغرض اعتمادا اضافيا قدره ٦٢٣ر٦٠ مدينى على نفقة الخزنة .

أما الحصر ، فكان يقوم بتوفيرها كاشف ولاية الفيوم، فى حدود المبلغ المرصود لها ، والذى كانت تخصم منه نفقات النقل ، وتخصص هذه الحصر لتغطية ارض المساجد الكائنة بمكة والمدينة .

الفصــل الثــانى

الانفاقات التى تقع على عاتق أصحاب المناصب

سبق لنا القول بأن رواتب أصحاب المناصب تتكون من ضرائب غير مباشرة يمارسون جبايتها ، ومن الامتياز الذى منح لهم فى شكل قطعة من الأرض . واذا كان هذا النظام الادارى يقلص من جهة حصيلة العوائد التى خص بها السلطان نفسه ، فانه من جهة أخرى قد أعفاه من تحمل بعض الانفاقات العامة .

وسنوضح تلك الانفاقات التى كان على الباشا والبكوات أن يسهموا بها ، لكننا لن نشير على الاطلاق الى بقية الانفاقات التى كانت تقع على عاتق الوظائف الأدنى ، بسبب ضآلة أهميتها .

أولا — الانفاقات التى تقع على عاتق الباشا :

يقتضى الأمر منا ، بسبب ذلك التفويض الذى حصــل عليه الباشــا والبكوات ، باحداث تغيير فى الدخول وفى الانفاقات التى تتم لحســـاب السلطان ، شريطة أن يعوضوا من مالهم الخاص اى تخفيض فى الضرائب أو مستحقات يريدون أن يرفعوها عن كاهل أحد الممولين ، وأن يضـــمنوا للخزينة ، فى حالة زيادة أو خلق انفاق جديد ، المال اللازم لتســديدها — يقتضى منا كل ذلك أن نورد هنا — وفى داخل هذا الاطار — الحصــة التى كان يسهم بها الباشا فى تسديد الميرى المقرر على الفرق العسكرية أو على الافراد ، على النحو الآتى :

عن الأوقاف الأهلية الثمانية الخاضعة للميــرى	١٧٨ر١٢٠ مدينى
عن الكخياوات الثــلاثة لاوجاقات جاموليــان وتفكجيان وشراكسة	٠٠٠ر٦
عن أمين الاحتســـاب	٥١٩ر١٧٤
عن الولاة الثلاثة للقاهرة ومصر العتيقة وبولاق	٣٩٢ر٤٦
عن أوجاق الانكشارية كجزء من الميرى المقرر على جمرك الاســكندرية	٢٤٩ر٣٣١ر١
عن أوجاق العزبان عن الرسوم المسماة بحرين	٠٠٠ر١٦٠
الاجمـــالى	٣٣٨ر٨٣٨ر١

ولم يبين السلطان سليمان مطلقا ، بشكل رسمى مدى وحجم ذلك العدد الكبير من الانفاقات التى وضع على عاتق الباشا مهمة الوفاء بها ، فيما عدا الميرى المقرر على منصبه وكذا الميرى المفروض على العوائد والدخول التى اجراها عليه ، ولكن العادة ، وهى هنا تقوم مقام الرغبة الصريحة ، قد حددت الرواتب أو المعاشات التى كان عليه ان يعطيها لكل من يعملون فى قصره ، وللروزنامجى ، ولبقية الافندية بالاضافة الى ما عليه أن يقدمه من هدايا وخلعات وقفاطين كان يتلقاها رؤساء الفرق العسكرية أو الرؤساء الذين يلتحقون بخدمة الحكومة أو بالادارة والتى تقدم اليهم فى احتفالات عامة تقام احتفالا بتوليتهم هذه المناصب .

ثانيا — الانفاقات التى تقع على عاتق البكوات أو الكشاف حكام الولايات :

تقررت الانفاقات التى يقوم باعبائها البكوات أو الكشاف حكام الولايات ، طبقا للوائح السلطان وحكومة القاهرة ، مستقلة عن الميرى المفروض على مناصبهم ، وتدفع هذه الانفاقات عن ذلك الجزء من عوائد الارض ، والمسمى كشوفية ، وهو ما كان هؤلاء الحكام يجبونه من الملتزمين.

ويوضح الجدول الاتى ، حجم وموضوعات هذه الانفاقات .

	إلى أظلم باشي الضابط الذي يسير في مقدمة المحمل	إلى الشوربجي والضباط وجنود الفرق المنتشرين في الولايات	رواتب الموظفين وغيرهم من التابعين للحكام ونفقات أخرى تقع على عاتقهم	الرسوم التي ينبغي على الحكام أن يدفعوها للباشا	الإجمالي
	مديني	مديني	مديني	مديني	مديني
حاكم ولايات قنا وإسنا وجرجا وسيوط	—	—	٦٥٩,٩٣٧	٢٢٧,٤٢٥	٨٨٧,٣٦٢
« منفلوط	—	—	٤٢٠,٢٤١	٢٠٠,٠٠٠	٦٢٠,٢٤١
« المنية	—	—	٨٥٣,٣٩٦	—	٨٥٣,٣٩٦
« بني سويف	—	٥٢٧,٣١٦	١,١٩٧,١٩٠	١٦٧,٠٨٥	١,٨٩١,٥٩١
« الفيوم	—	—	٤٤,٧٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٥٤٤,٧٢٥
ليست هناك أية انفاقات مقررة على ولاية اطفيح	—	—	—	—	—
حاكم الجيزة	٩٤,٠٠٠	—	٨٤٦,٩٩٦	٢٥,٠٠٠	٩٦٥,٩٩٦
« القليوبية	٢٠٦,٥٥٠	٢٤٣,٥٠٤	٦١٣,٢١٧	—	١,٠٦٣,٢٧١
« الشرقية	٢٥٠,٠٠٠	٦٠٨,٥٥٠	١,١٦٠,٠٣٣	٣٥,٤٨٥	٢,٠٥٤,٠٦٨
« البحيرة	٣٠٠,٠٠٠	٥٥١,٩٤٦	١,١٠٧,٥١٨	٢٤٧,٢٣٨	٢,٢٠٦,٧٠٢
« المنصورة	٣٠٠,٠٠٠	٦٦٩,٧٧٨	١,٣٩٩,٨٤٣	١٥٢,٤٢٧	٢,٥٢٢,٠٤٨
« الغربية	٦٠٠,٠٠٠	٨٩٩,٧٤٣	١,٩٨٠,٦٧٤	٦٥٩,٩١٥	٤,١٤٠,٣٣٢
« المنوفية	٥٢٥,٠٠٠	٨٩٥,٤٧٦	٩٥٧,٦٧٠	٢٠٧,٦٤٠	٢,٥٨٥,٧٨٦
الاجمالي	٢,٢٧٥,٥٥٠	٤,٣٩٦,٣١٣	١١,٢٤١,٤٤٠	٢,٤٢٢,٢١٥	٢٠,٣٣٥,٥١٨

ويعادل الاجمالي العام ١٠ س ٧٢٦,٢٦٨ ل ت

وبالفرنكات ٢٢ س ٧١٧,٣٠١

وكنا عند حديثنا عن اظلم باشى قد عرفنا بوجوه انفاق الاعتمادات التى كان يحصل عليها من البكوات باسم : اسلامية من عوائد مال الجهات(١) .

ويشتمل العمود الثانى (فى الجدول السابق) على الأجور أو الرواتب التى كان على اصحاب المناصب أن يسددوها للشوربجى ، ولفرسان اوجاقات تفكجيان وجاموليان وشراكسة وبصفة عامة الى كل رجال الاوجاقلو العاملين فى دوائرهم ، لكن هذا الضرب من الانفاق لم يكن ليبقى اى نفع للبكوات اذ يبلغ حجمه نفس عائد الضريبة التى انشاها سليمان لتوفير هذه الاعتمادات(٢) .

أما العمود الثالث فيتكون من الانفاقات التى ادت الى نشأة رسوم الكلفة .

وتوضح البيانات التالية وجوه انفاقها :

رواتب متنوعة تدفع الى موظفين وغيرهم من التابعين لاصحاب المناصب .

صيانة الجسور والترع السلطانية .

عادات قاضى الولاية .

عادات دجانجى باشى .

عادات الجبيجى باشى .

عادات مفتش الموازين .

البهائم التى تذبح لتوزيع لحومها على الفقراء أثناء بعض الاعياد .

عادات معتادة لبعض المشايخ ولاضرحة الاولياء .

عادات للمساجد .

اتاوات تدفع للعربان .

أجر العامل المكلف بعمل القهوة للفرقة .

عادات للاغا على الحبوب .

صيانة الآبار العامة .

---

(١) انظر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر فى جدول الكشوفية ص ٥٩ خدم العسكر .

وهنا ، كما فى كل اقسام هذا المؤلف ، تبدو الاقوال التى تتكرر فى معظم الاحيان ، عن تفكك او تحلل الاوجاقات متعارضة مع ذلك الحرص=

ألوليمة التى يلتزم باقامتها الحاكم للشوربجية عند مغادرتهم للولاية اكراميات للمذكورين .

وعندما كان البكوات او الكشاف يبداون فى تملك زمام الولايات التى آل اليهم حكمها ، كان الباشا ورجال قصره يجبون منهم رسم تنصيب يتضمن المبالغ التى تكون العمود الرابع .

ومع ذلك فلا ينبغى أن نضم هذه الانفاقات الى تلك المصروفات الناتجة من استخدام الميرى والتى تنفق فى وجوه انفاق مماثلة . وقد سبق أن لاحظنا أن مبلغ الـ ٢٧٨ر١٩٣ مدينى التى تفرض على الميرى لتشكل اعتمادا يمنح لاظلم باشى ، كانت تسدد مستقلة عن الـ ٥٥٠ر٢٧٥ر٢ مدينى التى يحصل عليها هذا الضابط مباشرة من حكام الولايات . ونلاحظ نفس الشىء فيما يختص بخدمة العسكر التى يدفعها هؤلاء الحكام للجنود المنتشرين فى الولايات ، فهى تتطابق فى غرضها مع تذاكر الجاويشية التى كان هذا الاوجاق يحصل عليها من الروزنامجى .

وكان البكوات يحرصون على دعم مماليكهم وذلك بأن يوزعوا عليهم مناصب الدولة او قرى مصر(١) . وكانت دخولهم ، بوصفهم ملتزمين ، توفر لهم الوسائل التى تكفل لهم دفع رواتب لاولئك الذين ليست لهم مناصب أو الذين لا يجرى لهم راتب من أى نوع ، مع العناية بأمورهم .

=

الواضح على بقاء الانفاقات التى أنشئت لصالحها ، وحيث لم تصل روح الاستقلال التى تميز بها البكوات مطلقا الى تخريب او قلب فعلى لقوانين السلطان ،وحيث احتفظت الاوجاقات لنفسها بوجود شكلى عن طريق عدد ضئيل من الاتراك يشغلون فيها بعض الرتب قليلة الاهمية أو التى نزعت عنها اختصاصاتها القديمة . فقد ظل هؤلاء الضباط ينظرون لانفسهم باعتبارهم خلفاء للاوجاقلو القدماء ، وفى نفس الوقت فان المماليك الذين اغتصبوا — ربما — كل الوظائف العليا التى كان رجال الاوجاقلو يشغلونها ، قد أبقوا على هذا النظام العسكرى بأنكانوا يخلعون على أنفسهم نفس الالقاب التى كان يتصف بها رجال الفرق العسكرية .

(١) عندما وصل الجيش الفرنسى الى مصر ، كان البكوات ومماليكهم ملتزمين لاكثر من ثلثى القرى ، وكانوا ، بالاضافة الى ذلك ، وكما سبق لنا أن لاحظنا ، يتمتعون بأكبر قدر من الرسوم غير المباشرة .

ويتمم بيان هذه المصروفات ، التى كان يتم انفاقها على جماعة كانت تكون فى الأزمنة الاخيرة الوضع العسكرى لمصر ، تلك الانفاقات التى كان على اصحاب المناصب ان يوفوا بها .

الفصـــل الثـــالث

موجز بالانفاقات التى تقع على عاتق السلطان

بينا من قبل تلك الانفاقات التى كان يقع على السلطان عبء تدبيرها من الميرى الذى يستبقيه لنفسه ، ولما كانت تلك الانفاقات التى ذكرناها فى الفصل الاسبق مستقلة عن تلك التى نشير اليها ، برغم اتصالها بأعمـــال الصالح العام . ولانها لم تكن لتدخل مطلقا مثل الاخريات فى الحساب العام، ولأن السلطان لم يكن ياخذ بها علما الا ليتاكد من انها قد انفقت ، فاننا لن نتناولها فى بقية هذا المؤلف .

واليكم موجزا للجداول التى تدمناها عند حديثنا عن الانفاقات التى يقع عبئها على عاتق السلطان .

	بالمدينى	بالجنيه التورى			بالفرنكات	
		د	س	ل	س	ف
رواتب مخصصة لموظفين متفرقين	٢,٩٣٩,٢٤٧	٢	٢	١٠٤,٩٧٣	١٤	١٠٣,٦٧٧
مصروفات الجيش	٢٩,٨٧٢,٦٥٧	١	١٢	١,٠٦٦,٨٨٠	٣١	١,٠٥٣,٧٠٩
« مختلفة	٢,٦٥٣,٥٨٥	١٠	١٧	٩٤,٧٧٠	٩٠	٩٣,٦٠٠
معاشات	٨,٤٣٨,٩٩٤	١٠	١٢	٣٠١,٣٩٢	٧٧	٢٩٧,٦٧١
أعمال ومؤسسات خيرية	١٣,٨٩٢,١٣٩	٥	١٦	٤٩٦,١٤٧	٥٤	٤٩٠,٠٢٢
محمل مكة	٤٢,٠٧١,٦٥٤	٥	١	١,٥٠٢,٥٥٩	٨	١,٤٨٤,٠٠٩
الاجمالى	٩٩,٨٦٨,٢٧٦	٩	٢	٣,٥٦٦,٧٢٤	٧٤	٣,٥٢٢,٦٩٠

ولقد سبق لنا أن عرضنا عند تقديمنا موجزا بدخول السلطان لوظائف الافندية الموكلين بامور الجباية ، ولذا فان من المناسب ان نبين هنا اختصاصات اولئك الذين يديرون عمليات الانفاق .

يختص افندى المقابلة بسجلات رواتب الموظفين ومصروفات الجيش ، والانفاقات المتنوعة والمعاشات ، والاعمال والمؤسسات الخيرية التى رصد لها السلطان اعتمادات نقدية ، ويلتزم هذا الافندى بأن يدون فى سجلاته التغيرات التى تطرا على اولئك الذين يفيدون منها . ويمسك افندى الكسوة بسجل يوضح كل النفقات التى تنتمى لنفس هذا النوع . وهو يحتفظ بسجل المعاشات التى تكون الصرة ومصروفات المحمل . وهناك افندى ثالث يختص بكل النفقات التى تنجم عن أوراق المرتبات (الجامكية) ، فينظم عمليات صرفها مع أفندية الاوجاقات ، وبشكل عام مع كل من يمكنه الحصول على اوراق مالية من هذا النوع . اما افندى المحاسبة فيمسك بحساب كل ما يرسل الى الباب العالى نقدا او فى شكل مواد غذائية ، وكذلك بحساب اية مصروفات تتم على نفقة الخزنة . وينصرف نشاط افندى اليومية الى حصيلة اوقاف الحرمين ، التى تصب حصيلتها كما سبق لنا القول بين يدى الروزنامجى . ولم يكن هؤلاء الافندية يسددون اى شىء بانفسهم ، وانما كانوا يسحبون المخالصات وغيرها من المستندات من الاطراف المستفيدة ، ليبدلوها بحوالات قابلة للدفع من صندوق الروزنامجى . ولم يكن الصراف الموكل بالدفع يسدد قيمة الحوالات التى سلمها هؤلاء الافندية ، الا بعد أن يؤشر عليها بختمه باش حلفا المصروفات وذلك بعد أن يطابقها على بيانات السجل العام الذى يمسكه لكل الانفاقات التى تقع على عاتق الخزينة ، وبعد أن يتأكد من بنود ودوافع الانفاق . ويقدم الافندية حسابات سنوية بحصيلة اوراق او مستندات الانفاق التى حصلوا عليها من المستفيدين منها . ويتسلم الروزنامجى هذه المستندات ، فهو المركز الوحيد الذى تتجمع لديه كل التحصيلات وكل الانفاقات . وكل الافندية والحلفا هم مرءوسون للروزنامجى وان لم يكن بمقدوره ان يغير من النظام الذى يحدد اختصصات وظائفهم ، ويخضع له كذلك افندية الفرق العسكرية برغم أنهم يعينون بمعرفة أوجاقاتهم ،

وهو يحاسبهم على الاموال التى أودعت لديهم ، كما كان يسلمهم كل عام الاعتمادات التى رصدت لكل أوجاق ، ليقوموا بتوزيعها طبقا لتعليماته.

وحيث يتملك هؤلاء الأفندية ، سواء منهم من يعمل بالتحصيل او من يوكل بشئون الانفاق ، وظائفهم ، وحيث كان لهم حق بيعها او توريثها ، فلم يكن بالمستطاع انتزاع هذه الوظائف عنهم بشكل تعسفى ، ولم يكن الروزنامجى يتفحصهم الا لكى يتأكد من ان الكفاءة اللازمة لممارسة عماهم متوفرة لديهم ، ومع ذلك فقد كان هؤلاء يرغمون على بيع وظائفهم حين لا يجد الروزنامجى لديهم المعرفة الكافية ، او عندما يخل هؤلاء بواجباتهم عند ممارستهم لوظائفهم . ويحصل الروزنامجى ، باعتباره ابنا للديوان ، على مشورة هذا الديوان بالنسبة لكل ما يتصل باختصاصاته . ووظيفته غير قابلة للنقل (او انه هو غير قابل للعزل) ، وكان محرما عليه ، وعلى كل مرءوسيه كذلك ، تقديم أقل او اوهى معلومة الى اى مخلوق ، كائنا من كان، عن موارد ومصروفات وادارة مصر الا بعد حصوله على اذن محدد وصريح من السلطان أو من الباشا . وهذه الأسرار التى اتبعت باخلاص وامانة ، هى التى اضفت الكثير من الاعتبار والاهمية على هؤلاء الافندية . وكانوا — هم — غيورين على ذلك لدرجة انهم استخدموا فى مسك دفاترهم حروفا غير معروفة (*) . ويتباهى الشرقيون بعلم هؤلاء الافندية ورقتهم ودماثتهم، وتيسر لهم هذه الميزات مداخل سهلة لدى الكبار . وكان هؤلاء يجبون ، بخلاف العطايا التى يحصلون عليها من الخزنة ، رسما بسيطا على من يقدر عليه إن يتعامل معهم من الاشخاص . وقد جعلتهم هذه الميزات المختلفة يحصلون على ثروات ضخمة ، وكانت الغالبية العظمى من الأفندية مماليك ، وكان لهم خلفاء ، هم أولاد لهم بالتبنى ، شابهوهم فى نفس بدايتهم، وبدلا من ان يجعلوا منهم جنودا على غرار ما يفعل البكوات والكشاف كانوا يلقنونهم اصول مهنتهم كى يجعلوهم أكفاء فى شغل وظائفهم هم لكنا تجهل لماذا لم تكن وظائف كبار الافندية

(*) وهى ما يسمى بخط القرمة . (المترجم)

العاملين فى شئون الانفـــــاقات والمصروفات خاضعة لدفع الميرى ، مثلها فى ذلك مثل وظائف الافندية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل . وكان هناك ، فوق ذلك كله ، افندية يديرون المدارس ، ينسخون أو يضعون الكتب ، وكان من النادر أن يهجر هــؤلاء او أولئك مهنتهم كى ينخرطوا فى سلك مختلف .

الباب الثالث

محصلة موارد وانفاقات السلطان

الخزنة أى الأموال التى ترسل اليه فى القسطنطينية

لمسنا من قبل أن الموارد التى تجبى لحساب السلطان ، والنفقات التى تقع على عاتقه تبلغ ما يلى :

المـــوارد . . . . ١١٦ر٦٥١ر٧٢٧ مدينى
الانفاقات ٩٩ر٨٦٨ر٢٧٦

المحصـــلة (ما كان يبقى للخـــزنة) ١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى
تعادل بالجنيهات التورية :

د	س	
١	٢	٤ر١٦٦ر١٣٣
٩	٢	٣ر٥٦٦ر٧٢٤
٤	١٩	٥٩٩ر٤٠٨

وبالفرنــــكات :

س	
٤٧	٤ر١١٤ر٦٩٩
٧٤	٣ر٥٢٢ر٦٩٠
٧٣	٥٩٢ر٠٠٨

وكانت لائحة السلطان سليمان قد وصـــلت
بهذا الفائض الى . . . . ٣٠ر٨٨٣ر٨٧٦ مدينى
وحيث حصل هذا الفائض فى عهد خلفـــائه .
عـــلى زيادة تـــدرها ١ر٩١٧ر٧٤٩
وعلى نقص تدره ١٦ر٠١٨ر١٧٤
فقد تقلص هذا الفائض (الخزنة) الى . . ١٦ر٧٨٥ر٤٥١

وهذا المبلغ هو الذى يطلق عليه اسم خزنة ، وهو نصيب السلطان الذى خص به نفسه من الضريبة ، وظل يرسل اليه بانتظام حتى عهد على بك الذى تجاسر على رفض ارساله اليه . ثم عاد محمد (ابو الذهب) خليفته الى الالتزام بدفعه ، بل لقد بادر بارسال الضريبة المستحقة عن السنوات الاربع التى رفض على بك ارسالها طوالها . وقد واصل ارسالها مراد وابراهيم ، ومع ذلك ، فلما كان من سلطة الباشا أن يخصم من هذه الضريبة الأموال اللازمة للانفاقات الملحة وغير المتوقعة ، والتى يقرر انها تقع على عاتق السلطان ، فقد أساء هذان البكوان استخدام هيمنتهما فى ابتزاز الفرمانات التى تخول هذه الانفاقات الخرافية والتى كانا يخصان نفسيهما بقيمتها .

وقد شاء القبطان باشا حسن أن يزيد من حجم الخزنة بمقدار ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ مدينى وزعها على النحو التالى :

---

(١) أدى توقف دفع مصروفات نقل الحبوب من القاهرة الى جدة ، وهى المصروفات التى انشأها سليمان ، منذ اللحظة التى اقر فيها القبطان باشا هذا الاجراء الذى اتخذه على بك فى هذا الخصوص الى زيادة حجم الخزنة بنفس قيمة هذه الانفاقات التى توقف دفعها على النحو التالى :

٧٦٢٫٣٦٩
٩٧٥٫٠٠٠ } . . . . ١٫٨٣٧٫٣٦٩ مدينى
١٠٠٫٠٠٠

وهناك بالاضافة لذلك راتب سبق أن تناولناه وقدره ٨٠٫٣٨٠

كان سليمان قد خصصه للبك قائد جدة ، توقف دفعه بالمثل وبقى فى الخزينة ، عندما ارسلت حكومة مصر هذا البك الى جرجا بدلا من ان تقلده منصب القيادة ، وحصلت من السلطان على قرار بأن الباشا الذى يرسله الى هذه المدينة ، سيتخذ مقرا له فى جدة . (وبذلك نجد لدينا من حصيلة هذين الوفرين المبلغ المطابق للزيادة الواردة بالجدول السابق وهو (*) :
١٫٩١٧٫٧٤٩ مدينى

(٢) من المناسب أن نجمع فى داخل هذا المنظور الاعتمادات الاضافية الناجمة عن استخدامات هذا المبلغ والتى منحت على نفقة الخزنة بعد سليمان :

على يد السلطان مصطفى : =

(*) ما بين القوسين هو زيادة فى الايضاح من جانب المترجم .

لزيادة حجم الميرى :

على جمرك الاسكندرية . . . . ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ مدينى
على البوصير والسـنامكى ٠٠٠ر٤٠٠

اعتماد اضافى لراتب الباشا خاص بتموينات

الحبـوب	٢٠٠ر٤٣ مدينى
موارد أوجاق المتفرقة من قرية سرنبـاى .	٤٨٤
لمجرى عيون مصر العتيقة	٠٠٠ر٤
لبئر يوسف أفندى	١٠٠ر٣
للشربات (المشروبات الحلوة)	١٢٤ر٧١
للعـدس والارز	٩٦٩ر٧٠٢
لصيانة مقبرة القاضى زين العابدين . . .	٣٠٠
لصيانة مقبرة الشيخ محمد كريم الدين . .	٠٠٠ر٢

على يد القبطان باشا حسن :

معاش لعائلة الشناوى ٠٠٠ر١

على يد السـلطان مصطفى :

الكسـوة	٨٠٧ر٢٦٤
اعتماد اضافى للصرة	١٤٣ر١٤٥

لأمير الحـج :

على يد السلطان مصطفى .	١٠٧ر٥٨٧ر٢
على يد السلطان عبد الحميد	٠٠٠ر٠٠٠ر٥
على يد السطان سـليم .	٠٠٠ر٠٠٠ر٥
المجمـوع	١٠٧ر٥٨٧ر١٢.

على يد السلطان مصطفى :

للسردارات	٧٢٧ر٥٦٣
لحامية قلعـة المويلح	٤٤٠ر١٨٠
لشريف مـكة	٠٠٠ر٢٠٠ر١
للامير حاكم ينبـع	٠٠٠ر١٨٠
لنقل الزيت	١٥٠ر٨
شـمعدانات	٦٢٣ر٦٠
مبـلغ مطـابق	١٧٤ر١٨ر٠١٦ر١٦.

وكما قلنا فان القبطان باشا قد استبعد من نفقات الميرى مبـلغ الـ ٣٥٠ر٧٠٥ مدينى الذى كان يستخدم فيما مضى فى مشتريات مشاقة الكتان ومبلغ الـ ٩٧٢ر٨٧٥ المخصص لشراء سكر الذى يرسل الى القسطنطينية، وأمر بخصم هذه المبالغ من الخزنة اذا ما طلبها السلطان .

على قرية المطـرية ٢٠٠ر٠٠٠
على محلات الجـزارة بالقـاهرة . . . ٢٠٠ر٠٠٠
المبلغ المطابق . . . . ٦ر٨٠٠ر٠٠٠ مدينى

وفى عام ١٢٠٥ من الهجرة ، عندما أعقب موت اسماعيل بك عودة عهد البكوين مراد وابراهيم ، حصل هذان الأميران من السلطان على خفض (فى قيمة الخزنة) يعادل مبلغ الـ ٦ر٨٠٠ر٠٠٠ مما عاد بالخـزنة الى حجمها السابق ، وان كان هذا الخفـض لم يمنعهما من اتيان كل ضروب الخيانة (وفساد الذمة) التى كانا يتهمان بها أثناء ادارتهما الأولى ، فأدخلا ضمن الأموال المرسلة للسلطان كل السندات والأوراق والمخالصات التى تبين الانفاقات ، صحيحة كانت أم زائفة ، والتى يريان انه ينبـغى أن تتحملها الخزنة . ولم تعد الضريبة السنوية التى يسمحان لها بالوصـول الى الباب العالى تتجاوز مبلغ ٧ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى .

ويقدم الجدول الآتى مثالا على الادعاءات التى كانا يتذرعان بها عادة لانقاص الخزنة :

كانت الخزنة التى ينبغى ارسالها للسلطان تبلغ ١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى
وكانا يخصمان منها :
لشراء مشـاقة الكتان(١) ١ر٠٠٠ر٠٠٠
لشراء السكر(١) . . ١ر٠٠٠ر٠٠٠
لتـوزيع استـحكامات
القـاهرة(٢) . . ٣ر٠٠٠ر٠٠٠
لنفس الغرض فى منـاطق
أخـرى (٢) فى مصر . ١ر٥٠٠ر٠٠٠
انفاقات متفرقة بأمر شـيخ
البلـد(٣) ٢ر٧٨٣ر٤٥١

---

(١) تختلف قيمة هذه الانفاقات تبعا لحجم طلبات حكومة القسطنطينية.
(٢) وقد ثبت أن البكوين لم ينفقا شيئا على هذه الاستعدادات .
(٣) كان شيخ البلد عادة يأمر بهذه الانفاقات لمنفعته الخاصة ، وقد أصبحت هذه الانفاقات مشروعة أو قانونية شأنها فى ذلك شأن الانفـاقات السـابقة وذلك بعد أن تم ابتـزاز فرمانات من السلطان تخول هـذه المصروفات .

مجموع ما يخصم . . . . . . ٩٫٢٨٣٫٤٥١

وبذلك لم تعد الخزنة تبلغ ســـوى ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى

د س

تعـــادل ١٠ ٢ ٢٦٧٫٨٥٧ جنيها توريا

وبالفرنكات ٢٦ ٢٦٤٫٥٥٠ فرنكا

وكان سليمان قد قرر ان واحدا من بين الأربعة والعشرين بك ، يحمل لقب أمير الخزنة ، سوف يحمل كل عام خراج مصر الى السـلطان ، وان يعمل تحت أمرته ، لتأمين هذا الموكب ، سردار وسربة يتكون أفرادها من الاوجاقات العسكرية السبعة كلها. فما أن كانت تتم جباية الضريبة ، حتى يتوجه الروزنامجى الى الباشا ومعه قيمة الخزنة ، وفى اليوم الذى يتقرر تسليم الخزنة فيه ، يجتمع بالقلعة، كل من رؤساء الاوجاقات والبـكوات والقاضى وكل اعضاء الحكومة : ويراجع عدد المسكوكات النقدية وتفحص على يد الصراف كاتب الخزنة ، والذى ينبغى أن يكون يهوديا حتى يشغل هذه الوظيفة . وبعد ان يوقع الباشا والروزنامجى البيان المفصل بحساب وقيمة الخزنة ومستنداتها تودع الخزنة فى صناديق مغطاة بالجلد ، ويعهد بها الباشا الى أمير الخزنة الذى يعطى ايصالا باستلامه لها . وأثناء تحميـل الصناديق على الجمال المخصصة لنقلها ، يخلع الباشا على الأمير عبـاءة سوداء فاخرة ، ويغطى الروزنامجى بعباءة أخرى أقل فخامة ، لكنها من نفس اللون ، ثم يوزع قفاطين على السردارات قادة الحرس . ويحضر البكوات ورجال الاوجاقات رحيل أمير الخزنة ، ويحيطون به فى موكب مهيب عند اجتيازه القاهرة وحتى العدلية ، وهو مكان يقع بين العقبة وبركة الحج . ويعلن عن هذا الحفل منذ العشية عن طريق العاب نارية تتم فى العدلية ، بفعل طلقات مدفعية تظل تتكرر حتى لحظة الرحيل . ويتخذ أمير الخـزنة طريقه الى القسطنطينية مرورا بدمشق . وكان السلطان سليمان هو الذى حدد بنفسه تفصيلات هذه الرحلة ، كما حدد المبالغ التى ينبغى أن تتحملها الخزنة لمصروفات النقل ،وشراء الصناديق والحقائب والجلود والسجاجيد التى تستخدم لغطائها . وقد خصص :

لنقل الخزنة . . . . . ٥٠٫٠٠٠ مدينى

للجـلود . . . . . . ٩٫٧٥٧

للسـجاجيد . . . . ١٣٤٫٥
للصـناديق . . . . ٤٢٣٫١١

ولم تكن تبسط السجاجيد الا حين يدخل الأمير المناطق الآهلة كى يضفى بعض الابهة على موكب يتجه الى مقر سلطان .

وقد كف الكخياوان ابراهيم ورضوان عن ارسال هذه الخزنة مع هذه الرسميات الاحتفالية التى أوردنا تفاصيلها . وحذا خلفاؤهما حذوهما. وقبل مجىء الفرنسيين الى مصر لم يكن الباب يحصل على شىء ، الا اذا أوفد — هو — الى القاهرة اغا موكل بصفة خاصة بالحصول على الاتاوة (الخراج) المقررة ، بل ان مثل هذه الارساليات لم تعد تتم فى العادة الا مرة واحـدة كل ثلاث سنوات ، وفى كل مرة، كان يتم تحصيل قيمة الخراجات التى تراكمت فى هذه المدة ، ولم يكن يصحب قدوم أو رحيل الاغا اى ضجيج ، اذ كان الباشا يسـلم اليه ببسـاطة شديدة ، وفى حضرة القـاضى المسكوكات ومستندات المخالصة التى تكون الخزنة ، وكان على الاغا نفسه أن يتخـذ الوسائل التى تناسبه لتأمين عودته الى القسطنطينية ، وهكذا لم يعد ثمـة ما يسوغ تلك المبالغ التى سبق أن اعتمدها سليمان لنقل الخزنة كما ان ذلك لم يؤد الى أى خفض فى الـ ٤٥١٫١٦٫٧٨٣ مدينى (وهى قيمة الخزنة) التى بيناها ، ذلك أن المبالغ المشار اليها لا تدخل فى أى جدول من جداولنا.

الكتاب الثالث

دراسات قصيرة

(١)

معامل التفريخ

روزبير - روبيه

« العنوان الأصلى للدراسة هو : دراسة موجزة حول عملية افراخ الكتاكيت فى مصر باللجوء الى استعمال الافــران او المواقد ، تاليف السيدين روزبير مهنــدس المناجم وروبيــه الصــيدلى » .

« وكان البيض يوضــع فوق القش فى قبــو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة ، حتى اللحظــة التى تفرخ فيهــا الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظــل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ، ليلا ونهارا » .

بلين

التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥

— ١ —

نبذة تاريخية عن طريقة التفريخ الاصطناعية

لعل قليلين من الأشــخاص فقط هم الذين لم يسمعوا بعــد عن فن استفراخ الالــوف من الكتاكيت فى وقت معا ، دون اللجــوء الى طريقة الحضانة الطبيعيه وذلك بابدال حراره الدجاجات بحرارة مشابهة على نحو تقريبى يتم الحصول عليها بشكل اصــطناعى فى أنواع من الافــران أو المكامير ، فهذه واحده من اكثر الممارسات الفريدة التى وجدناها لدى الناس فى العصور القديمة ، ولقد كانت هذه بالمثل فنا هاما عند قدماء المصريين ، كما لا تزال حتى اليوم عند محدثيهم هى الاسلوب الأوحد الذى يستخدمونه لتوفير الكتاكيت . وبالاضافة الى التيسيرات التى قد يقدمها الطقس لانجاح طريقة الحضانه الاصطناعية فان من الأرجح أن يكون الذى وجه بحــوث المصريين نحو هذه العمليه هو ضآلة نجاحهم فيما يبذلونه لحمل الطيــور المنزلية عندهم على حضانة بيضها ونستنتج من ذلك أيضا تلك الاســباب التى دفعت المصريين قبل غيرهم الى التفكير فيها حين نتذكر كم كانت معاهد الكهان القدامى تعنى بدراسة كل ما له بعض علاقة بضرورات الحياة ، وكم كانوا يعلقون من أهمية على توفيــر المأكولات التى وجــدوها أكثر ملاءمة للصحة . ومع ذلك فلابد ان نلاحظ ان هذه الوسيلة لم تكن فى ممارستها قاصرة على مصر بشكل تام ، فقد كان الصينيون ، الذين يحلو للبعض القول بأنهم قد تعلموا على يد مستعمرة من المصريين ، يمارسونها بالفعل منذ زمان لا يمكن لنا تحديد بدايته ، وان كانت أفرانهم وطرقهم بالغة الاختلاف .

ولقد اكتشف الرومان كذلك فكرة الحضانة الاصــطناعية ، ومع ذلك فثمة شك كبير فى أنهم استطاعوا أن يمارســوا ذلك على نطاق واســع

وبشكل مطلق . ويخبرنا بلين Pline ان نسوة رومانيات كن يتحلين فى بعض الأحيان بصبر يدفعهن الى محاولة افراخ بيضة ما بحملها على الدوام بين النهدين ، وأنهن قد كن يستطعن أن يحدسن من ذلك نوع جنس الأجنة اللاتى كن — هن — حبليات بها ، وفضـــلا عن ذلك ، فانه يصـــف بايجازه المعهود ، اسلوب أو طريقة الافران دون أن يفصح عن البلد الذى كانت تمارس فيه ، وانه لامر شاذ فى الحقيقة أن يكون من الممكن لكاتب كهذا ، شديد المعرفة فضلا عن ذلك بعادات مصر ، أن يجهل اصل ومنشأ هـــذه الطريقة .

ويشير ديودور الصقلى ، الذى كان دائم التجوال فى هذه المنطقة ، فى عهد اواخر البطالمة ، الى طريقة الحضانة الاصطناعية ، كما لو كانت فنا يمارس منذ زمان طويل ، ويمكن المرء ، بالطريقة التى يتحدث بها عنها ديودور ، ان يحكم بأن المصريين ، فى ذلك الوقت ، كانوا يحيطون هـــذه الممارسة بكثير من الغموض ،ومع ذلك فان النص الوارد عند ديودور لم يفهم على الاطلاق (الفهم الصحيح) من قبل مترجميه ، اذ يجعـــله الاب تيراسون Terrasson يقول(١) : « وبدلا من تركهم البيض فى حضانة الطيور نفسها التى باضته ، فان لديهم الصبر على أن يجعلوه يفقـــس بتدفئته فى أيديهم » . ويشـــكل هذا التفسير (لنص ديودور) معنى لا يمكن أن يتصف بالمعقولية على الاطلاق ، بل انه لم يرد قط بالنص (المشـــــار اليه)(٢) ، فالتعبير الذى استخدمه ديودور لا يعنى مطلقا أنهم كانوا يدفئون البيض فى أيديهم وانما يقدم معنى مماثلا لتعبير بالغ الدقة استخدمه بلين عن نفس الشىء . ويبدو ان المقصود تبعا لفقرات وردت عند ديودور ومؤلفين آخرين ، لم يكن هو ، فى الأزمنة الاخيرة ،بيض الدجاج بصفة خاصة مطلقا وانما هو بيض الأوز الذى كان يمر بهذه الوسائل ، ولقد كان لحم هذه الطيور واحدا من اللحوم التى كان يفضلها الكهنة خلال الأزمنة التى لا ينتشر بها مرض وبائى ، وهذا هو السبب فى أن القوم كانوا يجدون كثيرا فى مضاعفة أعدادها . وتأتى المبانى الاثرية لتتطابق مع هذه الشهادات حيث نرى هذه الطيور مرسومة فى ألوف الاماكن ، وبصفة خاصة فى تلك الرسوم البارزة التى تمثل الاضحيات المقدمة الى الالهة .

---

(١) الكتاب الأول ،ص ١٦٠ .

ومع ذلك ، فهل يكون علينا — اذا ما تقبلنا فكرة قدم الحضـــــانة الاصطناعية-ان نصدق ان الوسائل التى نجدها هناك اليوم هى نفســها تلك الوسائل التى كانت تتبع فى الماضى ؟

ان سؤالا كهذا جدير بالاهتمام من نواحى عدة ، ويظل يحتاج على الدوام الى اجابة تحسمه .

« يقال إن الكهنة ، وقد تشبثوا بعناد اكبر مما ينبغى بالملاحظـات القديمة المتجمعة حول الطريقة التى تنتهى بافراخ بيض النعام والتماسيح والذى يودع فى الرمال ، لم يكلفوا انفسهم حتى عناء القيام بأية بحـــوث لاحقة ».(١) ويعتقد المرء انهم قداكتفوا بتخيل طريقة مماثلة . ولقد استقر بصفة عامة بين اولئك الذين درســوا عادات مصر القديمة ، ان هــؤلاء الكهنة ، بدلا من استخدام الافران التى تدفئها النيران ، كانوا يحيطون البيض ببراز الحيوانات والذى كانت حرارته الطبيعية تكفى لافراخه ، ومع ذلك ، فلسوف تكون هذه الواقعة بافتراض صحتها،بالغة الغرابة لان ابخرة هذه الفضلات الحيوانية قاتلة لاجنة البيضات ، كما أن الحضانة التى تتم على هذا النحو ، وفضلا عن كونها اختراعا بالغ البساطة ، تقتضى اتخــــاذ احتياطات ليس من الطبيعى تخيلها للوهلة الأولى . واننا لنعرف بالقــدر الكافى ، كيف ساقت مثل هذه الفكرة الشاذة ريومور Reaumur الى الوف المحاولات ، حين اصر بعناد على تحقيق رغبته فى تفريخ الكتاكيت فى روث الماشية على غرار ما كان يفعل الكهنة المصريون . ولقد خصص هذا الفيزيائى الحاذق واليقظ مجلدا باكمله لوصف التجارب غير المثمرة التى قام بها فى البداية ، كما انه لم يحرز بعض نجاح الا بعد ان توصل بشكل حاسم الى الحيلولة دون حدوث اى اتصال بين البيض وبين الأبخرة التى تتصاعد من هذه الفضلات الحيوانية .

ومع أن المسيو دى بو dePauw قد كشف بكثير من التجرد والنزاهة عن وجود افكارخاطئة كثيرة حول عادات مصر القديمة ، فانه — برغم ذلك — قد تبنى هذا الرأى نفسه ، وآراؤه فى ذلك تستحق التمحيص ، ولسوف

(١) M. de Pauw, Recherches Philosophiques sur les Egyptiens, t. Ier, Pag. 204.

نعرف عن طريق ذلك الى أى حد تشبث بفكرته حول هذا الموضوع . يقول هذا الباحث : « لابد أن تعترينا الدهشة حقا لأن كهنة مصر .. وهم الذين كانوا يعرفون معلومات ومعارف واسعة بالقدر الكافى عن امور لا حصر لها ، قد كانت تنقصهم النظرة الناقبة فى نقطة رئيســـــية : ذلك انهم لم يكتشفوا طريقة الافران ، بل لقد كانوا يرتابون فى امكانية انشائها ، وهذا أمر تسهل البرهنة عليه . فأرسطو —ولعله اقدم مؤلف تناول طريقة تفريخ البيض فى مصر—يذكر أن القوم لم يكونوا يستخدمون سوى الحرارة المنبعثة من الفضلات الحيوانية. اما انتيجون الذى عاش بعد أرسطو بقرون طويلة فيذكر الشىء نفسه ، كذلك فعل بلين الذى وضع مؤلفه بعد انتيجون ، كما ترجم ما ذكره ارسطو كلمة بكلمة ، واخيرا فان الامبراطور أرديان الذى جاس فى كل أنحاء مصر ووقف باهتمام على غرائبها قد عبر عن مشاعره فى رســـالة منه وجهها الى سرفيـــان Servien يتحدث فيهـــا عن المصريين « انهم يفرخون كتاكيتهم بطريقة أخجل من أن أقصها عليك » .

« وتبرهن كل هذه الشهادات مجتمعة ان طريقة الافران كانت مجهولة فى هذه البلاد حتى عام ١٣٣ من الميلاد ، وربما لما بعد ذلك بوقت طويل ، ذلك اننى اجهل متى وكيف أمكن الناس هناك أن يتوصلوا اليها » .

ان شهادة ارديان هذه ، هى كما رأينا بالغـــة الدلالة ؛ وان كانت الشهادات الباقية تبدو أكثر موضوعية ، ولكننا عندما نفحص فقرة من بلين أهملها المسيو دى بو سوف نرى أن هذا المؤلف يقـــــول على وجه الدقة عكس ما أسسناه هنا على مسئوليته (انظر التـــاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥) : « وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة حتى اللحظة التى تفرخ فيهـــا الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ليـــــــلا ونهارا » . هذا ما قاله بلين بالحرف ، ومنها جاء التصدير الذى بدأت به هذه الدراسة . وهذا هو افضل تعريف يمكن لنا أن نقدمه ، فى مثل هـــذه الكلمات القليلة ، عن الاسلوب الذى لا يزال متبعا حتى اليوم ، أما التعبير igne medico أى نار معتدلة فلا يترك اى لبس ، كما ان الاشارة الى عامل يعمل ليل نهار فى تقليب البيض انما ترسم بدقة ملمح العمل المتبع فى طريقة الافران ، وكذلك، فعلى الرغم من أن بلين لم يوضح مطلقا المصـــدر الذى استقى منه معلوماته ، فان من المستحيل الاعتقاد بأننا بصدد وصف شىء آخر

غير ما كان يجرى فى مصر ، حيث كان المصريون من بين كل الشعوب التى عرفها الرومان ، وباعتراف المسيو دى بو نفسه ، هم الوحيدين الذين كانوا يقومون بعملية التفريخ الاصطناعية .

وفى نفس الوقت ، فان أرسطو(١) ، مع اختلافات كبيرة ، لم يعبر عن الامر بطريقة تماثل فى دقتها طريقة بلين ، ولست واحدا ممن يقتنعون بأن هذا الفيلسوف قد صدق حقيقة ، شانه فى هذا شأن منتحلبه ، ان الاسلوب (المتبع) كان هو العمل على افراخ البيض بفعل الحرارة التىتنبعث بشكل طبيعى من الفضلات الحيوانية ، وسوف يسهل علينا ان نتبين سبب ازدرائه للامر اذا ما وقفنا على تفاصيل العملية ، حيث لا يقتصر الأمر على وضع البيض داخل المكمرة على طبقة من القش او روث الماشية ، بل ان الوقود المستخدم للاحتفاظ بدرجة الحرارة التى لا بد من توفيرها لن يكون هو نفسه الا من هذه الفضلات نفسها ، اى انه مصنوع من روث الحيوانات مختلطا بقليل من القش المهروس . وحيث ان مصر بلد عار من الغابات ، فقد استخدم الناس فيها ، فى كل العصور ، هذا الوقود الذى يعطى حرارة بالغة الاعتدال ويسهل التدرج بها ، فضلا عن انه يتناسب تماما مع العملية التى نحن بصددها . ولذا ، فاننا لن نتردد مطلقا ، باعتبار ذلك واقعة مستمرة ودائمة ، فى النظر الى طريقة الحضانة الاصطناعية التى تمارس اليوم على انها هى نفس ما كانت تستخدمه مصر منذ عصورها القديمة . وقد أخبرنا شيوخ القاهرة ، وكذلك اكثر ابنائها تبحرا فى العلم ، وهم فى هذا يتفقون مع المؤلفين العرب فى مختلف العصور ، بأن هذه الوسيلة لم يتوقف قط استخدامها سواء فى مصر العليا او فى مصر السفلى ، فاذا كانت احدى المخطوطات التىترجع الى زمن الخلفاء تقصر استخدامها على قرية برما(٢) Behermes فى الدلتا فان الامر يعود الى ازدراء يسهل تفسيره.

---

(١) Historia animalium, lib vl cap 2.

(٢) Behermes هى اليوم برنبال (كذا) وتقع بالقرب من فوه . ونقرأ فى احدى المخطوطات العربية وصلت الينا عن طريق الشيخ ابراهيم قارىء الجامع الكبير (الازهر) بالقاهرة أن ابناء هذه القرية قد ورثوا عن الملحدين (المصريين القدماء) هذا العلم وهم ، مثلهم ، يعرفون طريقة افراخ بيض الدجاج وبيض كثير من الطيور الأخرى .

ولا يزال البرماويون حتى اليوم مشهورين بادارة معامل التفريخ، ويستدعون لهذا العمل فى ولايات عديدة (من مصر)(١) ، ومع ذلك فمن الأرجح أن كانت هذه الحرفةوراثية عندهم ، فقد كانت الأفران علىالدوام كثيرة الانتشار فى كل مكان من البلاد ، وان كان عدم الدقة الذى اتسم به المؤلفون العرب حول مثل هذا النوع من الوقائع يبلغ قدرا لا يمكن للمرء معه سوى أن يرتاب فى انهم قدخلطوا بين هذين الأمرين .

— ٢ —

وصف معامل التفــريخ

تحمل كل واحدة من المنشـات المخصصة لافراخ الكتاكيت اسم معمل الفروج . وتتكون هذه من عدد من الأفران يتراوح بين اربعة افران وثلاثين فرنا . لكن هذه الافران تصطف على الدوام فى صفين متوازيين ، ويفصل بين الصفين دهليز ضيق . وهذا المعمل ، وهو مبنى من القرميد او من الطوب النيىء المجفف فى الشمس ، محكم الاغلاق بشكل دائم ، اما نوافذه فعبارة عن عدد كبير من الفتحات الدائرية الصغيرة تثبت فى قبة الدهليز ، اما الباب ، فنافذة تسبقها عدة حجرات صغيرة جد متلاصقة . هذا هو الوضع العام لهذه المعامل . وليس ثمة ما هو ابسط من تصميم بناء هــذه المعامل ، اذ يتكون الواحد منها من عدد من الخلايا الصغيرة ، يصل ارتفاع الخلية منها لثلاثة امتار (٩ — ١٠ اقدام) ويبلغ طولها نفس الشيء تقريبا، فى حين يبلغ عرضها المترين ونصف المتر . وتنقسم الخلايا الى طابقين اذ يقطعها عند منتصف ارتفاعها ، وأحيانا عند ثلث هذا الارتفاع ، لوح خشبى يكسوه الآجر ، ويخترقه عند منتصفه (فى كل خلية) ثقب يكفى اتســاعه

---

(١) فى الصعيد ، حيث يوجد عدد من معامل التفريخ اقل منه فى مصر السفلى ، يحتكر اقباط ببلاو ادارة هذه المعامل ، ومنذ ثلاثين او اربعين عاما كانت هذه القرية التى تقــع على بعد بضــعة فراسخ الى شــمال منفلوط ، وهى اليوم تكاد تكون خربة ، كانت ما تزال ضيعة هائلة تضــم عددا كبيرا من المعامل ، ومنذ ذلك الوقت تفرق « معلمو » المعــامل فى مختلف انحاء مصر العليا واستقروا فى مدن جرجا وفرشوط وبهجورة واسنا وفى كل البلدان تقريبا ، أما حصيلة ما رصدته من أرض الواقع فهو انه ليس من المحتمل أن يكون مسيحيو ببلاو قد تعلموا اساليبهم من ابناء برما .

« هامش من وضع المسيو جومار »

لتمكين رجل من أن يمر من طابق الى الطابق الاخر . ولكل واحدة من هذه الحجرات (أو الخلايا) الصغيرة بابها المطل على الدهليز ، يكاد يماثل فى حجمه نفس أطوال النقب المعمول فى اللوح الخشبى ، ويستخدم كذلك استخداما مشابها . وهناك فتحات أخرى فى الحواجز او الفواصل الجانبية تؤدى لحدوث اتصال بين كل الأفران الواقعة على الجانب نفسه من جانبى الدهليز ، واخيرا ، يخترق القبة التى تغطى كل فرن ، فتحة ضيقة تساعد على تصريف الدخان. وحيث تخصص الحجرات السفلية لوضع البيض ، فان النار توضع فوق أرض الحجرات العلوية ، والتى احدثت فيها ، بقصد استقبال هذه النار ، حفرتان قليلتا العمق ، وان كان عدد هذه الحفر يبلغ الأربعة فى بعض الأحيان ، تقع بالقرب من الجدران الفاصلة أو الحاجزة . وتحيط بثقب أو فتحة اللوح الخشبى حافة ناتئة يبلغ طول نتوئها بوصتين ، ويحمى هذا النتوء البيض من سقوط رماد المواد الملتهبة عليه(١) .

وتستخدم احدى الحجرات الواقعة عند مدخل المعمل مقرا لسكنى العامل الرئيسى (المعلم) ومساعده ، وهذان لا يبتعدان ابداً عن المعمل طيلة الوقت الذى تستغرقه عملية التفريخ ، وتستخدم حجرة اخرى لاشعال الوقود الذى يراعى الا يحمل الى الافران الا بعد أن يكون قد احترق نصف احتراق كى لا يمكن هذا الوقود أن ينتج أبخرة ضارة ، ويتكون هذا الوقود المسمى « جلة »(*) من بعرات الجمال والقش المهروس ، معجونة على هيئة أقراص ، ويعطى هذا الوقود كما سبق لنا أن أشرنا ، حرارة بالغة اللطف، تسهل زيادة درجتها عند الحاجة .

— ٣ —

سير عملية التفريخ

توافق الفترة التى تفتح فيها المعامل فى مصر العليا أبوابها الأيام الأولى من شهر فبراير ، لكنها دوما تبدأ بعد ذلك بفترة فى مصر السفلى اذ الطقس

---

(١) انظر اللوحة الأولى ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ من مجموعة الفنون والحرف ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ، وكذا اللوحة الثانية ، الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ .

(*) هذا اللفظ هو نفسه ما ورد بالنص الفرنسى (المترجم)

(وصف مصر — م

هناك اقل حرارة .وحيث تبلغ مدة الحضانة واحدا وعشرين يوما فان الكتاكيت لا تفرخ الا عند نحو بداية شهر مارس . وقد دلت التجربة على ان الحرارة، فى هذه الفترة وحدها ، تكون مناسبة بالقدر الكافى للكتاكيت الوليدة وبذا تظل حية دون رعاية خاصة ، غير أن حرارة الصيف المتزايدة ضارة بالبيض . وعلى هذا فلا تتم فى العادة سوى ثلاث عمليات تفريخ متتالية ، أو اربع على الأكثر فى بعض المعامل .

وقد وصف عديد من الرحالة المحدثين طرق هذه الحضانة الاصطناعية وان كان الغالبية منهم قد ناقضوا بعضهم بعضا ، ذلك أنهم اعتبروا قواعد ثابتة كل ممارسةأو خطوةوقفوا عليها ولو كانت خاصة بالمعمل الذى زاروه دون أن يقفوا على العلاقة التى قد تربط ايا من هذه الممارسات بظروف معينة هى على الدوام عرضة للاختلاف والتنوع .

ويستخدم كل معمل (فى الحضنة الواحدة) لتفريخ ٣ — ٤ آلاف بيضة . وعند بداية هذه العملية تختلف طريقة توزيع البيض بعض الشىء ، فبدلا من توزيعها على كل الأفران دون تفرقة ، تترك خالية تماما فى بعض الأحيان افران بعينها ، ومن نافلة القول ان نضيف أنهم يجنبون بكل دقة كل البيضات التى لم تكن قد اخصبت او تلك التى لحق بها التلف ، وهذه تضر كثيرا بعملية التفريخ . اما البيضات التى توضع فى الأفران فتكون قد فحصت بعناية من قبل على يد العامل (المختص) ، ثم تم تسجيلها بمعرفة الكاتب الموكل بادارة المنشاة ، التى تلتزم بأن ترد عند نهاية العملية الى كل شخص عددا من الكتاكيت يتناسب مع عدد البيض الذى كان هذا الشخص قد سلمه للمعمل .

ويصف هذا البيض فى كل فرن على شكل طبقات عدة بعضها فوق الاخر ، وترقد آخرتهن على حصيرة أو على مشاقة الكتان أو القش الجاف . ذلك ان الابخرة التى قد تنبعث من زبالة رطبة قد تضر كثيرا بنجاح العملية .

ولا توقد النار فى البداية الا فى نحو ثلث عدد الأفران ، تختار على مسافات شبه متساوية ، وبعد ذلك بأربعة ايام او خمسة توقد فى بعض الأفران المتبقية ، وبعد عدة أيام اخرى توقد الإفران الباقية مع مراعاة انه بمجرد أن توقد النار فى افران جديدة تترك نار الأفران التى أوقدت فى

البداية لتخبو . وسنشرح فيما بعد دوافع هذا الاجراء . وتتجدد النيران ثلاث مرات وفى بعض الاحيان اربع مرات فى اليوم الواحد ، وتزاد النار قليلا فى الليل ، ويدخل العامل المختص الى الحجرات السفلية مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم لتقليب البيض ولتغيير أماكنه ، ولابعاده ، كل بدوره ، عن المناطق الأشد حرارة . وهذا هو عمله الرئيسى .

وبدءا من اليوم الثامن يفحص البيض جميعه على ضوء مصباح ، وتستبعد تلك البيضات التى لم تخصب ، وجدير بالذكر أنه عند ترتيب البيض ، كان قد ترك فراغ فى وسط الحجرة ليستقر فيه العامل عند نزوله من الأرضية الخشبية للحجرة العلوية .

وقد تبينا وجود الكثير من الاختلافات بالنسبة للكثير من خطوات هذه العملية ، وبعض هذه الاختلافات محض تحكمية وقد يكون من الاملال ان نتوقف عندها ، وبعضها الاخر يعود الى التوقيت الذى تتم فيه هذه العملية والى التباين فى درجات الحرارة وأحيانا الى المقر الخاص بالمعمل والى عدد الأفران التى يتكون منها بصفة خاصة . ويكفى أن نقدم الأشياء بشكل نستطيع معه أن نحكم على تأثير هذه الظروف المختلفة ، مع قصر اهتمامنا على الظروف الأساسية اللازمة لانجاح عملية التفريخ :

الظرف الأول : تأكد عن طريق ملاحظات تمت باستخدام الترمومتر أن الحرارة المعتادة للحجرات التى يوضع بها البيض هى، مع اختلافات طفيفة، ٣٢° حسب ترمومتر ريومور Réaumur . وهذه على وجه التحديد هى درجة حرارة الحضانة الطبيعية ، ولا تتراوح الاختلافات الا فيما بين ٣١° ، ٣٣° ، وان كانت هذه الاختلافات تكون أكبر بكثير فى الدهليز وفى الحجرات العلوية ، فتظل دوما ادنى من ٣٢° فى المكان الأول وأعلى بكثير من ذلك فى المكان الثانى ، على الأقل ، طيلة الوقت الذى تكون النيران فيه لا تزال موقدة ، وكذا لبضعة أيام فقط بعد أن تخبو .

ولا يعرف المصريون الترمومتر . ويستبدل به العامل حساسية يجعلها التعود الشديد بالغة الفعالية ، ولهذا السبب فليس من الممكن أن يحل محل مديرى المعامل الذين لا يتخذون لأنفسهم قط من معاونين سوى اولادهم أو أقاربهم ، غيرهم من المصريين فى هذا الضرب من ضروب الصناعة، ولهذا بقى سراً فى أيدى أعداد معينة من الأسر .ولابد من ممارسة

طويلة حتى يكون بالمستطاع ادارة معمل ، ولكن لو استخدم الترمومتر فستصبح هذه المعضلة الرئيسية فى حكم العدم .

الظرف الثانى : وثمة شرط ثان ينظر اليه باعتباره شرطا هاما ، وهو ترك النار تخبو قبل انتهاء العملية بوقت قصير ، أما لخشية العاملين على الكتاكيت من انبعاث بعض الروائح من الوقود ، وبخاصة ثانى اكسيد الكربون الذى يملأ الحجرات السفلية ، واما لأنه ليس لدى هؤلاء من هدف سوى بسط البيض ، الذى يوزع جزء منه بالحجرات العلوية لفترة اطول . وينتج عن ذلك ان من الضرورى تدفئة مبنى الافران بالقدر الكافى فى الجزء الأول من عملية التفريخ حتى تستطيع جدرانها الجانبية وحدها ان تحفظ البيض طيلة الجزء الباقى من الوقت فى درجة حرارة ٣٢ .

. . .

ولكى يتم توافق هذا الشرط مع الشرط السابق يترك العامل فى بعض الأحيان افرانا بعينها فارغة حتى يستطيع تدفئتها حسب رغبته عند بدء عملية التفريخ ، وهو الأمر نفسه الذى يقتضى منه عدم اشعال كل الأفران فى وقت معا ولتوزيع الأفران التى يوقدها بطريقة متناسقة ، ولتقليل عددها اكثر فاكثر وكذا لتخفيف كثافة وتقصير مدة النار فى الأفران التى يوقدها فى النهاية كى تظل الحرارة على وجه التقريب متساوية فى الأفران جميعها عقب اطفاء النار فجأة . فاذا ما اطفئت النار فانهم لا يسارعون مطلقا بنقل البيض الى الحجرات العلوية وانما ينتظرون لعدة ايام . ويحدد بعض الرحالة هذه الفترة بأربعة أيام ، ويحددها آخرون بستة ، ويحددها فريق ثالث منهم بثمانية ، والحقيقة ان ليس ثمة شىء عام فى ذلك اللهم سوى انتظار برود هذه الحجرات ، وبخاصة ارضيتها الخشبية وعلى نحو كاف ، وبعد ذلك تقفل الفتحات الخارجية للافران اقفالا غير كامل فى البداية ، بل يتم ذلك شيئا فشيئا كلما بردت كتلة المبنى ، وكلما يكون من الضرورى تركيز الحرارة هناك بدرجة اكبر للحصول على درجة ٣٢ .

وفى بعض الأحيان لا يكتمل عدد البيض الذى يمكن لمعمل ان يحويها الا مرتين او ثلاث مرات فى العام ، عندئذ تتم عدة خطوات متميزة تتخذ فى وقت معا ، وتستمر الأمور على هذا النحو حتى نهاية الفصل مما يدخل على الأساليب المتبعة تعديلات طفيفة .

وما ان يفتح معمل ما حتى يحمل اليه كل سكان المناطق المجاورة كل

ما لديهم من بيض فى ذلك الوقت ، وبعد انتهاء عملية التفريخ ، يرد اليهم نحو خمسين كتكوتا فى مقابل كل ١٠٠ بيضة (تدموها) ، ويؤول الباقى (من الكناكيت) الى صاحب المعمل(١) وعادة ما يقدر عدد البيض غير المخصب بـ ١/٥ العدد الاجمالى ، وفى بعض الأحيان لا يبلغ العدد الفعلى سوى السدس ، ونادرا ما يتجاوز الثلث الا اذا كان الأمر يعود الى خطأ من جانب العامل ، ولذلك فانه ملزم عادة باعادة عدد من الكتاكيت يعادل ثلثى عدد البيض الذى تسلمه على الأقل .

وليس من النادر أن يفرخ بعض البيض بدءا من اليوم العشرين أى ابكر يوما عن مدة الحضانة الطبيعية ، وخلال اربع وعشرين ساعة نجد امامنا ما يربو على ٦٠ ألف كتكوت فى منشأة واحده .ونلقى لها ، كغذاء ، قليل من الدقيق المختلط بخبز مفتت .

وتورد بعض المؤلفات انه بسبب هذه الكميات الهائلة التى تقدمها هذه المعامل ، فقد كان الناس يلجئون لبيعها فى صاع أو ربع وهو ما يعنى ١/٤ مكيال بعينه . وقد ذكر هذا الاسلوب الشاذ اشخاص كثيرون ، واكدوا لى انهم راوا ذلك بأعينهم ، ويوجد بكل مكيال على الدوام عدد من الكتاكيت الميتة ، وهذه الطريقة ، وان كانت تتفق مع تكاسل المصريين وتراخيهم ، حيث هى تعفيهم من تحديد اسعار مختلفة للكتاكيت (تبعا لاعمارها) ذلك ان البيع بالكيل سيجعل عددالكتاكيت التى تناولت طعاما أقل من تلك التى لم تطعم بعد فى المكيال الواحد ، الا ان الشيء الذى يمكننى فى هذا الصدد ،أن اقدمه كأمر مؤكد هو أن هذه الطريقة ليست هى الشائعة على الاطلاق ، ففى كل المنشآت التى زرتها كانوا يعدون الكتاكيت ولا يكيلونها

---

(١) لا تدفع أجور اصحاب المعامل على الدوام عينا ، ففى ديروط الشريف ،وهى قرية تقع عند فتحة بحر يوسف . قمت بزيارة واحدة من هذه المنشآت حيث علمت أن الفلاحين يدفعون مدينى واحدا عن كل ٢٠ــ٣٠ بيضة تبعا للظروف . وعلى الرغم من أن هذا المكسب أدنى بكثير من المكسب الناتج عن الحصول على ١/٣ البيض فانه مع ذلك بالغ الضخامة ، فهذه الأنواع من المصانع هى بالتأكيد اكثر من كل مثيلاتها ربحا فى مصر . وعندما اذكر هذه الملاحظة التى ادين بها للمسيو جومار فلابد لى أن أوضح أن هذا الاسلوب فى دفع الاجر لا يمكن أن يتناسب الا مع المنشآت كبيرة الحجم ، اذ هو فى معمل لايشتمل الا على ٨ــ١٠ افران سوف يعطى عائدا أدنى من المصروفات الجارية .

البيه ، وتباع مائة الكتكوت افرخت حديثا بـ ٨٠ مدينى فى المتوسط (أى ادنى قليلا من ٣ فرنكات من عملتنا) .

ويقدر عدد معامل التفريخ فى مصر بمائتين ، ويصل به الأب سيكار الى ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦) طبقا لما أخبره به الاغا أو شيخ بلد برما، لكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا ، وقد قدر ريومور الكمية السنوية للكتاكيت التى تفرخها معامل مصر بأكثر من ٩٢ مليونا . وهناك اخطاء كبيرة فى هذا التقدير ، اذ لا ينبغى أن نحصى فى المتوسط سوى ١٠ أفران فى كل معمل ، ولا يمكن ان يبلغ عدد مرات الافراخ للفرن الواحد اكثر من اربع مرات كل عام ، مما ينتج ٤٠ × ٣٠٠٠ بيضة لكل معمل اى ١٢٠ الفا ، وبافتراض أن المائتى معمل تعمل جميعا بكل كفاءتها فان الرقم الاجمالى لا يمكن أن يبلغ سوى ٢٤ مليونا من الكتاكيت .

ملاحظة :

خصصت الملاحظات العامة المذكورة آنفا بصفة خاصة لتفهم عقلية واساليب المصريين ، أما فى الملاحظات التى ستعقب هذا الهامش فسنجد تفاصيل معملية استمدت من عملية مراقبة تمت فى معامل القاهرة ، من شأنها أن توضح بعض صعوبات الممارسة . وقد تركنا بعض التكرار على حاله اما لان الأشياء نفسها قد عولجت فى ظل علاقات مختلفة ، واما لأنها لازمة لتفهم التفاصيل الأخرى .

وصف خاص لعدد من معامل التفريخ تابعناها فى القاهرة ، وللأساليب المتبعة هناك

يطلق المصريون اسم معمل الكتاكيت او معمل الفروج على المحل الذى يضم الأفران والحجرات الخاصة التى يتم فيها تفريخ البيض . والمبنى الرئيسى(١) عبارة عن مربع يتفاوت طول ضلعه ، يقطعه من الداخل بكل

(١) تقوم هذه المبانى بصفة شبه دائمة داخل مساكن متداعية، ويتكىء ظهرها عادة الى أكوام من الرمال والانقاض ، مما حمل بعض الرحالة على القول بأنها مدفونة .

طوله دهليز يفصل صفين من الحجرات الصغيرة ، يتراوح عددها من ٧ الى ١٢ فى كل جانب ، وتتكون كل حجرة من طابق مزدوج (طابقين) ، ويبلغ طول الحجرة السفلية التى يمكن ان نسميها المفرخ (بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء) ، لأنها تضم البيض خلال فترة الحضانة ، نحو ثمانية اقدام بعرض يبلغ ستة اقدام . وليس لها سوى باب صغير يطل على الدهليز . أما الحجرة العلوية ، التى سأسميها الفرن والتى يضعون فيها النار ، فلها على وجه التقريب المساحة نفسها التى للحجرة التى تحتها ، ولها كذلك باب يطل على دهليز، وفوق ذلك فاننا نلحظ وجود فتحة فى قبتها تغلق وتفتح حسب الحاجة، ولها كذلك نافذتان جانبيتان مفتوحتان على الدوام ، وتتصلان بالافران المجاورة ، وفى النهاية فان فى ارضيتها الخشبية فتحة كبيرة نحوا ما ، وهى دائرية الشكل ، صنعت من حولها حفرة واسعة توضع فيها الجمرات المتقدة التى تنتشر حرارتها من خلال هذه الفتحة العلوية الى الحجرة السفلية .

وقبل أن نصل الى داخل المعمل نجد ثلاث او اربع حجرات خاصة ، تستخدم أولاهن مقرا لسكنى الأشخاص الموكلين بخدمة الأفران ، وفى الثانية تتحول أقراص « الجلة » وأصناف الوقود الأخرى التى لابد لها أن تستخدم فى تدفئة الأفران ، الى جمرات ملتهبة ، اما الثالثة فمخصصة لاستقبال الكتاكيت بعد افراخها بعدة ساعات .

ولا تعمل معامل الكتاكيت فى مصر الا لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر من العام ، وتفتح هذه المعامل فى الصعيد عادة عند نحو نهاية شهر يناير ، اما فى القاهرة فلا يبدأ العمل بها الا فى الأيام الاولى من شهر مارس .

وفى هذه الفترة يدخل صاحب كل واحدة من هذه المنشآت فى خدمته اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الرجال الملمين جيدا بكيفية الاشراف على عملية الفقس . وفى حين ينشغل بعض هؤلاء العمال باعداد المبنى الذى سيمارسون فيه عملهم ، يتسلم آخرون البيض الذى يجلبه الناس لهم من القرى المجاورة ،ويسجلون كميات البيض المتسلمة وكذلك اسماء من أو دعوهم اياها ، مقرين بذلك ضرورة أن يردوا عددا محددا من الكتاكيت(١) .

---

(١) ويبلغ ذلك عادة ثلثى عدد البيض المودع ، اما الباقى فيؤول الى أصحاب المعامل .

وعندما يتم جمع عدد مناسب من البيض لبدء تفريخ « الرقدة » الأولى يتم العمل على النحو التالى : لا تستخدم مطلقا كل المفارخ للرقدة الواحدة نفسها وانما يستخدم نصف عددها فقط ، فاذا كان المبنى يضم ستة مفارخ مى كل جانب ، فلا يوضع البيض فى بداية العملية الا فى المفرخ الأول ، فالثالث ،فالخامس ، فالسابع فالتاسع ثم الحادى عشر ، ويوضع البيض فوق طبقة من الرماد والقش المهروس (التبن) ، ويوضعما يصـــل الى ثلاث طبقات من البيض كل منها فوق الأخرى ، ويمكن كل واحد من المفارخ ان يضم من اربعة الى خمسة آلاف بيضة عندما تمتلىء هذه بشكل تام . وبعد ذلك يسجل على كل واحد من المفارخ اليوم الذى بدات نيه عمليـــة التفريخ ثم تجلب الى حفرات الافران الستة الواقعة الى أعلى الجمـــرات المتقدة والناتجة عن احتراق مواد وقود مختلفة تحولت الى جمرات لهـــذا الغرض ، فى واحدة من الحجرات سبق أن تحدثنا عنها . وبعد لحظـــات تقفل فتحات القباب ثم ابواب الأفران والمفارخ ، وتترك هذه الجمرات على هذا النحو تتآكل ببطء ، وتتجدد هذه العملية مرتين فى النهار ومثلهما بالليل، ويتكرر ذلك كله طيلة عشرة أيام متعاقبة ، وفى كل مرة يراعى أن تفتح للحظة ، فتحات القباب وابواب المفارخ اما لتجديد الهواء فى داخل المبنى واما لتقليل اثر الحرارة الأولى والتى قد تسبب فى ايذاء البيض . أما فى الفترات التى تتخلل عمليات التدفئة فيمر العمال بالبيض الموجود بالمفارخ ويقلبونه ، وينقلون الى الطبقة الثانية أو الثالثة البيض الذى كان مصفوفا بالطبقة الأولى . وهكذا يقتصر العمل خلال الأيام العشرة الأولى على تجديد النار من اربع الى خمس مرات كل أربع وعشرين ساعة وعلى المرور بالبيض وتقليبه مرة فى اليوم أو مرتين .

وفى اليوم الحادى عشر يتضاعف العمل ، فتعد رقدة ثانية من البيض الذى تم جمعه ،ويوضع هذا البيض ، مع اتخاذ الاحتياطات التى ســبق بيانها بالنسبة للفقسة السابقة ، فى المفارخ الستة الأخرى والواقعة بين مفارخ الفقسة الأولى ولابد ان يتم هذا العمل فى اقل من ثلاث ساعات . وحين تصبح الفقسة الثانية جاهزة بالقدر الكافى ، تجلب على الفـــور الجمرات المتقدة لتوضع فى حفرات الأفران العلوية ، ويستمر اشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية بالطريقة نفسها التى اتبعت مع الفقسة الأولى ، على أن نحرص فى كل مرة على فتح منافذ القباب وأبواب المفارخ لفترة ، وخلال

هذه الفترة يبذل للبيض من العنـــاية نفس ما بذل من قبل لبيـــض الرقدة الأولى .

وبدءا من اللحظة التى توضع فيها النيران فى افران الفقسة الثانية ، يتوقف العمال عن وضع النار فى افران الرقدة الأولى ، اذ يحصل بيـــض هذه على القدر الكافى من الدفء ، من الحرارة المنبعثة من الأفـــران المجاورة ، وان كانوا لا يتوقفون من اجل هذا عن الاهتمام ببيض هـــذه الرقدة اذ هو يتطلب قدرا أكبر من العنـــاية كلما اقتربت لحظـــة خـــروج الكتاكيت . وينقل جزء من هذا البيض على الأرضية الخشبية للافـــران بعد مضى يوم من خمود النار ، وحيث تكون بيضات هذه الفقسة أقل تكوما فان تقليبها يتم بشكل أكثر يسرا ، ويتم المرور عليها عدة مرات فى اليـــوم الواحد لاستبعاد ما يعتقد أنه قد تلف من بينها .

وفى اليوم العشرين نبدأ فعلا فى العثور على عدة كتاكيت ، وفى اليوم الحادى والعشرين يكون قد افرخ من البيض عدد كبير للغاية ، ويقوم العمال فى بعض الأحيان بتسهيل عملية خروج الكتاكيت التى لم تستطع أن تحطم قشر بيضها بشكل تام ، ويظل يحتفظ ببقية البيض الذى يمكنـــه ان يعطى كتاكيت متأخرة وذلك لمدة يوم أو يومين . وتوضع الكتاكيت الهزيلة او الضعيفة فى الدهليز الذى يفصل بين المفارخ ، وتحمل الكتاكيت الأخرى الى الحجرة المخصصة لاستقبالها حيث لا تبقى الا لنحو يوم واحد ، وهى تحمل الى هناك ليتم اعطاؤها لاولئك الذين جلبوا البيض (الى المعمل) او لبيعهـــا .

وبمجرد انتهاء الفقسة الأولى ، ينشغل العمال بالتحضير للفقســـــة الثالثة . وعندئذ يوضع البيض فى المفارخ الستة التى اصبحت فارغة ، ويتكرر بالنسبة لهذه الفقسة الثالثة ما سبق حدوثه بالنسبة للفقستين الاولى والثانية خلال أيام العمل العشرة الأول . اما خلال الأيام العشرة الثانيـــة فيتم كذلك بالنسبة للفقسة الثانية ما سبق أن تم تنفيذه للفقسة التى خرجت كتاكيتها من المفارخ ، وهكذا دواليك .

وتستمر هذه العملية لكل الفقسات التى تتعاقب بين عشرة أيام لعشرة أيام أخرى مع اتباع نفس تفاصيل العمل التى انتهينا من بيانها طيلة ثلاثة

اشهر وهو الوقت المعتاد لاتمام عمليات التفريخ ، وهكذا نرى كل ١٠ الى ١٢ يوما ، فى كل واحدة من هذه المنشآت العاملة ، ظهور فقسة تتكون من عدة الوف من الكتاكيت . اما كمية ما يتلف من البيض خلال عملية الفقس فضئيلة الاهمية ، وقلما تصل كمية التالف لابعد من السدس . ولم يحدث قط أن تلفت فقسة باكملها .

وهذا النوع من المنشآت كثير للغاية فى مصر ، اذ توجد واحدة منها فى كل ١٢—١٥ قرية ، وغالبا ما يوجد اكثر من منشاة واحدة فى المدينة نفسها ، ويحصى الأب سيكار ما يقرب من أربعمائة منشأة تفرخ كل واحدة منها ،طبقا لما يذكره ، مائتين واربعين الف كتكوت ، مما ينتج نحو ١٠٠ مليون كتكوت هى مجموع ما تفرخه هذه المنشآت فى مصر كل عام ، فى عصره . ويمكن لنا باستخدام منطقنا أن نقلص هذا الرقم الى اقل من الثلث. ولا يزال يوجد هناك نحو مائتى معمل فروج تعمل فى كافة انحاء مصر ، يفرخ كل منها بشكل تقريبى نحو ١٤٠ الف كتكوت . وبالاضافة الى ذلك ، فهناك فى بعض القرى النائية ، وبشكل خاص عند القبائل العربية ، يتم تفريخ بعض البيض ، برغم أن هذه الوسيلة الاخيرة ، كما ينبغى ان نلاحظ، ليست مضمونة ، كما انها غير مجزية فى مصر(١) . ولا يرجع النجاح

---

(١) يعتقد البعض أنهم قد عثروا على منشأ فكرة التفريخ الاصطناعى فى نموذج بيض النعام وبيض التمساح ، الذى يترك فى الصحراء وعلى ضفاف النيل ، وان حرارة الرمل وحدها هى التى تؤدى بها لأن تفرخ ، ومع ذلك فاذا ما استرعينا النظر الى ان حضانة الدجاج (البيضة) نادراً ما تنجح فى مصر ، وأن هذه الدجاجات ، عند حلول الفصل الحار الذى تبدأ فيه حضانة البيض ، سرعان ما تهجر بيضها لتنهمك من جديد فى ممارسة الحب ، فان المرء سيجد نفسه مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كهنة مصر القديمة ، وقد كانت لديهم المعرفة الكافية بكافة ضروب الصناعة والفنون ، قد استطاعوا العثور على سبل علاج هذا العيب فى اساليب تكاثر ((هذه الدواجن) ، وانهم قد لجئوا الى الحضانة الاصطناعية لتفريخ بيض الدجاج بوفرة ، وللحصول على كمية كبيرة من الكتاكيت كانوا يجدون فيها طعاما لذيذًا ومريحا ، وحين اراد هؤلاء الكهان انفسهم بعد ذلك أن يفيدوا من هذا الكشف ، كى يثبتوا ان كل شيء يزدهر فى أيديهم ، جعلوا من ذلك علما غامضا ، ولم يتناقلوه من جيل لآخر الا باعتباره سرا لا يزال حتى اليوم غير معروف بشكل جيد فى مصر ، الا لبعض الافراد .

المستمر لعمليات التفريخ هـــذه الى اعتدال طقس مصر ، كما يزعم ذلك هؤلاء الذين ينتقصون من أساليب المصريين ، اذ يساهم فى ذلك ، هـــذا الحذق الخاص بأولئك الذن يدبرون أمور هذه الفقسات ، فقد جعلتهم الخبرة الطويلة يدركون بمجرد دخولهم الى الافران ما ان كان يلزم تجديد النار او الانتظار للحظات أخرى ، كما انهم يعرفون بالمثل كيف يحصلون على الحرارة التى تناسب مختلف مراحل هذه الحضانة الاصطناعية ، فهم ينتجون ، باتباع أساليب خاصة بهم ، فى نفس الوقت ، وبنفس الوسائل ، درجات متباينة من الحرارة فى مناطق متعددة من المبنى الذى توجد به المفارخ والافران .
وخلال مدة الفقسات كنت اجد بشكل دائم فى معامل الفروج العديدة بالقاهرة درجة حرارة تكاد تكون على الدوام متساوية ، لا تتفاوت قط لاكثر من درجتين برغم تباينها فى كل نوع من الحجرات ، فعلى سبيل المثال ، بلغت الحرارة خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة ، وطبقا لترمومتر ريومور من ٣٢ الى ٣٣° فوق الصفر ، وبلغت خلال الايام العشرة الاخيرة ما بين ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٩ ١/٢° ، كما بلغت فى الأفران لحظة وضع النار نحو ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩° وانخفضت بعد أربع ساعات الى ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٣ ١/٢° . انظر الجدولين التاليين .

جدول بدرجات الحرارة كما لوحظت فى معامل الكتاكيت بمصر
١ — طبقا لتجربة اجريناها فى القاهرة فى معمل
يقــع بحى ستى زينب

ترمومتر ريومور — درجات فوق الصفر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى المعامل	درجة الحرارة فى المفارخ		درجة الحرارة فى الأفران		
				خلال الأيام العشرة الأول	خلال الأيام العشرة الثانية	لحظة وضع النار	بعد ذلك بأربع ساعات	فى الأيام العشرة الثانية بعد أن يتوقف وضع النار
٢٥ جرمينال*	١٩	٢١	٢٦	٣٣	٢٩ ١/٢	٣٦	٣٤	٣٠
٢٦	٢١ ١/٢	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٧	٣٤ ١/٢	٣٢ ١/٢
٢٧	٢٠	٢١ ١/٢	٢٥ ١/٢	٣٢ ١/٢	٣٠	٣٦ ١/٢	٣٤	٣٢
٢٨	١٩ ١/٢	٢١	٢٥ ١/٢	٣٢	٢٩	٣٧ ٢/٣	٣٣ ١/٢	٣٢
٢٩	٢٢	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٨	٣٣	٣١ ١/٢
٣٠	٢٥	٢٣	٢٥	٣١ ١/٢	٢٩ ١/٢	٣٧	٣٢	٣١
١ فلوريال*	٢١ ١/٢	٢٢	٢٦ ١/٢	٣٢ ١/٢	٢٩	٣٦ ١/٢	٣٤	٣٢
٢	٢٣	٢٣ ١/٢	٢٦	٣٣	٢٩	٣٧ ١/٢	٣٤	٣٢ ١/٢
٣	٢٥	٢٣	٢٥	٣٣	٢٩ ١/٢	٣٧	٣٢ ١/٢	٣٢
٤	٢٢ ١/٢	٢٢	٢٥ ١/٢	٣٢	٣٠	٣٦	٣٣	٣١ ١/٢

(*) من العام الثامن .

ملاحظات : بينما يتبقى بيض فى الأفران فى خلال الأيام العشرة الاخيرة من الحضانة ، يواصل العمال دوما وضع النار فى الأفران المجاورة ، برغم عدم وجود بيض فى المفارخ السفلية .

٢ — طبقا لتجربة اجريت فى القاهرة

فى معمل فروج يقـــع فى حى باب النصر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى الدهليز	درجة الحرارة فى المفارخ		درجة الحرارة فى الأفران	
				خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة	خلال الأيام العشرة الأخيرة من الحضانة	عند وضع النار	خلال الأيام العشرة الأخيرة بعد توقف وضع النار
٦	٢٢	٢٣	٢٦	٣٢ ½	٣٠	٣٧	٣٠
٧	٢٥	٢٤	٢٧	٣٣	٢٩ ½	٣٧ ½	٣٢
٨	٢٣	٢٤ ½	٢٥ ½	٣٢	٢٩	٣٦ ½	٣١
٩	١٩	٢٠	٢٥ ½	٣٢	٣٠	٣٧	٢٩ ½
١٠	٢٠ ½	٢٢	٢٧	٣٣ ½	٢٩	٣٨	٣٠
١١	٢٣	٢٤	٢٦	٣٢	٢٩	٣٦ ½	٣١
١٢	٢٥	٢٤	٢٥ ½	٣٢	٢٨ ½	٣٧	٣٠
١٣	٢٦	٢٤ ½	٢٥	٣١ ½	٢٩	٣٧	٣٠
١٤	٢٦ ½	٢٥	٢٦	٣٢	٣٠	٣٦	٣١
*١٥	٢٦	٢٤	٢٥ ½	٣١	٢٩	٣٧ ½	٣١ ½

(*) من شهر بربريال من العام التاسع (١٨٠١) .

ولا يبرع المصريون فقط فى فن تفريخ البيض، بل انهم يعرفون كذلك كيف يربون الكتاكيت دونما حاجة لوجود الدجاج، وان كانت مثل هذه الرعاية ليست من اختصاص اولئك الذين يدبرون أمور الحضانة الاصطناعية ، بل يعهد بها لبعض النسوة فى بيوت الخاصة ، وان كانت الواحدة منهن لا تربى من هذه الكتاكيت ، فى المرة الواحدة ، عددا يتجاوز ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتكوت ، بل ان العدد فى معظم الأحيان يقل عن ذلك بكثير ، ولا يحدث أن تذهب هؤلاء النسوة للحصول على كمية جديدة من الكتاكيت من المعامل الا بعد مرور خمسة وعشرين يوما ، وهو الوقت الذى يمكن الكتاكيت فيه أن تتخطى حاجتها لتلك الرعاية الأولية .

وخلال النهار ، تترك هذه الكتاكيت فوق أرض جافة ، معرضة للشمس وتغطيها الانقاض او الحصى ، ويقدم اليها كغذاء القمح والارز والذرة البيضاء المجروشة والماء باعتباره المشروب الأوحد ، وحين يقترب الليل تستعاد هذه الكتاكيت الى داخل البيت حيث تبقى حبيسة داخل احد الأفران المصنوعة من الطين ، حتى تصبح فى منأى عن برودة الليل ، وحتى تكون فى مأمن من مطاردة الحيوانات المختلفة التى قد تدهسها ، وتحتاج الكتاكيت الى هذه الضروب من الرعاية الخاصة لمدة تقترب من الشهر ، وبعد هذا الوقت تترك لتجرى وسط الدجاج .

وعلى الرغم مما أبداه الكثير من الرحالة من رأى مناقض ، فان لحم الدجاج والفراريج التى ربيت بهذه الطريقة ، غض وشهى . ويلذ للمصريين اكله ، ولا يفضلون عليه أبدا لحوم الفراريج التى جاءت عن طريق حضانة الامهات . وفى حقيقة الأمر ، فان من النادر أن تكون الفراريج سمينة(١) . والدجاجات هناك صغيرة الحجم ، كما ان بيضها اقل حجما من بيض معظم دجاجات أوربا وان كان ذلك يعود الى اختلاف فى سلالة الدجاج فى مصر ، بأكثر مما يعود الى الأساليب المستخدمة فى استفراخها .

وحين نتفحص كل المكاسب التى يجنيها المصريون من معامل الفروج لديهم فاننا لنأسف لاننا لا نجد هذا الفن مستقرا فى أوربا ، وفى فرنسا على

---

(١) لا تسمن الفراريج أبدا فى مصر ، كما لا تخصى على الاطلاق صغار الديوك ، وهناك تؤكل كل أنواع الطيور بحالتها الطبيعية (اى دون تسمين).

وجه الخصوص ، حيث يمكن هذا الفن أن يمارس بنفس الدرجـــة (من البراعة) التى يمارس بها فى مصر (١) .

(١) لا يشك الرحالة الذين زاروا معامل الكتاكيت ، والذين شاهدوا خروج فقسات كثيرة ، فى امكانية نجاح هذه الطريقة بالمثل فى بلادنا . وان كان لم يأخذ أحد منهم على عاتقه مهمة فحص مثل هذه المنشآت وتجميـــع الأساليب المستخدمة فيها . فكل واحد من هؤلاء الرحالة لم يشاهد هـــذه المعامل سوى مرة واحدة ، وفى معظم الأحيان فى وقت لا تعمل فيه هـــذه المعامل ، ولهذا فان معظمهم لم يجمع سوى معلومات غير دقيقة ، وغير كافية ، وقد حصلوا عليها كيفما اتفق .

وقد وصف بعض الرحالة أمثال ويســـــلنج **Wesling** ونيبور Niebuhr ونوردان **Norden** ، على نحو لا بأس به الأفران المستخدمه فى تفريخ البيض ، ويورد هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، الذين نستطيع أن نلحق بهم تيفنو **Thevenot** والاب سيكار **Sicard** ، وبطريقة تتفق مع الواقع ، الأساليب المستخدمة (فى عملية التفريخ) بشكل اجمالى ، ومع ذلك فعنـــد الدخول فى تفاصيل ما تتطلبه العناية بالافران خلال مدة الحضانة ، فقـــد ارتكبوا عددا من الأخطاء كانت عامة لديهم جميعا ولدى الكثيرين من الرحالة. وقد يكون مسموحا لنا ان ننسب اليوم الى معظم هؤلاء هذا الحظ الضئيل من النجاح الذى صادفته كل المحاولات التى بذلت فى أوربا لكى تمكن ممارسة هذا الفن هناك ، وبخاصة ذلك الاحباط الذى لقيه ، فى أوقات متفـــرقة ، اولئك الذين بذلوا اكبر الجهود فى محاولة توطينه فى فرنسا ، وقـــد كان ريومور واحدا من اولئك الذين كانوا يقومون اكثر من غيرهم بتجميع أساليب النجاح فى هذا الفن . وكانت تجاربه تتصف بالداب حتى أن المنهاج الذى وضعه فى مؤلفه كان منهاجا علميا (انظر فن تفريخ البيض ، تأليف ريومور) . ومع ذلك فان الذين اطلعوه على تجارب المصريين وعلمهم قد تعمـــدوا أن يتركوه جاهلا للكثير من التفاصيل التى كان من المستطاع أن تكون ذات نفع لبحوثه وأن تضمن له الوصول الى نتائج اكثر تقدما .

ولكى نقف جيدا على هذا الفن كان الأمر يقتضى ليس فقط أن نتفحص هيكل أو تصميم المبنى الرئيسى وتوزيع المفارخ والأفران ، وانما كذلك التاكد من الفصل الذى لا بد أن تبدأ فيه عملية التفريخ ، وأن نشاهد العمل اليومى لأولئك الذين أوكلت اليهم ادارة الأفران . وأن تعرف بمعونة الترمومتر درجة الحرارة التى يحرصون على استمرارها أثناء الحضانة ، كما كان الأمـــر يتطلب منا أن نتتبع فى أوقات مختلفة ، وداخل معامل مختلفة ، عمليـــة حضانة ثانية وثالثة . وعن طريق هذه الخطة للمتابعة والملاحظة توصلت الى تجميع مادونته عن معامل الفروج فى مصر .

ولسوف يكون سهلا على الدوام ، مع بذل بعض ضروب العناية ، تفريخ البيض بواسطة الحضانة الاصطناعية ، كما ان تربية الكتاكيت تلقى الكثير او القليل من الصعوبات تبعا لحالة الطقس ولطبيعة الفصل (الذى تتم فيه) من فصول العام . ومع ذلك ألم تتغلب براعة الأوربيين دوما على عقبات مشابهة عندما استجلبنا الى اجوائنا نباتات استنبتناها وحيـــوانات ربيناها ، كانت غريبة عليها ؟

ولسوف يكون من الضرورى بالنسبة لنا ، كى نتوصل الى تفـــريخ البيض عن طريق الحضانة الاصطناعية ، والى تربية الكتاكيت دون حاجة الى معونة من الدجاجات ، ان نتمثل ذلك الأسلوب البسيط والعملى الذى لدى المصريين ، وقد يتحتم علينا بصفة خاصة أن نعدل عن هذه المنشآت الضخام التى نحلم بأن نفرخ فيها ، وأن نربى فى الوقت نفسه الوفا عدة من الكتاكيت .

روبيـــه

(٢)

صناعة ملح النوشادر

كولليه ديكوتيل

العنوان الأصلى للدراسة : وصف طريقة صنع ملح النوشادر .

نبـــذة تاريخيـــة

لن ناخذ على عاتقنا هنا ان نبحث فيما ان كانت المادة التى نطلق عليها الآن اسم ملح النوشادر قد عرفت من قبل قدماء المصريين ، وان كنا نعتقد أن علينا أن نسترعى الانتباه الى انها تختلف كثيرا عن تلك التى اطلق عليها كل من بلين Pline وديوسكوريد Dioscoride الاسم نفسه(1) . أن هذا التمـــاثل فى التسمية لم يكن قط قائما فيما مضى ، كما أنه لم يتم الا بسبب اصرار بحاثة القرون الأخيرة على تطبيـــق ما قاله بلين عن ملح قيرينيا(*) La Cyrenaique على ملح النوشادر الحديث . وتخبرنا مؤلفاتهم نفسها أن الملح الأخير كان يحمل اسم ملح ارمينيا Sal Armeniacos . وهذه التسمية التى لابد أن نرجع اليها أصل كلمة armoniac ، ومنها ammoniac (اى ملح النشادر) ، والتى كانت لا تزال تطلق على هذه المادة فى بعض مؤلفات القرن الماضى تقابلنا مرة أخرى فى فارس حيث تستخدم كلمتا نوشادر وملح ارمينيا دون تفرقة للاشارة الى ما نسميه نحن ammoniac (2) ، وبلا جدال ، فقد أطلقت هذه التسمية على هذه المادة لأن هذا الملح كان يشكل جزءا من تجارة الأرمن ، مما دفع البعض على الاعتقاد بانه يأتى من بلادهم ، كما افترض آخرون ـــ لوقت طويل ـــ أنه يصنع فى البندقية ، لأن البنادقة كانوا يجلبونه الى الشرق ، بعد أن يكونوا قد اشتروا ـــ ربمـــا ـــ من الأرمن .

---

(1) كان ملح منجم ، ولعله كان ذامكسر ليفى كما يمكننا أن نستنتج من نصوص وردت عند هذين المؤلفين ، انظر باين ، الكتاب ٣١ ، الفصـــل السابع ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، طبعة باريس ١٧٧٨ ، فى ١٢ مجلدا ، وكذلك ديو سكوريد ، الكتاب الخامس ، الفصل ١١٧ ، ص ٣٢٦ ، طبعة ١٥٢٩ .

(2) اذا رجعنا الى قاموس اللغة الفارسية سنجد أن ما يطلق عليـــه الايطاليون اسم Sale armeniaco وبالفرنسية Sel ammoniac هو نفســـه ما يسمى بالفارسية نوشادر أو ملح أرمينيا ، اى الملح الأرمينى .

(*) يطلق الاسم اللاتينى حاليا على اقليم برقة بأكمله .. (المترجم)

ويطلق على هذه المادة فى مصر اسم نشادر (بفتح النون) ، وهى كلمة قريبة الشبه بكلمة نوشادر التى تستخدم فى الهند ، طبقا لبعض بحوث نشاء المسيو لانجليه Langles أن يقوم بها عن طيب خاطر استجابة لرجاء منى ، بنفس المفهوم ، حيث من المعروف أن ملح النوشادر يصنع فى الهند ، وبنفس الأساليب المتبعة فى صنعه فى مصر . وهذا التشابه فى الاسم ، بالاضافة الى رأى بعض المستشرقين الذين لا يعتقدون أن لكلمة نشادر أصلا عربيا ، يحمل على الظن ، كأمر طبيعى ، بأن فن صناعة هذا الملح قد كان يمارس فى الهند من قبل أن تمارسه مصر ، وأنه لم يدخل البلد الأخير الا بعد أن فتحه العرب ، وان كان مثل هذا الزعم يتطلب تمحيصا متأنيا حتى يصبح بالامكان تبنيه بشكل حاسم .

ويبدو أن العرب هم أول من كتبوا عن ملح النوشادر عند المحدثين ، اذ نجد فى مؤلفاتهم بعض اشارات غير واضحة عن صناعته ، تختلط فيما يبدو بأفكار مأخوذة عن بلين ، كما انها أبعد عن أن تكون كافية للتعريف بحقيقة أصله(١) .

وقد تصور البعض فى أوربا ، وان كنا لا نعرف فى أية حقبة، أن هذه المادة تنتج عن بول الجمال الذى تتشربه رمال الصحراء، ويبدو أن هذه الفكرة ، التى رآها الآخرون مضحكة ، كانت تهدف الى التوفيق بين ما كتبه بلبن وبين ما كان معروفا عندئذ عن وسائل استخلاص الملح ، وذلك أن الكيميائيين، من قبل أن يبدأ القرن الأخير بسنوات طوال ، وبدون معرفة تامة بمكونات ملح النوشادر ، وهو الأمر الذى لم يصل فيه دوهاميل Duhamel لرأى قاطع الا فى عام ١٧٣٥ ، كانوا يحضرونه فى معاملهم بأن يقطروا خليطا من الملح البحرى وسناج الخشب(٢) . وحتى عام ١٧١٦ كان الناس لا يزالون يجهلون الأصل الحقيقى لذلك الشىء الذى يدخل فى صناعاتنا ، كانوا فقط يعرفون أنه يأتى من الشرق .

---

(١) انظر ابن سينا فى كتابه عن مبادىء الكيمياء عند جابر بن حيان .

(٢) استبعد ليميرى الأب وهومبرج Homberg السناج Hist. de l'Acad. 1716. ، أما هذه الوسيلة التى ينقلها جانكير Junker عن لانجيوس Langius (انظر ترجمة Demachy المجلد الخامس ، ص ٣٥٦) على اعتبار ان البنادقة قد مارسوها ، فانها هى الوسيلة نفسها — مع اختلافات طفيفة — التى يقدمها جابر بن حيان . انظر المرجع السابق .

وفى هذه الفترة ، فى ٢٢ ابريل ١٧١٦ ، قرأ جوفروى الاصـــغر Geoffroy Le Cadet فى أكاديمية العلوم ، دراسة موجزة تهدف للبرهنة على أن هذا الملح يستخلص ولابد عن طريق التصعيد، وان من المستطاع ، باللجوء الى العملية نفسها أن نصنعه فى فرنسا عن طريق صنع خليط من الملح البحرى والطين الأصفر وبول الحيوانات او أية مادة حيوانية اخرى ، وحيث تصدى ليميرى الابن Lemery fils لنقض ما جاء بهذه الدراسة فانها لم تنشر فى المجلد العام (للاكاديمية) ، واخذ المسيو دى ريومور على عاتقه أن يطلب باسم الاكاديمية معلومات حول هذا الموضوع من قنصل فرنســـا بمصر ، وكان ليميرى يعتقد أن ملح النوشادر يستخلص عن طريق التصعيد والتجميد (التكليس) ، كما يحدث فى مناطق عديدة لانتاج موريات الصوداء. وقد بنى هذا الكيمائى طريقته هذه فى التفكير من ملاحظة شكل قوالب ملح النوشادر التى تصل من الشرق ، كما كان شكل هذه القوالب نفسه هـــو الذى أوحى لجوفروى بأنهم يستخدمون أسلوب التصعيد (فى صـــناعة ملح النوشادر) .

ومع ذلك فان رسالة من الأب سيكار ، مؤرخة فى الأول من يونيـــة ١٧١٦ ونشرت فى المجلد الثانى من دراسات مبشرى صحبة يســـوع فى الشرق

Memoires des missionnaires de la Compagnie de Jesus dans le Levant.

ورسالة اخرى من لومير Lemaire قنصل فرنسا فى القـــاهرة ، مدونة بتاريخ الرابع والعشرين من يونية ١٧١٩ ردا على أسئلة الاكاديمية قد جاءتا شبه متطابقتين مع كل الاراء التى بشر بها جوفروى ، وعندئذ أصبح لهـــذا الكيميائى مطلق الحرية فى نشر دراسته فى مجلد (الاكاديمية) لعام ١٧٢٠، وارفق بها ، عند نشرها ، الرسالتين اللتين اشرنا للتو اليهما .

كانت المعلومات التى تضمنتها الرسالتان متطابقة فيما بينهـــا ، وقد أوضحت ان ملح النوشادر يصـــــنع فى مصر وأنه يســـتخلص عن طريق التصعيد ، من سناج ينتج أساسا عن طريق احراق براز الحيوانات ، لكن

الرسالتين اختلفتا فى نقطة هامة كانت موضوعا لجدل طويل بين الكيميائيين، كما كانت بالنسبة للرحالة اللاحقين موضوعا لاستقصاء مدقق.فقد كانت المادة التى يستخلص منها النوشادر طبقا لمعلومات لومير Lemaire هى السناج الخالص وحده ، لكن الأب سيكار يرى انهم يضيفون الى السناج القليل من الملح البحرى وبول الحيوانات . وقد عنى جوفروى عناية بالغة بأن يسترعى الانظار الى هذا القول الأخير ، فقد كان يعتقد أن اضافة الملح البحرى أمر لابد منه لدعم افتراضاته الأولى .

لكن معلومات جديدة جاءت من الأب سيكار نفسه ردا على أسئلة الاكاديمية ونشرت فى عام ١٧٢٩ فى المجلد السابع من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق التىسبقت الاشارة اليها . جاءت لتتطابق تمام التطابق ، فى هذا الخصوص مع المعلومات التى قدمها لومير Lemaire . ولم يعد الرحالة الذين كانوا يجوبون مصر ، منذ ذلك الوقت ، والذين يولون اهتماما خاصا بهذه الصناعة ، يقولون ان المصريين يستخدمون (فى صنع النوشادر) الملح أو البول .

واكد جرانجيه Granger بطريقة موضوعية ، وهو الذى أولى اهتماما خاصا للتأكد مما ان كان المصريون يستخدمون هذه المواد ، انهم يقتصرون فى صنع النوشادر على السناج(١) .

ودعم هاسلكست Hasselquist الذى قام برحلته بعد جرانجيه والذى قدم فى « دراسات ستوكهلم »(٢) تفاصيل هامة حول هذا الضرب من ضروب الصناعة ، فكرة الاقتصار على استخدام السناج الحيوانى (أى الناتج عن احتراق بقايا حيوانية) ، وان كان قد الح كثيرا على الكمية الهائلة لموريات الصودا التى تحتوى عليها النباتات المستخدمة طعاما الحيوانات ، والتى يكاد يكون برازها الوقود الوحيد الذى تستخدمه مصر . وهو يشير اليه باعتباره مصدرا كبيرا لحمض الموريات اللازم لانتاج ملح النوشادر ، ثم قدم لييل

---

(١) انظر تقارير هذا الرحالة وهى الدراسة التى امر بطبعها دوهاميل فى مجلد الاكاديمية للعام ١٧٣٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) مجموعة دراسات بالغة الأهمية عن الكيمياء والتاريخ الطبيعى تضم أعمال أكاديمية اوبسال Upsal ودراسات اكاديمية ستوكهلم ، الجزء الأول ، ص ٢٢٧ .

Leyel هذا الراى نفسه ، بعد ذلك ، مع كثير من التطوير ، واذا كان قد امكن جوفروى أنيرتاب فى صحة ذلك، فقد بات دون جدال اكثر استعدادا لتقبل فكرة امكانية صنع ملح النوشادر فى مصر من السناج ، وبدون أن يضاف اليه الملح البحـــرى .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تحدث رحالة آخرون عن هذه الصـــناعة، وان كان الأمر قد تم بطريقة مبالغ فيها لحد لا يجعلنا نشير اليها هنا ، اما أولئك الذين استطاعوا حسب معلوماتنا أن يقدموا أفكارا نافعة فهم هؤلاء الذين أشرنا اليهم ، ولكن البيانات والأوصاف التى تركوها لنا قد جاءت ، كلها لسوء الحظ ، غير كاملة ، بل اننا نجدها فى بعض الاحيان تتناقض بعضها مع بعض، بحيث سيكون من المستحيل علينا عند مقارنة كل ما كتبوه ان نكون فكرة دقيقة عن الأسلوب المتبع فى صنع ملح النوشادر ، ولهـــذا السبب فقد عزمنا أن نقدم عنه هنا كل التفاصيل ، وبالطريقة التى تابعهـــا كثيرون من رجال الحملة اثناء التنفيذ ، ولقد تحرر الوصف الذى سنشرع فى قراءته طبقا لمعلومات جمعها هؤلاء الرجال ، وبصفة خاصة تبعا لما قدمه لنا من معلومات ، المرحوم المسيو لوروج Lerouge الذى كان قد تابع كل المراحل بكثير من الانتباه والمثابرة ، بل انه قد شرع بالفعل فى القيام ببعض البحوث لتأسيس نظرية عن تكوين وتركيب ملح النوشادر لكن المنية قـــد عاجلته فى جائحة عام ١٨٠١ قبل أن يتمكن من اتمامها ، فلم يستطع أحد الاستفادة بمعلومات ذات شأن كبير من التجارب التى أجراها .

وينتج من العرض الذى انتهينا من تقديمه أن الرحالة المتأخرين الذين ذكرناهم قد برهنـــوا بدرجة كافية على صحة افتراضات لومير المتعلقـــة باستخدام السناج دون اختلاطه بأى عنصر آخر ، وقد يكون من التزيد أن ندعم ذلك مرة اخرى بشهادتنا نحن الخاصة ، ولابد لنا أن نستنتج من هذه الممارسة أن السناج يحوى ملح النوشادر كامـــلا وأن المصريين لا يفعلون سوى أن يستخلصوه عن طريق التصعيد ، وقد أدت التجارب المختلفة التى اجريت على هذا الموضوع الى نفس النتائج ، وترتبط هذه الخاصية التى للسناج ، كما لاحظ بحق كل من لومير والأب سيكار ، بطبيعة المواد المحترقة التى أنتجته ، وعلى هذا ، فان علينا أن نبدأ بحثنا بدراسة الوقود .

عن مواد الوقود المستخدمة فى مصر

يكاد يقتصر المصريون فى اشعال مواقدهم على روث الماشية ، وقد ارغمتهم على ذلك بلا شك ، ومنذ زمان طويل ، ندرة الاخشاب ، والغيبة المطلقة لأى وقود معدنى ،بالاضافة الى ان لجوءهم لهذا النوع من الوقود لن تترتب عليه هنــاك نفس المساوىء التى يمكن أن تنجم عنه فى بلد أقل خصوبة ، اذ قلما يشعر الناس هناك بالحاجة لاستخدام الاسمدة ، وفضلا عن ذلك فان الاسمدة الوحيدة التى قد يستخدمونها هناك ، وهى الأتربة ، بعد غربلتها من الانقاض ، وكذلك زبل الحمام ، وفيرة للغاية لحد لا يكون معة ثمة محل للاسف على السماد الذى كان بمقدور الماشية ان تهيئه (لو لم يستعمل وقودا) ، ويلقى روث الماشية هناك كل الاهتمام ، كما يقتصر استخدامه على توفير الوقود .

ولكى يصبح هذا الروث صالحا للاستعمال ، فانه يهرس فى البداية ويعجن لاعطائه قوام عجينة رخوة . فاذا كانت حالة الروث شديدة الصلابة، فانها ترطب بشىء من الماء ، اما اذا كانت بالغة السيولة فيضاف اليها القش المهروس (التبن). وحيث تتم هذه العملية على الأرض فان هذا الوقــود يختلط ببعض الأتربة ، وبعد ذلك تشكل منه كتل (أقراص) تلصق بحائط مبنى باللبن عادة ومعرض لأشعة الشمس . وهناك تلتصق الاقراص وتكتسب شكلا مسطحا آخذة هيئة رغيف يتراوح اتساع سطحه تبعا لكمية مادة الروث المستخدمة فى صنعه ، وحين تجف هذه الاقراص تنتزع لتوضع فى مخزن ، وتحمل هذه السلعة التى يعهد باعدادها الى النسوة والاطفــال اسم « الجلة » ، وثمنها بالغ الانخفاض ، اذ تساوى مائة القرص منها ، فى سمك واتساع كف اليد ، ثلاثة مدينى على أكثر تقدير ، أى ١/١٠ الفرنك، ومع ذلك فهى تعد غالية لحد لا تقدر معه على استخدامها كل طبقـــات السكان ، ولذلك يسعون لتخفيض ثمنها بان يضيفوا اليها عند اعدادها كمية كبيرة من الأتربة والطين ، وتتشكل من هذا الخليط أقراص فى ســـمك القبضتين ، يجففونها فى الشمس ، وتحتــرق هذه على نحو طيب ، على طريقة الخث(*) ، مع تاكلها شيئا فشيئا منتجة حرارة متساوية للغاية ، ويطلق على هذه اسم قرص (أقراص) .

(*) الخث أو الترب (بتشديد وضم التاء) تراب عضـــوى قابل للاشتعال ،يتكون من التحال البطىء لبعض النباتات الطحلبية .
(المترجم)

وبالاضافة الى هذين النوعين من الوقود ، وهما مكلفان لحد يفوق قدرة بعض المنشآت (أو المصانع) ، يستخدم وقودا كذلك كناسة الشوارع ، والقش ، والعظام ، والريش ، والبراز من كل نوع ، بعد أن تجففه حرارة الشمس . وهو يوجد فوق اكوام الزبالة والانقاض التى تحيط بالمدن ويفصله الناس عن التراب بواسطة الغربال ، وعن طريق هذه المواد ، بصفة خاصة ، وهى التى تظل محتفظة بقدر كبير من الطين ، كما انها مشبعة بالملح البحرى(١) ، تتم تدفئة الحمامات العمومية .

اما الوقود النباتى الذى لا ينتج عن احتراقه السناج فيقتصر استخدامه على بعض المصانع ، مثل القمائن وافران الفخار وأفران الزجاج ، حيث لا يحترق سوى قش وسيقان الذرة وغاب البوص ، وكذلك تستخدم «الجلة» فى المخابز .

ولابد لأصناف الوقود الثلاثة الأول التى اشرنا اليها فى البداية أن تنتج بالضرورة الكثير من النوشادر أثناء احتراقها ، اذ هى تحتوى على كمية كبيرة من المادة الحيوانية ، كذلك لابد لهذا العنصر ، لكى يكون ملح النوشادر ، أن يتحد بحمض الموريات ، ولا يستطيع المرء أن يعتقد أن لهذا الحمض من اصل سوى موريات الصودا الموجودة فى المواد التى يتم احراقها . وتحوى مواد الوقود هذه ، التى التقطت من الشوارع ومن اكوام الأنقاض كمية كبيرة منها ، كما أن وجودها داخل براز الماشية فى مصر هو واحدة من الوقائع الملموسة بشكل مؤكد ، بينته بجلاء تجارب المسيو لوروج ، الذى وجد بها كذلك السلفات والأملاح المرة وان كان هو لم يحدد لنا طبيعة هذه الأملاح الأخيرة .

ومن السهل تفسير انبعاث موريات الصودا فى الافران التى تحترق فيها الأقراص (روث الماشية المختلط بالطين) أو زبالة المدن ، فحيث تحتوى هذه الأنواع من الوقود على كثير من الطين المختلط بالملح البحرى (ملح الطعام) ، فان كل الشروط اللازمة لتكوين هذه المادة الأخيرة توجد مجتمعة ، ولكن عندما يقتصر الاستعمال على « الجلة » ، فان كمية

---

(١) تحتوى اتربة الشوارع على نسبة مئوية كبيرة من حجمها من الملح البحرى .

الطين الموجودة بها تبدو فى حجم لايكون بمقدورها معه ان تتفاعل بطريقة فعالة مع موريات الصودا ، أما هذا العنصر الأخير فلابد له من ان يتحلل عن طريق الأملاح الاخرى التى يوجد مختلطا بها فى المواد البرازية ، ويمكن للمرء أن يرى كذلك أن موريات طينية تتكون فى اثنــاء عملية الهضم وأنها تتحلل بعد ذلك بفعل حرارة الاحتراق ، بل ان كميــة ضـئيلة من موريات النوشادر توجد متكونة بالفعل فى البراز ، لــكن تأثير هــذين الســببين الأخيرين بالغ الضعف بشكل مؤكد ، بالمقارنة بالتأثير الذى يمكن أن يحدثه السبب الأول الذى اشرنا اليه .

وزيادة على ذلك ، فمهما تكن مدة وسبب تحلل الملح البحرى، فان ملاحظة من المسيو شبتال **Chaptal** تبعد كل شك فى أن السناج الناتج عن احتراق براز الحيوانات يدين بخاصيته تلك الى وجود هذه المادة الملحية فى طعامها، لاحتواء هذا الطعــام على موريات النوشادر ، فقد أوضح هــذا الــكيميائى الشهير فى كيميائه التى طبقها فى مجال الصــناعة (الجزء الرابع ، ص ١٣٧) « أنه قد استخلص ملح النوشادر من السناج الناتج عن احتراق روث العجول والخيول البرية التى تعيش فى سهول لاكامارج ولاكرو (*) الشاسعة ، وعلى حواف العديد من برك ومستنقعات البحر الأبيض المتوسط، ومع ذلك ، فحيث تفضل هذه الحيوانات النبــاتات حلوة المــذاق على الأعشاب الملحية ، وحيث هى لاتتغــذى على الأخيرة الا خلال الشــتاء ، فان برازها لايعطى ملح النشادر الا اثناء هذا الفصل »

وتعطى هذه الواقعة قيمة كبيرة لرأى هاسلكيست **Hasselquist** الذى لم يؤسسه الا على وجود مذاق ملحى فى أنواع عديدة من النباتات التى يغذى بها المصريون مواشيهم، وتتطلب منا ملاحظته تلك، والتى تبدو متنافرة مع حدوث الفيضانات السنوية لنهر النيل، أن ندخل فى بعض التفاصيل كى نتبين كيف أن النسبة الغالبة من خضروات مصر لابد لها فى الواقع أن تحوى من الملح البحرى أكثر مما يمكن أن تحويه الخضروات التى تنمو فى أجوائنا: فحيث أن الأرض فى المناطق المطيرة فى أوربا تغسلها على الــدوام مياه

(*) لاكامارج ، جزيرة تكونها دلتــا نهر الرون ، وهى مراع للخيول والعجول البرية ، أما لاكرو فسهل رملى قاحل من سهول الرون ، ويغص بالحصى . (المترجم)

الأمطار النقية فانها لاتستطيع أن تحوى من المواد الملحية الا ماتجلبها اليها الأسمدة ، لذلك فلا يمكن أن تكون نسبة هذه الأملاح (بأراضينا) كبيرة ، وعلى العكس من ذلك مايحدث فى مصر ، التى لاتكاد تسقط عليها مطلقا أمطار السماء ، وحيث ان التربة (المصرية) تنحصر داخل صخرة من الحجر الجيرى ، فانها تحوى فى طياتها الكثير من موريات الصودا ، وتظل مشبعة بالملح حتى أنه يكفى الا يروى حقل ما لعدة سنوات ، ليصبح غير قادر على استنبات المحاصيل المفيدة مالم تغسل مياه النيل تربته — بمعنى كلمة يغسل — قبل زراعته ، أما الأراضى التى تمكث بها مياه النيل لمدة طويلة ، فهى الوحيدة التى قد تكون خالية من الأملاح ، ومع هذا فجزء ضئيل فقط من سطح مصر هو الذى ينطبق عليه هذه الحال ، ذلك ان المساحة الأكبر (من أرض مصر) لاتحصل على حاجتها من الماء الا عن طريق الرى (الصناعى) ؛ والذى يتم بالنسبة لمعظمها عن طريق مياه الآبار ، التى تحفر فى الأرياف لهذا الغرض ، ولا تعطى هذه الآبار سوى مياه تتفاوت درجة ملوحتها تبعا لمدى بعدها عن النهر الذى تحصل منه على مياهها من خلال مسام الأرض الخضراء ، وحين تتشرب النباتات كميات من هذه المياه فانها تتشرب معها نتيجة لذلك كمية لابأس بها من الملح البحرى. أما النباتات التى تنمو على شواطىء البحر ، او فى المناطق التى لاتغمرها مياه النيل ، فتحتوى بالضرورة على كمية اكبر من الملح ، ولابد أن هاسلكيست قد وجد المذاق الملحى (الذى لاحظه) فى هذه النباتات بصفة خاصة ، اذ اننا نلاحظ ان الخضروات التى تغطى الحقول لها مذاق من نوع خاص .

وبالاضافة الى ذلك ، فلابد للمرء ان يلاحظ انه ليس من الضرورى أن تحتوى النباتات على الكثير من موريات الصودا حتى يصبح بالاماكن تفسير تكون ملح النوشادر ، ذلك ان كمية السناج (الناتج عن الاحتراق) تعد ضئيلة للغاية بالنسبة الى كمية الأطعمة التى تغذت عليها الماشية ، بحيث يكفى ان تحوى هذه الأطعمة نسبة جد ضئيلة من الملح حتى يكون بمقدورها ان تهيىء حمض الموريات اللازم لتكوين ملح النوشادر ، وهو الملح الذى تنتجه مصر بوفرة ، حيث يمكن القول بأن هذا الاقليم الفسيح ، ليس سوى معمل واحد (لانتاج هذا الملح) ، تتم العمليات التحضيرية لتكوينه داخل كل البيوت الخاصة .

ونستنتج مما سبق القول كيف يمكن اختلاف طعام الماشية أن يعطى فروقا فى قيمة السناج النـــاتج عن برازها ، ولهذا السبب دون شك فان براز بعض الحيوانات يمضى ليعطى سناجا أكثر غنى (بملح النوشادر) ، وهكذا ، وطبقا لمعلومات قام بجمعها المسيو لوروج ، واستقاها من صناع ملح النوشادر ، فلابد — فى هذا الصدد — أن نضع براز الجاموس فى المقام الأول ، تليه بعرات الخراف والماعز ثم براز الانسان ، وبعد ذلك تأتى بعرات الجمل ، وتأتى فى المقام الأخير بعرات الخيل والحمير ، وأن كان الأرجح الا يكون هـــذا الترتيب قـــد تم على أساس اية تجربة موضوعية، كما أنه سيتغير ولابد تبعا لنوع الأطعمة ، ولهذا فاننا لانورده هنا الا لكى لانكون قـــد استبعدنا شيئا مما يتصل بالصناعة التى عنينا بها .

عن الســـناج (١)

تكاد تكون كل مساكن الفلاحين عبارة عن بيوت مبنيـــة من الطين ، قليلة الارتفاع وليس لها من منفذ لتسريب الدخان سوى الباب ، ولذلك يثبت فوق كل الأوجه الداخلية لجدران المساكن ، ومع ذلك ، فحيث أن ملح النوشادر أقل قابلية للتبخر (للتبدد فى الهواء) عن الأجزاء الداكنة ، فان من الطبيعى أن نجد أن السناج الأقرب (الأدنى) هو اكثرها ثراء (بملح النوشادر) .

ويجمع السناج عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات من مساكن الأفراد، اما فى الأماكن التى توقد فيها النـــار بشـــكل اعتيـــادى ، مثل المخـــابز والحمامات العمومية ، فتجمع هذه المادة من هنـــاك مرة كل عام، ويجوب رجال يرسلون من قبل ملاك مصانع التصعيد قرى مصر ليشتروا من الفلاحين حق السماح لهم بجمع السناج من مساكنهم، وهم لايأخذونه مطلقا بالوزن ، ولـــكنهم يحكمون بنظرة خاطفـــة مقـــدار كميـــة الســـناج التى يمكنهم أن يستخلصوها ، فاذا كان السناج ذا قيمـــة ضـــئيلة ، كما فى مصر العليا، فانهم يقدمون فى مقابله الصابون والابر وأشياء اخرى مماثلة ، أما فى مصر السفلى (حيث السناج اكثر قيمة) فيدفعون ثمنه نقدا .

---

(١) الهباب (والكلمة الموضحة هنـــا وردت بحروفها العربية واللاتينية فى الأصل الفرنسى — المترجم) .

ويستخدم هؤلاء لجمع السناج من القبـــاب الوطيئـــة ، أو من فوق الجدران ، مكاشط حديدية صغيرة ، لها أياد طويلة ، يجرفونه بواسطتها لـــكى يفصلوا الوسف (القشرة) الذى يلتحم به بقوة ، ممـــا يؤدى الى تجريف كثير من الطين ، أما فى مصر العليا ، حيث لايصنع السناج لنفسه وسفا ، فيكتفون بازالته بواسطة مقشة ويجمعونه فى قطعـــة قماش تبسط فوق الأرض .

وتختلف صنوف السناج فيما بينهـــا ســـواء فى اللون أو الوزن أو المـــذاق ، بقدر ماتختلف فى درجة الجودة اى فى حجم كمية ملح النوشادر التى تحويها ، فبعض انواع هـــذا السناج تدخل فى عداد مالا يحوى ملح النوشادر البتة ,رغم صـــدوره عن مواد حيوانيـــة ، وهذه الأنواع فيما يؤكد البعض نيرة للغـــاية ، أما افضـــل انواع الســـناج فهو ما يأتى من مصر السفلى وبخاصـــة من منوف وضـــواحيها الواقعة على فرع رشيد وكذلك من المنصـــورة والأماكن المحيطة بها على فرع دميـــاط . وهذه الأنواع من السناج تضرب الى الصهبة كما انها ثقيلة الوزن وتحتوى على كمية ضئيلة من الطين ، وهى اقرب شبها بالطين الدخن منها بسناج حقيقى ، ومذاقهـــا لاذع للغـــاية ، ويلمح المرء فيهـــا بسهولة ، وبخاصـــة فى الفتافيت منها خيوطا صغيرة من ملح النوشادر ، وتوفر هذه الأنواع كمية كبيرة من هذا الملح من صـــنف بالغ الجودة اذا ما اديرت عملية التصعيد على نحو طيب.

عن عمليـــة التصـــعيد

يتم تصعيد ملح النوشادر فى قنينـــات زجاجية ملطخـــة بالطين حتى بضع سنتيمترات من فتحتها ، وحيث أن المساحة (من جسم القنينة) التى تركت للملاحظة يبردها الهواء بصـــفة دائمة فانها تبطن من الداخـــل بملح النوشادر ما ان يتم تصـــاعد الأخير بفعل الحرارة ، من السناج الذى يملأ اتساع القنينـــة ، وسنعرض تبـــاعا لـــكل تفاصيل هذا العمل فى الفقرات التاليـــة :

عن القنينـات وكيفـية صنعها

تصنع القنينـات التى تستخدم (فى صناعتنا هذه) من زجاج أسود اللون ، بالغ الرداءة ، وان كان كافيا للاستعمال المخصصة هى من اجله .

ومنذ البداية ، ادى انخفاض ثمن النطرون ، بالاضـافة الى وفرته ، الى تفضـيل الزجاج على أية مادة اخرى فى صنع آنيـة التصعيد ، وقد حالت هذه الأسباب ، مع ندرة الوقود ، دون أن يحصـل فـن صـناعة الزجاجات على تحسينات كبيرة ، ولهذا فان منتجاته ، حتى تلك المخصصة منها لاستعمالات الحياة العادية ، هى من نوع بالغ الرداءة ، بل ان القنينات المستخدمة فى المصـانع التى تعنينا هنـا ، ادنى من هذه بكثير ، كما أن هشاشة هـذه الآنية قـد تجعل من نقلها عملية بالغة الصعوبة ان لم نقل مستحيلة ، ولهذا السبب يضطر أصحاب مصـانع ملح النوشادر لتصنيعها فى مصانعهم الخاصة ، وان كان هـذا الأمر لا يتسبب لا فى انفاقات كبيرة ولا فى حدوث الـكثير من المضايقات . وتكفى مساحة مربعة الشـكل ، يبلغ طول ضلعها نحو المترين كمكان لاقامة فرن الزجاجات (١) . وتحيط به أربعة جدران رئيسية سمك كل منها ثلاثة ديسمترات ، ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، وتتلاقى عنـد نهاياتها بقبـة تقفل فرن الانصـهار واتون التحمية أو الانضاج .

ويشغل فرن الانصهار نحو ثلثى الارتفاع الـكلى للمبنى ، أما الثلث البـاقى فيضم فرن التحمية أو الانضاج ، ويشتمل الأول على موقد وحوض توضع فيـه مباشرة المواد المراد صهرها ، وينفصـل الموقد الذى يمتـد بطول الفرن كله فى اتجاه ، وبطول ثلثه فى الاتجاه الآخر ، عن الحوض عن طريق حائط طوله متر ولا يعلو فوق سطح أرض الحوض الا ببضـعة سنتيمترات ، فى حين يقوم الحوض فوق مصطبة مبنية تعلو فوق سـطح أرضية المصنع بنحو ٨ الى ٩ سنتيمترات .

وتغطى فرن الانصهار قبـة تستخدم فى الوقت نفسه أرضـية لفرن التحمية ، وتعكس هذه القبة (أو تشع) الى الحوض لهيب الوقود ، الذى

---

(١) انظر الأشكال ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من اللوحـة الثانيـة من الفنون والحرف ، وكذلك شرح هذه اللوحة .

يتكون عادة من سيقان الذرة وغاب البوص ، وتدخل نسبة من اللهب كذلك الى فرن التحمية عن طريق فتحة عملت فى منتصف القبـــة التى انتهينا من الحديث عنها .

اما المـــادة التى تصنع منها القنينـــات ، فهى خليط من النطرون مع مسحوق رملى تم اعداده تماماً من قبل ، ويحصل عليه من مصـــانع الزجاج العـــادية . ويوضع هـــذا المســـحوق الرملى على هيئـــة طبقـــات تليلة السمك داخل الحوض ، وتضاف اليها بعد ذلك كمية كبيرة من النطرون ، وذلك للاسراع بانصهارها .

ولكى يتم صنع قنينـــة ، يقوم العـــامل بانتزاع المـــادة اللازمة لهذا الغرض بواسطة عصـــاه ، وبعد أن يصل بهذه القطعـــة المنتزعة الى قطر يبلغ نحو ٢٤ الى ٢٧ سم فى الوقت الذى يظل هو يحتفظ بها داخل فـــرن الانصهار ، ينتهى بها الى فرن التحميـــة او الانضاج لتظل وســـط النيران التى تتوغل الى داخل الفرن الأخير عن طريق الفتحة التى تم احداثها فى منتصف القبـــة السفلية ، وعنـــدما تبلغ القنينـــة قطرا يبلغ ٤٠ الى ٤٥ سم يضعها العامل فوق الرمل الذى يغطى ارضية فرن او اتون التحمية، ثم يطرى العامل رقبة القنينة وبعد ذلك ، وبطرقة خفيفة فوق عصاه ، يفصل القنينة (عن العصا) ، ويحرص العامل دوما على ان يبلغ طول رقبة القنينة من ٤ الى ٥ سم وقطرها من ٤ الى ٧ . وتستغرق هذه العملية بكل مراحلها نحو خمس الى ست دقائق .

وحيث لايستطيع فرن التحمية أن يضم سوى اثنتين او ثلاث قنينات ، فان الواحدة من هـــذه الآنية لا يمكنها أن تمكث فى هذا الفرن لأكثر من ١٠ ١٥ دقيقـــة ، تجر بعدها بواسطة محجن حديدى الى خارج الفرن ، عن طريق فتحة تتسع للحد الـــكافى عملت فى احد جوانبه ، ولا يتم ابعاد هذه الآنيـــة عن النـــار الا بشكل تدريجى مع تمريرها فوق حاجز يقع قريبـــا من النار ، لـــكنه لا يتلقى الحرارة الا عن طريق الفتحة المطـــلة على ممر القنينـــات .

وتمكث كل طريحة اربعـــا وعشرين ساعـــة ، اى ان المـــادة لـــكى

تنصهر تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، ثم تستغرق عملية نفخها بعـد ذلك نفس المدة .

وناتج هـذا العمل هو ماينبغى أن نتوقعـه من عمل يتم انتـاجه بادوات غير متطورة ، وعلى يد عمـال قليلى المهارة ، ويأتى سمك القنينات غير متساو بدرجة كبيرة ، وهى كلها على وجـه التقريب مشروخة بسبب تبريدها الذىيتم بشكلشبه فجائى ، وليس منالنادر أن نرى قنيناتبأكملها تسقط منتلقاء نفسها مفتتة، بلقد يتم ذلك وهىماتزال بعد فوق الحاجز ، ويقـدر عدد مايتحطم منها بنحو العشر ، سواء اثنـاء عملية الصنع او فى اثنـاء نقلها الى خارج المصنع او كذلك عند دهكها بالطين ، وتجمع بعناية كل هـذه الشقفات - لتضاف الى شقفات القنينـات التى تم اسـتعمالها ويلقى الجميع فى فرن الانصهار .

ولا تعود هذه القنينـات على الصـانع بعد دهكها بالطين بشكل تام الا بـ ١٠ الى ١٥ مدينى اى بنحو ٣٥ او ٥٠ سنتيما ، اذ تساوى كل ٥ فرنكات ١٤٢ مدينى .

عن تلطيخ القنينات بالطين

لكى يتم استخدام هذه القنينـات ، لابد ان تلطخ بطبقة سميكة من الطين ، ويؤخذ هذا الطين من ارض مزروعة ، ويعجن فى حفرة ثم تضاف اليه كمية كبيرة من سيقان الـكتان المهروسة بعد تخليصها من الجزء الاكبر من مشاقة الكتان التى تظل عالقـة بها والتى تكون بمثابة عائق فى العملية التى نحن بصددها .

ويتم هذا الطلاء اربع مرات ، ولكى يتم حدوثه ، يؤتى بالقنينة اولا الى حافة الحفرة ، وتوضع بحيثتكون فتحتها الى اسفل وفوق طبقـة من الرماد المحمى ، عملت فى وسطه فجوة تكفى لاستقبال رقبـة القنينـة ، ويمر العـامل فى البـداية بقـاع القنينـة الـذى يكون هـو الأعلى ، بالاضـافة الى انه اقل اجزاء القنينة سمكا ، ليضع فوقه طبقة من الطين يصـل سمكها الى نحو ١٠ الى ١٢ مم ، ويتم ذلك دون تناسق ، وبعـد هذا ترفع القنينـة وتوضع فوق الأرض فى نفس الموقـع حتى تجف فى

الشمس ، وعندما يصبح الطين جافا بشكل جيد ، تحمل القنينة مرة اخرى لتكون قريبة من حفرة الطين وذلك لطلاء الجزء العلوى ، وتوضع فى هذه الحالة فوق قاعها وبذلك تكون رقبتها الى أعلى ، ويغطى بالطين كل الجزء الذى يبقى مكشوفا بعد العملية الأولى فيما عدا راس كرة يبلغ طول قطرها ١٩ الى ٢٠ سم ، بحيث تكون الرقبة هى المركز ، ولابد أن يظل راس الكرة هذا عاريا (أي غير ملطخ بالطين) ، ، وعندما يجف هذا الجزء الجديد من الطلاء الطينى ، تؤخذ القنينة مرة ثالثة ثم رابعة لتحصل على طبقة ثانية من الطين ، تثبت بها بالطريقة السابقة نفسها ، وتستغرق كل خطوة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق .

وعندما يتم طلاء القنينات ، فانها تصبح متينة ، ويمكن الإحتفاظ بها فى المخزن لوقت طويل على هيئة أكوام ، تتكون كل كومة منها منثلاثة صفوف ، واذا ماحدث حادث طفيف ، كأن تثقب أو تتحطم رقبتها ، فان القنينة لاتعد تالفة لهذا السبب ، بل يعالج الأمر بأن توضع على الثقب قطعة من الزجاج تغطى بالطين ، فاذا حدث هذا الثقب فى راس الكرة (غير المطلى) فيكتفى بلصق شقفة من الزجاج اكبر قليلا من الثقب المشار اليه عندما توضع القنينة فى الفرن ، وحين تتكاثف الأجزاء الأولى من ملح النوشادر ، فسرعان ماتثبت هذه الشقفة على النحو المطلوب .

ملء القنينات

لا يتطلب ملء القنينات اتخاذ اى احتياطات خاصة ، وانما يكتفى بتنظيف نصف الكرة العلوى بعناية ثم ندخل السناج الى القنينة بعد ذلك ، ولا يترك بها منفراغ الا مايكفى لتكونلب الملح الذى لابد أن يملأ القنينة حتى أسفل الرقبة بنحو اربعة سنتيمترات عندما يستخدم السناج الغنى بالملح ، ولأقل من ذلك قليلا عندما يكون السناج أقل ثراء به ، وفى الحالة الأخيرة يقل كذلك اتساع نصف الكرة الذى لايطلى بالطين .

ويهز العامل القنينة عند ملئها بحرص وذلك لضغط السناج ، ولكى يتكون له فى جزئه العلوى سطح أفقى مستو .

وبعد ان تملأ القنينات على هذا النحو ، توضع بعد ذلك فى الفرن ، الذى نقدم فيما يلى وصفا له :

عن فرن التصـــعيد

يتكون هذا الفرن من أربعة جدران رئيسية يبلغ سمك الواحد منهـا ستة ديسيمترات ، تترك بينها فراغا مربع الشكل يبلغ طول ضلعـه نحو المترين . ويبلغ ارتفـاع هذه الجدران نحو ١٣ ديسيمترا فـوق أرضـية المصنع ،ومع ذلك فحيث انها تبنى حول حفرة يبلغ عمقها سبعة ديسيمترات فان ارتفاعها الفعلى يبلغ فى جمله المترين على وجه التقريب . وهنـاك باب يقع عند الواجهة الأمامية ، ويستخدم لادخال الهواء والوقود ولاخراج الرماد .

وفى العـادة ، فان جدارى الجانبين لايحتفظان بكل سمكهما ، بل همـا يرقان بشكل تدريجى مع ارتفاعهما ، فىحين تظل الواجهات الخارجية على نفس حالها ، فى وضعها الرأسى بطريقة يصـبح معها الفـرن ، من داخله ، وفى جزئه العلوى ، فى شكل متوازى أضـلاع يبلغ طوله (فى اتجاه) من ٢٨ الى ٢٩ سم ، ويبلغ عرضه (فى الاتجاه الآخر) ٢٠ سم .

وتتكىء على الجدارين الجانبين ثلاث تقويسات ترتفع فى شكل عقـد كامل ، ويبلغ سمك الواحدة منها نحو ٢٢ سم ، وتبنى موازية للجـدران الأمامية والخلفية ، وهى تقسم نصف الفرن الى أربعـة مقاطع متساوية تظل فارغة ، ويحمل ظاهر هذه التقويسات جدارا صـغيرا ، له السمك نفسه ، ويمتد بشكل افقى الى نحو أربعة ديسيمترات تحت القبـة العليا للجدران الأسـاسـية ، ويشكل الجداران الأمامى والخلفى ، ولهمـا نفس الارتفاع ، تراجعا الى داخل الفرن ، وتخصص هذه التقويسات مع جدارى التراجع دعائم للقنينـات عند المقـاطع الفارغة والتى تحصل عن طريق هذه المقاطع الفارغة نفسها على تأثير حرارة النيران ، أما البروز الـذى يتجاوز الأربعة ديسيمترات فى ارتفـاع الجدران الرئيسية فوق التقويسات فيشكل سورا يحيط بكل القنينات الموضوعة فوق الفرن (١) .

ويصنع كل هذا المبنى من طوب يلتصق ببعضه البعض بفعل طين عادى ، معجون بالماء ، ومخلط بنسبة تقرب نحو الربع من حجمه ، بالملح البحرى (٢) .

---

(١) انظر الأشكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، مع شرحها .

(٢) تعد اضافة الملح البحرى الى « المونة » ممارسة شائعة فى مصر وهو أمر لم نستطع الوقوف على تقدير فوائده .

ولكل مصنع فى العادة بضعة أفران من هذا النوع ، وهى تبنى فى صف واحد او فى صفين ، حسبما يسمح بذلك المحل ، وتضم هذه الأفران فواصل مشتركة ، لتقفل المبنى كله بعد ذلك سقيفة كبيرة ، تغطيها فىمعظم الأحيان سعف النخيل.

صف القنينات فوق الفرن

توضع فوق كل فرن ، بصـــفة عامة ، أربع وعشرون قنينة ، بحيث يتكون كل صف من ست قنينـــات ، ونوضع هذه متقاربة مع بعضها البعض تقاربا شـــديدا ، ولـــكن دون ان تتلامس ، ويحرص العـــامل كذلك على ابتعادها عن الجدران ، وعن التقويسـات التى تسندها ، وذلك بوضع قطع من الرماد المتماسك فيما بينها .

وبعد أن توضع القنينات ، تملأ الفراغات التى تتركها فيما بينهـــا ، انصافها العلوية . بقطع كبيرة من الرماد ، تغطى بقطع أقل حجما ، لينتهى الامر بوضع طبقـــة من الرماد النـــاعم تعلو لتبلغ قاعدة رقبـــة القنينة ، كذلك يراعى احداث فتحة يبلغ قطرها نحو الديسيمتر ، فى كل واحدة من الزوايا الأربع للفرن ، تستخدم كمدخنة .

وتستغرق كل هذه العملية ، بدءًا من ملء القنينات . حتى اشـــعال النيران ، نهارا بأكمله .

تشغيل النيران

عندما يتم اعداد كل شيء ، على النحو الذى انتهينا من بيـــانه ، تلقى فى الفرن — وهو لا يضم اســـياخا ولا مرمدة (مكان لاختزان الرماد) — كمية من الأقراص تكفى لملء مايقرب من نصف سعته ، وبعد ذلك توقـــد النـــار فى الجزء المجاور للبـــاب ، ويمتـــد الاشـــتعال ببطء ليشـــمل كل المساحة ، ثم يتوغل تدريجيا حتى يبلغ القـــاع ، وعندما تشتعل كل الكتلة، يقفل البـــاب بشكل يكاد يكون تاما ، ويلاحظ انه قـــد بدء فى سده بالطين قبل ان يدخلوا اليـــه الوقود ، وبهذه الطريقـــة لاتنتج سوى نار ضعيفة للغاية ،تتوغل فى بطء فى الآنية التى يتم تصعيد (مابها من سناج) ، ولا

ينزع هذا السد الطيني لبـــاب الفرن الا عندما تصبح من الضروري زيادة النيران ، وحينئذ يضيفون حسب الحاجة وقودا جديدا .

ولا توقد النـــار في الفرن الا عند بداية الليل ، وحيث تستغرق عملية التصعيد ستين ساعة فانها لا تبلغ نهايتها ، على هذا النحو ، الا قـــرب صـــباح اليوم الثـــالث ، وعندئذ يتم استخداج لباب الملح في النهار ،وهذا انسب عما لو اضطروا لفعل ذلك خلال الليل .

ولا تبدأ الحرارة في الارتفاع قليلا الا قرب نهاية الليلة الأولى ، وفي هذه الفترة تصاعد من القنينات كمية هائلة من الأبخرة الرطبة والقاتمة ، مختلطة بكربونات النوشـــادر ، ولا يستطيع اى امرىء ان يظل للحظـــات فوق الفرن الا بشق الأنفس ، وبرغم ذلك نجد عاملا عليه أن يصـــعد كي يحطم قشرة ملح البارود ، التي تتكون على السطح العلوي للسناج ،واحيانا قريبا من منشأ رقبـــة القنينة ، اذ قـــد تؤدي هذه القشرة ، باغلاقها كل المنافذ على الأبخرة ، الى اغلاق كل المسارب ، مالم يحطمها العامل بمسبار حديدي ، عندما تزيد صلابتها لأكثر مما ينبغي .

وعند نحو منتصف نهار اليوم الأول ، يصـــبح دخان القنينات أبيض اللون ، كما يقل هـــذا الدخان بشـــكل محسوس ، برغم ان النيران تكون قـــد بلغت عندئذ أقصى درجة تتطلبها العملية ، وهنـــا يكون السناج قـــد تخلص من الرطوبة ومن الأجزاء الدهنية التي يحتوي عليها وتكشف اجزاء القنينـــات التي لم تطل بالطين والتي كان يغطيها الرماد حتى ذلك الوقت . وتؤدي البرودة التي تلامس انصـــاف الـــكرات الى تكون جـــزء من الملح المتصاعد والى ان يتكثف ، وان كان جزء كبير منه يظل هائما في الجو على شكل بخار ابيض ، وفي الحقيقة فان لبـــاب الملح لا يبـــدأ في التكوين الا بدءا من هذه اللحظة بعد ان تكون قشرة السناج قـــد تبخرت في جزء كبير منها بفعل الحرارة بمجرد ان تكون هذه الحرارة قد اخترقت كتلتها .

وفي اليوم التالي ، عند الصباح ، يتحسس رئيس المصنع ما ان الملح قـــد اكتسب صـــلابته المطلوبة ، وذلك بأن يطرق فوق أنصاف الـــكرات بضربات خفيفة ، وفي حالة تماسك الملح تكسر رقاب القنينـــــات ولـــكن بدون انتزاعها .

وعند مساء اليوم نفسه ، تفحص مرة اخرى حالة لبـــاب الملح ،فاذا وجده جيـــد التماسك ، فانه يكسر القنينـــات دون ان ينتزع قطع الزجاج كذلك ، فاذا ما صـــدر عن القنينة صـــوت يفيد بأنها جوفاء ، ينتظر العامل لبعض الوقت حتى يصدع الزجاج. وعلى الرغم من هذه الاحتياطات، فكثيرا مايحدث أن تؤدى الأبخرة التى تتكون فى منتصف كتلة السناج الى انحباس مسارب الأبخرة تحت لباب الملح .

وقـــد لاحظ المسيو لوروج أن رائحة لحمض الـــكبريتيك تنبعث قوية عندما تكسر القنينات .

وتنتهى عملية التصعيد عادة عند نحو صـــباح اليوم الثـــالث ، ومع ذلك فاذا لوحظ — بعد أن يتم اخراج عدة لبـــابات — انها ليست بالقـــدر الـــكافى (من التماسك) فان العمـــال يبـــداون عمليـــة تسخين أخرى لبضع ساعات ، مع اضافة الوقود .

وعندما يتبين ان العملية قـــد اكتملت بشكل تام ، يبدأ العمـــال فى انتزاع ملح النوشـادر ، ولـــكى يتم ذلك تحطم القنينـــة اسفل كتلة الملح المصعدة مبـــاشرة ، وتنتزع انصـــاف الـــكرات بـــدون مســـاس بالجزء البـــاقى ، ثم تلقى كمية من المـــاء البـــارد على اجزاء الزجاج التى تبقى ملتصقة بلباب الملح لتتحول الىشظايا ثمتنتزع هذه بسهولة، ولكى تستبعد المواد السوداء التى تكون بمثابة وساخات عالقة بسطح الملح الأبيض يضطر العمال احيـــانا لاستخدام بلطة صـــغيرة ، معقوفة وحادة ، أما اذا كانت درجة التصاقها قليلة ، فيكتفى بمسحها ، أما اذا كانت تشـــوب الملح بقع صفراء أو ســـوداء فان العـــامل يزيلها بقليل من المـــاء أو اللعاب ، واذا حدث أن ظهرت بلبـــاب الملح اجزاء اقل تماسكا ، فانها تضغط قبـــل أن تبرد بضربات مطرقة .

ويزن لبـــاب الملح الذى يستخرج من كل قنينـــة ، فى العـــادة ، اربعة أو خمسة ارطال .

ويعتمد بهاء ملح النوشادر ، كما تبينا نحن ذلك جيدا ، على صنف السناج وطريقـــة تشغيل النيران ، وهم يصنفون الملح ، تبعـــا لدرجـــة بياضه الى ثلاث درجات ، وان كانالفرقبين هذهالدرجات الثلاثليس قاطعا .

لحد يحول دون وجود تقديرات تعسفية ، واكثر هده الدرجات نصاعة ، وهو مايسمونه المكرر ، يستخرج من المواد التى تظل فى وسط القنينات عندما لا يكون التصعيد قد تم بشكل مطلق ، وهو مايحدث كثيرا . أما المواد التى يطلقون عليها اسم هدارى — أو حدارى — او تلك التى يسمونها أولاد ، تبعا لما يذكر المسيو لوروج ، فهى كرات بالغةالتماسك تتكون وسط الرواسب السوداء والقابلة للتفتت التى تملأ القنينات، وهم يحرصون على انتزاعها مباشرة بعد استخراج الملح ، وتصب فوقها على الفور كمية ضئيلة من الماء البارد لايقاف الأبخرة الوفيرة لموريات النوشادر التى تصدر عنها ، ونادرا ماتستخلص هذه المادة نقية ، اذ هم يخلطونها فى العادة بنسبة الثلث مع سناج جديد ، ويعتقد العمال أن هذا الخليط يعطى كمية اكبر من الملح عما لو صعد هذين العنصرين منفصلين . وباذابة الموادالملحية التىيحويها هذا الهدارى — أو الحدارى؟ — نحصل على سائل به نسبة عالية من الحديد ، ومن الممكن أن يؤدى خلط هذه الكرات بسناج جديد يحتوى على كربونات النوشادر الى تولد كمية اكبر من موريات النوشادر . ومع ذلك فمن غير المحتمل أن تكون هذه الزيادة محسوسة جيدا .

وتشتعل الرواسب القابلة للتفتت بمجرد ملامستها للهواء ، وهى تفقد لونها الاسود بفعل احتراق الكربون ، متخذة اللون الرمادى أو النحاسى الفاتح ، وترمى هذه المواد ولا يحتفظ الا بفتات الزجاج التى يمكن صهرها مرة أخرى ، وترمى معه الأجزاء التى تحملت أقصى درجات الحراره لأنها تكون قد ذابت والتحمت بالطين .

ويعطى السناج فى المتوسط نحو ١/١٠ وزنه من ملح النوشادر ، اما اذا أخذنا فى الاعتبار تلك الكمية الهائلة التى تذهب بددا فى الهواء خلال عملية التصعيد ، وهى كمية كبيرة لحد انها تظل تملأ أجواء المصنع على الدوام خلال هذه العملية ، بدخان بالغ الكثافة يكفى لتحريك سعف النخيل الذى يشكل السقيفة ، وكذلك لتغطية الملابس برماد وفير من موريات النوشادر ، فلسوف نلمس بوضوح أنهم لا يحصلون الا على نسبة ضئيلة من الملح الذى يحويه السناج بالفعل . وبغسل السناج ، وتصعيد الرواسب التى تنتج عن تبخر هذا الغسول ، حصل المسيو لوروج ، فى تجربة قام

بها — للحقيقة — على نطاق ضيق ، على كمية من الملح تساوى نصف وزن السناج المغسول . ومن المحتمل نتيجة لذلك ، أن يصبح بالامكان احـــداث تغييرات مفيدة على الاساليب المتبعة فى مصر .

وتقع أهم مصانع الملح فى المنصورة وبولاق ، وقد تابعنا تفاصيل هذا العمل فى هذا الموقع الأخير .

وينتج مصنع المنصورة سنويا ، وبه ستة أفران ، نحو ٦٠ الى ٧٠ قنطارا ، وقبل الحرب كان يباع كل مائتى رطل — اى كل قنطار — فى مقابل ١٠٠ بوطاقة من ذوات التسعين مدينى .

ويبلغ عدد العمال الذين يحصلون على أجور طيلة العام ستة عمال، ويستخدم بالاضافة اليهم ، تبعا للحاجة من ١٥ الى ٢٠ عاملا يجوبون القرى لشراء وجمع السناج (*) .

(*) انظر الباب الثانى ، الفصل الثـــامن ، ص ٢٢٧ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة من تاليف المسيو جيرار ، وهو المجلد الرابع من الترجمة العربية الكاملة لوصف مصر . (المترجم)

(٣)

صناعة دبغ الجلود

بوديه ،

« العنوان الأصلى للدراسة هو : دراسة موجزة عن تجهيز الجلود فى مصر ، تأليف بوديه ، كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع المصرى ، والحائز على وسام الشرف » .

من المعروف أن فن تجهيز الجلود يعود ألى عصور ضاربة فى القدم، وان النـــاس فى كل مكان ، وحتى من قبل أن تخطر ببالهم فكرة غزل الكتان او القطن او القنب او زغب الحيوانات لصنع المنسوجات منها ، قد استخدموا الجلود كأردية لهم وفى عدد لاحصر له من الاستخدامات الأخرى .

كــذلك ، فنحن نعـــرف أن النـــاس منذ عصر موسى كانوا بالفعل يصبغون الجلود باللونين الأحمر والبنفسجى، كما نعرف أن مكتبة برجام (*) فى عهد آل اومينوس (**) Eumènes كانت تغص بالكتب المؤلفة عن جنود الرقوق ، ولابد أن نستنتج من ذلك أن الفن الذى يهتم باعداد الجلود، كان فى ذلك العصر متقدما لدرجة بدأ البحث معها عن النافع والمناسب منه.

ومع ذلك فمنذ آلت مصر الى ايدى المسلمين ، نكص هذا الفن الى طور الطفولة ، حيث تضاءل فى هذه الأيام الى مجرد أساليب بدائيـــة ظلت على قيد الحياة بفعل التقليد ، باعتبارها تراثا موروثا ، تنفذ بشكل ردىء بالغ الخشونة ، وان كانت هذه الصناعة مع ذلك تنهض على أسس نفس المبادىء والتى نعمل نحن على أساسها ، والتى طورتها أوربا ، وبالامكان أن نتعرف على ذلك اذا القينا نظرة عابرة على أساليب المصريين وكــذلك على أساليبنا (١) .

(*) مدينة ايطالية تقع فى سهل لمباردى (المترجم) .

(**) وهـــم ملوك برجام وقـــد حكم اومينوس الأول من ٢٦٣ الى ٢٤١ ق.م. والثانى من ١٩٧ الى ١٥٩ ق.م. وكان متحالفـــا مع الرومان (المترجم) .

(١) قد يكون بمقدورنا أن نظن أن هؤلاء الذين اخترعوا فى الأصـــل أساليب فن الدباغة كانوا يعرفون ، قدر مانعرف ، طبيعة جلد الحيوانات، كما كانوا يعرفون كذلك مثلما نعرف ، أن العصـــارة اللمفـــاوية التى يكون الجلد متشربا بها ، بخلاف الدم، تتكون من مادتين متميزتين لابد أن نستخلص (أو نستبعد) احداهمـــا ، وهى جيلاتينيـــة صرف، أما الأخرى ، وهى نسيج ليفى غير قابل للذوبان فى الميـــاه ، فلابد لها ، فى نفس الوقت أن تحصل فى جزء كبير منها على تغيير لتصـــبح كمـــا نقول نحن شـــائطة ومنكمشة ومتهيجة ، لتتحد بعد ذلك بالمادة الدابغة .

فــن الدباغة

يعني دبغ الجلود عند المصريين ، كما يعني عندنا ، أن نشبعها بعنصر يسمى tannin (*) ، وتوجد هذه فى النباتات الخضراء (وتسمى القابضة ، أى التى تجعل انسجة الجلد تنقبض ، فيقل الافراز أو النزف) وباتحاد هذا العنصر مع الألياف التى تشكل نسيج الجلود ، فانه يجعلها تتخذ حالة نصف جيلاتينية ، بحيث ينتج من ذلك جسم جديد اشد صلابة ، واكثر مرونة (غير قابل للــكسر) واقل قابلية لنفاذ المياه منه ، كما يكاد يكون غير قابل للتلف .

وقبل ان ندبغ الجلود يقتضى الأمر أن نغسلها اولا ، ثم نكشطها ، أما لكى ننتج مانطلق عليه فى أوربا اسم الجلود الــكثيفة أو السميكة ، فلابد أن نقوم بنفخها .

وفى مصر ، كما فى كل البلاد ، تعنى العملية الأولى (وهى الغسيل) أن نغمر الجلود وأن ننقعها وأن ندوسها وهى فى مياه جارية ، وان نجعلها ترشح وأن نبسطها فوق حامل ثم نغسلها مرة اخيرة حتى نتخلص تماما من وشلها (أو نضحها) ومن دمائها ، ومن الوساخات التى تراكمت عليها فى الزرائب أو فى المذبح حتى تصبح متشبعة بالماء .

أما العملية الثانية ، وهى الــكشط ، فتقتصر فى مصر على واحــدة من خطوات عدة تلجأ اليها أوربا ، ويتم بمقتضاها وضع الجلود فى محلول الجير حتى يمكن انتزاع زغبها (أو شعرها) بسهولة ، وحتى يمكن للعامل ان يزيله ، بينما تكون الجلود معلقة على الحامل ، بواسطة سكين دائرية الشكل ، لــكنها غير قاطعة .

وتكتفى أوربا بطريقة الكشط بالجير بالنسبة لجلود البقر والعجول ، وهى الجلود التى تخصص لتصبح جلودا خشنة ، ويكتفى بهــا فى مصر كذلك بالنسبة لجلود الجاموس والثيران ، ذلك أن المصريين كما هو معروف لايسعون ابدا لكى يصنعوا من جلود هذه الحيوانات جلودا سميكة أو كثيفة . أما فى أوربا ، حيث يرغب الناس فى مثل هذه الجلود ، وفى أحسن شكل

(*) وهى مادة قابضة تؤخــذ من قشر البلوط أو العفصــه أو غيرهما ومنها جاءت كلمــات tanner و tanneur و tannée بمعنى يدبغ ودابغ ونقل المادة الدابغة الخ (المترجم) .

ممكن ، فانهم يفضلون ، للوصـــول بالجلود الى هذه الدرجة من الجودة ، كشط جلود الحيوانات الكبيرة وذلك بعد أن يغمروها فى سوائل لاذعة مثل منقوع الشعير او مصل اللبن أو عصير الدباغة أو فى الناتج المائى والحمضى لتقطير الفحـــم الحجرى والترب (*) أو فى ماء أذيب به بعض من حمض الـــكبريتيك ، أو بعد تعريضها لدرجة معينة من التخمر ، ويتم ذلك بطيهـــا وقــد رشت بالملح أو بدفنهـــا فى الزبالة والفضـــلات الحيوانية او بحبسها فى قبو ، تتعرض وهى فى داخله لنـــار ناتجة عن احتراق ثفل الدباغـــة تكون نصـــف جافة ونصف رطبة ، وتنتج درجـــة حرارة تتراوح بين ٢٥ و٣٠ وتحدث دخانا مشبعا بالبخار يخترق مسام الجلود ، ويتخللها ويجعل شعرها اقل التحاما بها ، وذلك بدون أن يتلفها أو يؤثر فيها هى لاكثر مما ينبغى .

وعندما تتم عملية السمط (ازالة الشعر) بواحدة من هذه الطرق ، تغسل الجلود وتكشط (اى تزال اللحوم العـــالقة بها) ، وعندئذ ،وهذا هو مايحدث فى مصر ، تصبح الجلود ، بكل أنواعها ، معدة للدبغ ، فى حين نظل الجلود، التى تخصصها أوربا لانتاج مايسمى بالجلود الكثيفة أو السميكة، فى حاجة لأن تمر بعملية ثالثة تسمى بعملية النفخ، وتحدث هذه اما بواسطة الجير ، اذا كان الـــكشط قـــد تم بهذه الوسيلة :(اى باســـتخدام محلول الجير) ، واما بأية وسيلة من تلك التى اتبعت لتنفيذ عملية الـــكشط ، اذ يمتلك الدباغون فى هذه البلاد ، لهذا الغرض حفرات جير يسمونها المتلئة Pleins أو احواضا توضع بها المحاليل اللاذعة أو الحمضية ، تتنوع درجات قوتها (أو مفعولها) ، يمررون فيها على التوالى تلك الجلود الى أن تكتسب درجة الانبساط أو التمدد المناسبة .

وتوجد لدى الأوربيين ثلاث طرق رئيسية يلجئـــون اليها فى علميـــة الدباغة ، فاما أن يبسطوا الجلود « على الناشف » داخل حفرات ، فوق طبقـــة من لحاء البلوط تحولت الى مسحوق بواسطة الرحى ، وأن يجددوا ذلك ثلاث مرات خلال ١٥ الى ١٨ شهرا ، مختصرين مع ذلك ، وفى بعض الأحيـــان هذه العملية ، فيعمد بعضهم الى تسريب قليل من المـــاء شـــيئا

(*) وهو تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتـــكون من التحلل البطىء لبعض النباتات الطحلبية .

فشيئا داخل هذه الحفرات ، فى حين يعمد آخرون ، يريدون أن يوفروا على انفسهم فى الوقت نفســـه مشقة اتلاف الحفرات حين يســـتبدلون بالمـــاء محاولات من الدبغة بالــكمية التى كان من الممكن أن يستخـــدموها ، الى تقديم (استخدام) القشرةالثانية والثالثة من « لحاءالبلوط) بشكلها الطبيعى (بدون تحويلها الى مسحوق) .

واما انهم يخيطون الجلود بشكل تتحول معه الى أجولة يملؤونها بالماء والمادة الدابغة ، ثم يغمسونها فى أحواض تحتوى كذلك على كميـــة من المـــادة الدابغـــة المـــذابة ، وتستغرق هـــذه الطريقـــة ، والتى يسمونها Chippage (*) مدة شهرين .

واما انهم — اخيرا — يدبغون جلود الابقـــار فى خلال بضعة أيام ، وجلود الضأن فى خلال بضع ساعات وذلك بأن يغمسوها منعزلة (أى كل جلد بمفرده) فى حوض يحوى محلولا قويا من المادة الدابغة .

لـــكن المصريين ليست لديهم سوى وسيلة وحيدة لدبغ جلود الثيران والابقار والجمال والجاموس والماعز الخ ، يبدأونها بتغطية الجلود وهى لينـــة ، ممطوطة ومكشوطة ، بخليط من الملح ومسحوق حبـــات الخردل والسنط ، ثم بعد ذلك توضـــع ، وتنفض ، وتداس أو تهرس لعـــدد من الأيام تزيد أو تنقص تبعـــا لحجم الجلود وسمكها ، ويتم ذلك كله فى ماء اذيبت فيه كمية مناسبة من نفس هذه المساحيق الملحية والقابضة .

وعندما تخرج الجلود من احواض النقع هذه ، تبسط وتجفف ، ويدخل بعضها وهو مايزال على هذه الحالة فى طور الاستعمال ، فى حين يمـــر بعضها الآخر بعملية التطرية أو التليين .

(*) الفعل Chiper فى اللغـــة الفرنسية يعنى خطف أو دبغ ، لذلك فقد يعنى هذا اللفظ الدباغة الخاطفة . (المترجم)

فــن تطرية او تليين الجلود

وتعنى هذه الخطوة اعطاء المرونة للجلود التى جعلتها عملية الدباغة يابسة ، وتمر كل الجلود التى تخضع لهذه العملية بين يدى « المطرى » ، وهو يعدها لهذا الأمر عن طريق تجهيزات مختلفة تتنــاسب مع الأغراض التى ستستخدم فيها هذه الجلود .

ولناخذ جلود البقر على سبيل المثال ، ان العــامل يعيد لهذه الجلود رخاوتها عن طريق مياه يسعى لأن تتشربها مع وطئــه الجلود وعركهــا بالاقدام ، ثم يعلقها فوق حمــالة ويكشطها ويسوى حوافيها ، ثم يجففها ويبسطها على نضد ، ويصب فوقها من ناحية الباطن (أو اللحم) زيتــا يدلــكه بيده ، ويفعل نفس الشيء من ناحية الوجه (أو الشعر) وان كان مايضعه هنــا من زيت اقل كثيرا مما وضعه فى الناحية الأخرى ، ثم يعلق هذه الجلود حتى تتشرب هذا الزيت وبعد ذلك يدهسه ثم يغمره بالزيت من جديدثم يدهسه أو يطؤه مرة اخرى ، ثم يزيل هذه الشحوم بواسطة محلول خفيف (غير مركز) من النطرون ، يضعها على وجه الجلد (اى الجهة التى بها الشعر) ، وذلك بقصد اعداده لــكى يأخذ اللون الأسود ، الذى يمنحه اياه على مرتين، بواسطة محلول يتكون من اتربة حمض الكبريتيك ومسحوق ثمار السنط ، داهسا الجلد فى كل مرة ، وبعد ذلك يعالج عيوبه ثم يضع طبقة من الزيت على وجهه .

أما الجلود المستعملة فى سن أمواس الحلاق المصرى فتصــنع من سيور من جلود الثيران او الجاموس ، المدبوغة والتى تلين بعد ذلك فى الزيت ، وتنقع هذه السيور لمدة ثمانية أيام فى زيت الــكتان ، ثم لــمدة ثمانية أيام اخرى فى زيت الزيتون ، ثم تداس بالاقــدام ، وتلف حول نضد كى تكتسب المرونة المطلوبة ولكى تتشبع بالزيت .

لكننا نجهل ما ان كان هذا الصانع يستخدم فى بعض الأحيان ، بدلا من الزيت ، الودك (شحم الأمعاء) أو الشمع ، اذا ما أراد اعداد الجلود الناعمة او المصقولة التى يحتفظ لها بلونها الأصهب — ان كان حقا يعرف ذلك ، وما ان كان يعطى لجلود الأبقار والعجول ، مثلما يفعل دباغونا ، اللون الأحمر ، مقتربا من نفس أساليبنا وخطواتنــا ، وذلك بأن يعــالج

هذه الجلود بالشبة ، في الحالة التي تكون عليها عند صباغتها باللون الاسود ، ثم بأن يدوسها وهي فوق طبقة الشبة ثم بأن يصبغها بخلاصة خشب البرازيل او خشب الفرنامبوك موضوعة في مياه الجير ، ثم بأن يجففها وان يصقلها قبل وبعد غمرها بالزيت ، وبعد ذلك بأن يضع على المصفاة تلك الجلود التي يريد أن يكون الحبوب على وجهها (يجعلها محببة) ، ومع ذلك فليس العامل المصرى هو الذى يجهز الجلود التى نصنع منها ، فى مصر ، القرب التى تستخدم هناك اما لحمل مياه النيل الى بيوت الاهلين ، واما لنقلها خلال الاسفار على ظهور الجمال ، واما لاحتواء العسل الاسود القادم من الصعيد ، وكذلك الزبد وزيت الزيتون والعسل الأبيض ، اى هذه السلع القادمة من تونس ومن مدن أخرى فى بلاد البربر ، اذ تصنع هذه الجلود فى مكة وجدة ، ولا يفعل المصريون سوى ان يخيطوها ليصنعوا منها قربهم ، أما القرب بالغة الضخامة ، والتى لابد من حملها فوق ظهور الجمال ، فتصنع من جلود الثيران ، وتستخدم فى صنع القرب الأقل حجما جلود الماعز والتيوس ،وتحتاج هذه وتلك ، كى تعمرا طويلا لأن تمرا كل عام مرتين على الأقل ، بالعملية الآتية :

عندما يلاحظ احد السقائين أن قربته قد اعتراها الانهاك ، فانه يعلقها مع ابقاء فمها مفتوحا ، فتجف ، وعندئذ يدخل فيها خليطا من القطران وزيت الزيتون ، يبسطه بعناية بيده فوق نصف سطحها ، من داخلها ، ثم يقارب بين نصفيها ويدوسهما معا كى يتخللهما هذا الخليط، ثم تترك هذه القربة فى النهاية معرضة للشمس والهواء حتى تتشرب كل القطران الذى اعطى لها ولدرجة لاتتلوث معها الأصابع بالقطران عند لمسها .

وتعمر قربة ما ، بهذه الوسيلة ، نحو خمس الى ست سنوات ، مع استعمالها يوميا .

وتوجد لدى المصريين كذلك ، بقصد اختزان الماء ، آنية صنعت بدرجة لا بأس بها من الحذق ، حتى اننا ظنناها ، دون أن نستطيع التأكد من ذلك ، مماثلة لآنية صناع الاعمدة لدينا ، وتصنع هذه الانية من جلد مغلى فى الشمع ، وان كان ذلك يتم بقدر اقل من العناية ، برغم هذا .

ولدى المصريين كذلك جرار تكاد تكون من نفس الجلد ، لكنها صنعت على نحو خشن بعض الشيء ، ويستخدمها تجار الزيوت لاحتــواء الزيت الذي يبيعونه بالقطاعي .

فن صناعة جلود السختيان (*)

يصنع المصريون الجلود التي يخصصونها لصـــنع مايسميه النـــاس « بالمزكوب » بأكبر قدر من العناية والحذق ، وهـــذه هي جلود التيـــوس والخراف والمـــاعز .

وتمر هذه الجلود على التوالي ، بعد معالجتها بالجير ، وبعـــد أن تكشط وتشذب بأحواض مليئة بالمياه كي تغمس فيهـــا ثم تغســـل وتداس بالأقدام ، وبعد ذلك تكشط وتغسل ، ثم يكشط وجهها بشـــكل عكسي ، وتداس بالأقدام ، ويسوى وجهها باتقان ثم تعلق كي يتســـاقط ما بها من ماء .

وبعد ذلك ، ولكي تتم تطرية الجلد ومطه بعد أن ايبسه الجير بعض الشيء ، يوضع في نقيع مغلي من زبل الحمـــام حيث يدلك به بقوة ، وحيث يترك لعـــدة ساعات ، ومن ثم يغمس ، الواحد بعد الآخر في محلول من نقيع العفصة ومسحوق ثمار السنط ، وبعد أن يترك منقـــوعا في هـــذا المحلول لمدة تتراوح بين ٢٥ و٣٠ ساعة ، يداس بالأقدام لمدة ساعتين .

جلد السختيان الأحمر

عند اخراج الجلود التي يراد اعطاؤها اللون الاحمر من النقيع الذي استخدم في دباغتها ، توضع لمدة يومين في عقد من النخالة ، وبعد غسيلها، تمر بنقيع التين حيث تترك لتعطن وتظل منقوعة لمدة اربع وعشرين ساعة، وفي نهاية هذه المـــدة ، يغسل كل جلد ثم يرش بالملح ، ثم يكدسونها لعدة أيام ، فاذا ما استشعرت أية بادرة تخمر فانهم يوقفونها بالقـــاء الجلود في المـــاء ثم يغسلونها لسبع أو ثماني مرات مختلفة ، وفي كل مرة تستخدم

(*) وهي جلود المـــاعز مدبوغة وملونة (المترجم) .

مياه جديدة ، ثم تبرم الجلود (تصنع منها لفافة) وتبسط ، ثم تدهن ثلاث مرات بواسطة قطعـــة من الاسفنج أو كرة من القطن ، على وجهها باللون الأحمر المعـــد من القرمزية والشبة .

وبعد ان تصبغ الجلود على هذا النحو ، تغسل ، وتبرم ، ثم توضع فى نقيع قابض ، مكوناته هى مكونات النقيع الذى استخدم عند بدء عملية الدبغ ، وبعد أن تمكث الجلود بهذا النقيع وقتا كافيا (١) ، يغسلونها ثم يبسطونها ، وبعد ذلك يدلكون مسطحها (من ناحية الشعر) بيد منداة بزيت السمسم ، حتى تصبح لامعة ومصقولة .

جلد السختيان الأصفر

لا تمر الجلود المخصصة لكى تصبغ باللون الأصفر قط بنقيع النخالة والتين والملح ، ولـــكنها توضع مباشرة ، بعد عملية الدباغة الأولى ، فى نقيع ثان ، ومن هنـــاك ، وبعد أن تغسل وتداس وتبرم أو تلف وتجفف بشكل جزئى ، تبسط لتحصل على طبقتين من صباغة صفراء تصـــنع من سائل هوخليط من حبوب Avignon والشبة المصحونة ، ولابد ان يحرص العامل عند طبقة من الصبغة أن يطوى الجلد وجها لوجه وان تصفالجلود على هيئـــة اكوام حتى يتوغل فيها اللون ، وبعد ذلك تجفف الجلود وتسوى من الداخل (من جهة اللحم) ، ثم تصقل من ناحية الوجه بواسطة العصا .

السختيان الأخضر

يحرص صـــانع جلود السختيان المصرية على اخفـــاء سر اعـــداد اللون الأخضر ، لـــكننا نظن ان هذا اللون (أو هـــذه الصـــبغة) ليست سوى محلول الجنزار (صـــدأ النحاس) مذاب فى ميـــاه حمضية بسبب مابها من درديات حمض البوتاسيوم ، وربمـــا اضـــيف الى ذاك قليل من صبغة النيـــلة .

---

(١) يكتسب جلد السخيتان ، فى هذه النقعة الثانيـــة الحبوب التى تصنع جماله الخاص والتى ليست سوى أثر من فعل (الـــكرمشة) التى تعترى بشرة أو ادمة هذا الجلد .

السختيان الأسود

يصبغ السختيان باللون الاسود بعد أن يمر بعمليـــة النقع الاولى ، وذلك بخليط من اتربة أملاح حمضية (سلفات الحديد والنحـــاس وحامض الـــكبريتيك) ، يطلق عليها بلغة أهل البـــلاد اسم جاز ، بالاضـــافة الى العفصة أو ثمرات السنط على شكل مسحوق ، وتكفى طبقة واحدة ،لذلك فلابد ان يغسل الجلد على الفور خشية أن يحترق بالصـــبغة ، وعنـــدما يصبح الجلد جافا ، يدلك وجهه بزيت الـــكتان (١) .

فن تجهيز الجلود على الطريقة الهنجارية (المجرية)

يقوم الصانع هنـــا بصنع جلد متين دون أن يلجأ فى اعداده لا الى ماء الجير ولا الى المحلولات او السوائل اللاذعة او الحمضـــية ، ولا الى المـــادة القابضة (العفصة او لحاء البلوط) ، وقد يحل الشبة والملح محل المـــادة الأخيرة ، ويمزج بهذا الجلد كمية هائلة من الودك اى شحم الأمعاء.

أما الأساليب التى تتبع فى هذا الفن فمجهولة تماما فى مصر ، اللهم الا اذا كانت الطريقة التالية تقدم لنا شيئا من التماثل مع هذه الأساليب .

يؤخذ جلد عجل وهو طازج ، ويبسط بحيث يكون الشعر الى اسفل، ويوضع فوق ارض متربة لاحد الأفنيـــة أو أحد الشوارع (٢) ، ويغطى الجلد بمزيج يتكون من نسب متساوية من الرماد وموريات الصودا منفصلة عن ملح البارود ، ولتـــأكيد وتسهيل ذوبان أملاح هـــذا المزيج واختراقه للجلد ، ولكى يكتسب الجلد فى الوقت نفسه نوعا من المرونة ، توطـــأ الجلود بالأقدام فى البداية ، ثم تترك معرضة للشمس ، ولضغط أقـــدام المـــارة وهم يعبرون .

وعندما ينفد المزيج الذى يغطى الجلود أو يتبعثر ، فانهم يجددونه ،

---

(١) يقال انهم فى الشرق يستخدمون نبـــات الرلول ذا الأوراق آسية الشكل (وهو الريحان الشامى) Coriaria فى دبغ الجلود وصـــبغها باللون الاسود ، كما يقال بأن الجلود تدين لهذا النبـــات بخاصية تفوقها، وان كنا لم نعرف قط ان هذا النبات ينتشر استعماله فى مصر .

(٢) ليست الأرصفة ولا الأفنية مرصوفة فى مصر (اى أنها كلها متربة)

وحين يصبح الجلد بالغ الجفـاف ، يستخدم ، وهـو محتفظ بشـعره ، كدواسات فى المدارس أو المساجد (١) .

فن صـناعة الرقوق

تنحصر الوسيلة المتبعة عادة فى صنع الرقوق فى وضع سائل كثيف من الجير المغلى عشية القيـام بهذه العملية ، على الجلد وهو منبسط ، ثم يتم انتزاع الشعر منه بعد ساعتين من استمرار وجود الجير عليه ، وبعد ذلك يقلب لمـدة ساعتين فى ماء الجير ، ويغسل جيـدا ثم يبسـط فوق سقيفة ، وبعد ذلك كله يكشط (لانتزاع اللحم والعروق) بعد رشه بجير مصبوغ ، ثم يغسل وهو فى مكانه بواسطة قطعـة من الاسـفنج ، ثم يجفف على الفور ، وبسرعة ، ثم يؤخذ كل جلد بمفرده لـكى ينتزع لحاؤه او سطحه الخارجى بواسطة حديدة قاطعـة ، وفى النهـاية يصقل وتحدد علامات يتم القطع عندها ، وبعد ذلك يتم تفسيخه لتصنع منه الاوراق .

ويحتمل الا يكون المصريون يتبعون هذا الأسلوب بتمامه ، وبطريقـة تمكنهم من التزود بالرقوق الجميـلة التى يستخدمونها فى الـكتابة ، بل يحتمل أنهم لا يصنعون الرقوق التى يستخدمونها فى هذا الغرض وان كان من المؤكد انهم يصنعون الرقوق الشائعـة ، وتستخدم أنواع كثيرة من الجلود ، مثل جلود الخيل والحمير من اجل صنع الطبول الضـخمة التى تحمل على ظهور الجمـال . كما تستخدم جلودالمـاعز والأيائل السمراء لصنع الطبـول الصـغيرة ، وقـد رأينـاهم يصـنعون اغطيـة غمـد سيوفهم وخنـاجرهم على شكل رق وليس فى هيئـة جلود محببة (٢) ، ويصنعون ذلك من جلود ارداف الحمير ، وهم يصبغونها بعد تحبيبها بواسطة

---

(١) لهذا الاعداد المتبع فى مصر بالنسبة لجلود الثيران بعض شـبه بالإعداد الذى يتم عندنا بالنسبة لجلود العجول المستخدمة فى صنع حقائب الظهر أو حقائب الشغل والتى نسميها العجول ذات الشعر Veaux à Poils اذ تصفى دماء هذه الجلود ثم تكشط ، وتداس فى الشبة والملح البحـرى مرتين مختلفتين ، وبعد ذلك توضع فوق حامل لتفتح وهى نصـف جافـة بواسطة السكين المستديرة .

(٢) الجلود المحببـة هى نفسها الجلود المرشوشة بمسحوق حبوب الخردل بشكل خفيف .

مثقاب ينتهى طرفه بنقرة صغيرة ، كما أن غرابيلهم (١) تصنع من سيور رق مصنوع من جلود الجمال والبغال ، كذلك شاهدناهم فى النهاية يستخدمون فى أغراض عدة نوعا من الرقوق يعرفون كيف يعطونه لونا أخضر بالغ الجمال وبالغ الثبات فى الوقت نفسه .

فن دباغة الجلود الرقيقة

لا يقدم هذا الفن ، بالطريقة التى يتم بها فى مصر اى فرق (عن الدباغة كما وصفناها) اللهم فى انه اكثر تطورا ، وهم هناك يعدون الجلود للكشط ، على نحو قريب مما نفعل نحن فى أوربا ، ثم يمطونه ويطرونه بواسطة معجون النخالة ، وبعد ذلك يمررونه فى محلول الشبة ، ويبيضونه عن طريق وضعه فى سائل مغلى يتكون من دقيق الحنطة وصفار البيض وجزء من محلول الشبة الذى لم يتشربه الجلد ، ثم يجففونه ويشدونه .

اما الجلود التى يراد لها أن تظل بوبرها أو صوفها فتغسل ،وتسوى حوافها ، وتكشط ، وتوضع فى عجينة النخالة ، ثم تلطخ بالطين وتشبب ، وتغطى من ناحية اللحم بعجينة من الدقيق والشبة وصفار البيض ، وتغسل ، وتبسط ، وتجفف ، ثم تبلل ، وبعد ذلك تطوى طية واحدة ، وترص بعضها فوق بعض ، وتحمل بالأحجار (كثقالات) ثم تفتح لتوضع فوق حمالة، وتسوى مرة أخرى ،وتجفف بحيث يكون الصوف هو المعرض للهواء ، وأخيرا تشذب .

ويمكن أن نعد جلود الكلاب من بين تلك التى يعدها المصريون بشعرها ، وهم هنا يسلخون الحيوان ، مع الاحتفاظ بالجلد كاملا ، كما نفعل نحن بجلود الأرانب ، ومع ذلك فحيث اننا لم نر هذا الجلد قط وهو يجهز ، وحيث أننا نعرف أنه يتخذ شكل الحقيبة، وأنهم يستخدمونه، فى شكله هذا ، فى احتواء الزئبق ، فاننا نرجح انهم ، بعد أن يشببوه

---

(١) وهى ليست مثقوبة مثل الغرابيل لدينا بواسطة مجوب (كسرة فسكون ففتحة) ، وهو اداة لانتزاع قطع (صغيرة) من المعادن والجلود .. الخ .

(أى يعالجونه بالشبة) على طريقـــة المرط (*) ، يرطبونه بالزيت بنفس الأسلوب المستخدم فى صنع الجلود الشملوازيه .

ملخص

يتضح مما تلقناه عن مختلف تجهيزات الجلود فى مصر :

١ — أن المصريين يستخدمون المــاء ، ليس فقط لغسل الجلود ،وانما كذلك للتخلص من الألييــاف التى تدخل فى تكوينها ، وكذلك لكى يخلصوا هذه الجلود من السوائل الحيوانية القابلة للتعفن ، والتى هى مترعة بها .

٢ — وانهم يجعلون هذا المــاء أكثر فاعلـــية واشد نفاذا عن طريق اضـــافة الجير الذى يعرفون ماله من خاصية فى منع تعفن الجزء الليفى ، وفى اكساب المــاء صـــفات ننسبها الى مايؤدى اليه الجير من فقـــد الماء لمـــا به من أوكسجين .

٣ — وانهم بعد أن يغسلوا ويمطوا ويكشطوا الجلود ، يعرفون على نحو قريب مما نعرف كيف يجعلونها يابسة اما بواسطة المـــادة الدابغة أو عن طريق الشبة والملح بل كذلك بمجرد عملية تجفيف بسيطة ، وانهم يعرفون كيف يكسبونها المرونة اما باتباع اسلوب الدوس واما بأن يدمجـــوا بهـــا الشحوم ، كما انهم فى النهاية يعرفون كيف يصبغونها .

(*) أى دبغ الجلود بالأملاح المعدنية (المترجم) .

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ - حكايات من عالم الحيوان .

٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .

٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف چان بول سارتر) .

٥ - السماء تمطر ماء جافا . .

(رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولب .

٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية .

١ - المصريون المحدثون .

٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .

٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .

٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .

٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

٦ - الموازين والنقود .

٧ - الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

٨ - الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

٩ - الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

١٠ - مدينة القاهرة - الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

١ - المجلد الأول والثانى للوحات الدولة الحديثة .

٢ - المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامسا : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

١ - كيف خرج اليهود من مصر القديمة .

٢ - مدينة الأسكندرية .

٣ - مدينة رشيد .

تحت الطبع

- مقياس الروضة .
- القاهرة المملوكية .
- بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .
- بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .